

في هذا العدد :

تصدرها
وزارة عموم الأوقاف
والشؤون الإسلامية

العدد السادس والسابع
السنة الحادية عشرة
صفر 1388
ماي 1968
ثمن العدد
درهمان

دعوة الحق

مجلة تصدرها وزارة
عموم الأوقاف والشؤون
الإسلامية بالمملكة المغربية

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالـي :
مجلة « **دعوة الحق** » ـ قسم التحرير ـ وزارة عموم الاوقاف
الرباط ـ المغرب . الهاتف 10 ـ 308

الاشتراك العادي عن سنـة 10 دراهم ، والشرفي 30 درهما فـأكثـر .

السنة عشرة اعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك فى حســاب :
مجلة « **دعوة الحق** » رقم الحساب البريدي 55 ـ 485 ـ الرباط

Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55 à Rabat

او تبعث رأسا فى حوالة بالعنوان التالي :
مجلة « **دعوة الحق** » ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط ـ المغـرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
فى كل ما يتعلق بالاعلان يكتب الى :
« **دعوة الحق** » ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط
تليفـون 308.10 ـ 327.03 ـ الرباط

كلمة العدد

تواصوا بالحق وبالصبر

كانت الرحلة الملكية الخالدة الى الجمهورية التركية ، والامبراطورية الايرانية ، والمملكة العربية السعودية منطلقا جديدا لتوكيد أواصر المودة والاخاء ، وتوثيق عرى الصداقة والتفاهم، وتمتين وشائج التضامن والتآزر بين الشعوب العربية والاسلامية، كما كانت حفزا لانهاض الهمم الوانية والعزائم الخائرة ، وبعثا جديدا لرأب الصدع ولم الشتات ، واحكام الصلات الممتدة عبر التاريخ على أساس من وحدة العقيدة الدافقة، والايمان النابض ، والحماسة التي تنبعث من الاعماق ، وتهون معها التضحيات ، وتنبىء عن النهار المشرق الصحو ، والضحى الجميل ...

وقد لقي صاحب الجلالة مولانا الحسن الثاني حفظه الله وأيده في هذه الرحلة الموفقة ، التي خلفت في النفوس المؤمنة أطيب الذكرى ، وابلغ الاثر ، حفاوة بالغة في مختلف هذه الاقطار التي حل بها ، واستقبالا حافلا يتفق مع المكانة والتقدير ، والاجلال والرفعة التي يتمتع بها لدى هذه الاقطار الصديقة وشعوبها الشقيقة .

ان المسلمين اليوم باتوا يعانون من الصهاينة المجرمين دواهي نكر ، وكوارث مفجعة دامية ، واصبحوا أمام خطر هاجم ، ومعتد غاشم ، وعدو مشترك ، جثم على أراضيهم العربية بكل احقاده وغدره وختله ، وهو ما فتىء يسدد ضرباته المتوالية على البلاد العربية ، ويكيد لها بقسوة ووحشية وضراوة ، وهم مدعوون لمقاومته في صفوف متلاصقة متلاحقة من الرجال المؤمنين الكماة ، في شمل جميع ، ووحدة متراصة ، وجهود منسقة حتى ينداح عنهم الظلم ، وتنجاب غواشي الفتنة والمحنة ، وتعود اليهم حقوقهم الشرعية السليبة ..

ان العدو الكاشح يعمل على ضوء مخطط محكم ، وتصميم مضبوط ، وهو يعلم حقيقة الوضع العربي ، كما يعلم بدقة كل الامكانيات والطاقات التي وضعتها الامة العربية وقيادتها في الميدان ، ويعلم — أيضا — اننا نكتفي بالتحدث عن الصف العربي ووحدته ، من غير ان نعمل جديا على بنائه عربيا سليما ، يتطابق فيه مع المضمون الذي كان لصفنا العربي والاسلامي يوم كان لنا آباء وأجداد يؤثرون الموت في سبيل الله والوطن والعقيدة على كل غرض من أغراض هذه الدنيا الزائلة ..

هذه حقيقة مرة يجب الصدع بها ، والاعلان عنها لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

فقد قال الملك حسين الاردني في هذا المعنى للملوك والرؤساء يطالبهم بعقد مؤتمر القمة ، بعد حادث الاعتداء الغادر على الاردن في الحادي والعشرين من مارس الماضي : « اننا نكتفي بالتحدث عن الصف العربي ووحدته من غير أن نعمل جديا على بنائه .. وان من الاسباب التي تسهل على العدو قيامه بالعدوان تلو العدوان معرفته معرفة دقيقة بحقائق الوضع العربي » .

وهذه ايضا حقيقة صارخة ، ونقد ذاتي يصور حقيقة الوضع المؤلم الممض ويجسم خطر الحالة التي يحياها الرجل العربي في كل مكان ..

وهذا ما حفز صاحب الجلالة نصره الله الى زيارة هذه الاقطار الاسلامية والعربية في هذا الظرف العصيب الذي تجتازه البلاد العربية والاسلامية رائده تجميع الراي ، وتوجيه القوى ، وتوثيق اواصر التفاهم والتضامن بين الاخوة والاشقاء .

لقد كانت القضية الفلسطينية المقدسة التي أدمت العيون ، وأرمضت الجوانح، همه الاكبر ، وشغله الشاغل في محادثاته حفظه الله مع الملوك والرؤساء ، وموضوع صلواته ودعواته في أرض النور ، ومهبط الوحي وبين يدي الله في تلك البقاع الطاهرة المقدسة .. فهو حفظه الله يصرح في خطابه بالمملكة العربية السعودية باننا أحوج ما نكون اليوم من اجتماع الكلمة ووحدة الصف ، وائتلاف القلوب ، وتكتيل الجهود ، وبذل التضحيات ، واسترخاص كل نفيس وثمين لمواجهة المشاكل القائمة ، وسد الاخطار المحدقة ، فقد تألبت على الامة الاسلامية عوامل الشر ، وقوى العدوان نتيجة ما منينا به من تفرق وتباعد ، وتنافر وتطاحن ، فتطاولت يد البغي والطغيان الى حرماتنا ومقدساتنا فاصيبت أجزاء شاسعة من وطننا العربي بنكبة الاستيلاء والاحتلال ، وأمعن المعتدون على أراضي المسلمين تخريبا وتنكيلا ، وقتلا وتقتيلا ، وامتدت أطماع الصهاينة المغتصبين الى ضم بقعة من أشرف البقاع ، وموطن من اكرم وأنفس مواطن المسلمين ، والى أطراف أخرى كانت مهادا للانبياء والمرسلين ارتكب الظالمون عدوانهم واقترفوا آثامهم غير مكترثين بقرارات الامم المتحدة ، ولا مبالين للضمير العالمي وندائه ..

ان العالم العربي والاسلامي لمتفائل من هذا اللقاء بين الاقطاب ، ومتطلع لمعطياته ونتائجه ، ومتلهف لما تسفر عليه من آثار يتمخض عنها المستقبل القريب على شريطة واحدة ان يتخلى بعضهم عن داء العجائز ، وينزع عن قلبه داء الضرائر ، ويسلك — جادا — متن الحياة ، ويخوض عباب الامر لمواجهة حياة باقية تموت فيها الاهواء والمطامع ، وتفنى الاغراض والاحقاد والشهوات، وان النصر بعد ذلك مكفول، والفوز محقق ، والنجاح الاكيد آت لا ريب فيه ..

لقد كان من خلق المسلمين الاولين في الصدر الاول ، وفجر الاسلام انه اذا حزبهم أمر ، ونزل بساحتهم مكروه ، واحمرت الحدق ، طووا بطونهم ، وكظموا رغائبهم ، وتواصوا بالحق ، وتواصوا بالصبر ، ثم واجهوا عدوهم بقلب سليم ، وراي جميع ، ووحدة جامعة وايمان تتكسر على صفاته كل الاهواء ، وكان قائلهم ينشد :

قوم اذا حاربوا شدوا مآزرهم ... عن النساء ، ولو باتت باطهار

دعوة الحق



ان كلمة « حضارة » من الالفاظ التي ساعدتها الايام ومنحتها دولة وخولتها سلطانا واسعا ووهبتها رواجا يحسده عليها كثير من الالفاظ ، كما يحسد الناس ذوي المناصب الراقية والجاه العريض . وبمقدار ما لمع كوكبها وسطع وهجها احدق بها الغموض والتناقض ؛ فكأنها فتاة حسناء يعجبك منها نضرة النعيم ، والجمال الساحر ، والمنطق العذب ، وفى نفس الوقت تحس بمرارة لا تعرف سببها : فقد يكون لانك لم تحظ بالاستماع بها ، وقد يكون لانها تسير على مذهب سلوكي ليس عندك من المذاهب المحمودة ، وقد يكون مائعا مبتذلا . ولكن مجموع تلك الخصال التي لا تحبها مجموعة الى صفات تحمدها هو الذي اضفى عليها هذه البهجة التي جعلتها كمتاع الحياة الدنيا ممقوتا بغيضا ، لكنه نعم مطية المومن الى الجنة .

ان الحضارة اريد منها ان تؤدي وظيفة احلال كل شيء حيث يحبذها العقل والعاطفة : فان اختلفا آثرت ترضية العاطفة على ترضية العقل . فان اتفق العقل والعاطفة فلا شيء يعدل هذه الحضارة وهي فى خدمة الاسلام والدين : فان مما تجملت به الحضارة انها حققت الكثير من الاغراض الاسلامية فى صورة رائعة فاتنة : فاذا سمعت الامر النبوي باماطة الاذى عن الطرق : فان الحضارة وصلت بهذه الشعبة من الايمان الى اعلى مستوياتها ، فطبقتها فى تعبيد الطرقات ، وطبقتها فى وضع قوانين السير ، وطبقتها فى تنظيمات البلديات ، وطبقتها ببناء القناطر والجسور ، الى غير ذلك مما يتصل بالمواصلات البرية والبحرية والجوية . وبنت لذلك المراصد لتعرف حالات الجو وشأن الملاحة به . ووضعت فى البحر المنياء ، واتخذت حراسات الشواطيء لتأمين الطرق البحرية . ويدخل فى ذلك حفر قناة السويس ، فان التراب كان اذى فى الطريق من شأنه ان يضاعف مسافات السير . وتحت الانفاق فى الجبال من باب اماطة الاذى عن الطرق ، لانه يذلل حزونها ويقرب بعيدها .

وكذلك حققت الحضارة غرض الشارع فى اكرام اليتيم بما احدثته من المؤسسات التي تؤوى اليها القاصرين ، بما فيها من حنان وتربية وحسن تغذية ، وتعليم قد يصل باليتيم الى ما يبلغه من لهم آباء اثرياء مكرمون .

وكذلك الشأن فى اقامة العدل ، وحث على الاقساط ، فان هذه المرافعات العلنية وهذه الرحابة الصدرية بما فيها من تكوين اطر القضاة والمحامين ، كل ذلك مما يحول بين الظالم وتحقيق كل اطماعه . زيادة على ان من لم يكن لهم مال ليقيموا لنفسهم محاميا يدافع عنهم فان الدولة تقيمه دفاعا عن حقهم .

وحققت الحضارة قصد الاسلام فى نشر المعرفة بما قننته من وجوب التعليم ومحاربة الامية وتكوين الاطر والعمل على رفع المستويات التعليمية ، وادخال التعليم فى صلب نظام الدولة . وقد حققت الحضارة الكثير من المقاصد الاسلامية ، فى القطاع الذي يتفق فيه

العقل والعاطفة والايمان . واصل الحضارة وعمودها الفقري هو التعليم وتكوين الاطر ، وتشجيع البحث العلمي ، والاقبال على المخترعات الحديثة ، ومن اهم اسباب التعليم والتكوين ونشر الثقافة هذه الوسائل المقامة للتبليغ : كالصحافة ، والاذاعة ، والتلفزيون فيما اصبحت كلمة الاسلام مسموعة : في وسع كل مسلم ان يستمع الى القرءان الكريم ، والعظات البالغة، والارشادات القيمة . وهذه لوسائل هي التي ربطت اجزاء العالم الاسلامي ، فاصبح المغرب لا يبيت الا وقد عرف العالم الاسلامي كل ما يهمه الاطلاع عليه .

وسهلت الحضارة فريضة الحج ، حتى صار الحاج من اقصى بلاد الدنيا يمكنه ان يصل الى البقاع المعظمة في بضع ساعات ، ويمكنه ان ياتي بحجه كاملا دون ان يكلفه ذلك ان يتغيب عن بلده اكثر من اسبوع او بعض اسبوع اذا اراد ، حتى ولو كان في الصين او جزائر الملايو ، ومن كانت عليه مسؤوليات فانه يتصل اية ساعة اراد بما يريد ان يعلم ما يهمه .

فهذا هو الجانب المضيء المفيد من الحضارة ، والقصد الشرعي منها هو هذا . اما الانحرافات فافتراضات وزيغان ، كزيغان حامل السلاح المعد لدفع الاذى ، يستعمله في الفساد والقمع والطغيان ، ويتسلط به على الضعاف فيسلبهم حريتهم وبلادهم . وليس من الحق ان نمقت الحضارة لانها سهلت وسائل الطغيان ، ومهدت هدم الحياء والمروءة ، فان المفسدين كانوا اشد ضراوة في الهمجية منهم في الحضارة التي تقوم على اساس من الانسانية والرافة والشفقة .

وفي فضل هذه الحضارة نعيش ، فهي التي وصلت بالامم القوية التي كانت تستعبد الشعوب : كانجلترا وفرنسا وهولاندا ، وصلت بهم الى ان يقرروا حق استقلال الشعوب ومنحها كامل حرياتها . واذا كانت هذه المباديء لا تطبق بصورة كاملة ، ولا يزال بشعوبها الشيء الكثير من الحيف والظلم وتسلط القوي على الضعيف مثل ما فعلته امريكا حينما ناصرت « الصهاينة » على العرب والمسلمين ، فان سلوكا من هذا النوع لا يدل على ان الحضارة جانية آثمة ، وانما يدل على : ان حضارتنا لا تزال ناقصة مبتورة ، لم تصل الى المستوى القرءاني ، وان الذين يطبقونها لم يستوفوا الشروط القرءانية ، وانما تقدموا لها لان الحاجة وقلة الامكانيات من الاطر الصالحة فرضت تقديمهم نظرا لان بهم بعض شروط الكفايات التقنية . فان الله يقول « ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يومنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون، والذين يومنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك وبالاخرة هم يوقنون اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون » . فالمطلوب لاقامة صرح كامل للعبودية لله التي هي سعادة الدنيا والاخرة : تخطيط كامل ؛ واستعداد كامل للاضطلاع بمامورية تطبيق هذا التخطيط بحذافيرها . هاتان الصورتان الاساسيتان لفهم هذه الاية . ثم تاتي قاعدتها ما لا يتم الواجب المطلق الا به واجب ، وهي ثالثة الاثافي : الا وهي الحضارة التي تعد صورة كاملة لتقديم هذه الفكرة في احسن وضع وبراعة اخراج . فان القصة الرائعة يعرف قيمتها خيرة الناقدين ، ويجيد اعدادها خيرة المخرجين .

واذا قال قائل : ان الحضارة تساعد على الفساد، وتتفنن في خرق الخلاعة ، وتعمل في بعض قطاعاتها على نسف الاخلاق والاتيان عليها من اساسها . اذا قيل هذا — وهو صحيح — فان البلاء لم يات من الحضارة ، وانما اتى من اناس خبثت نفوسهم فكلما وقع عليها لوثة خبثها ، كالمكاريب والاوبئة . والمثل الحكيم الذي يضربه الله للناس يهتدي به ذوو النفوس الطيبة ويضل به الاشرار والفجار ، واقرا قول الله سبحانه : « ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها . فاما الذين آمنوا فيعلمون انه الحق من ربهم ، واما الذين كفروا فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا . يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا ، وما يضل به الا الفاسقين » .

والحضارة ظاهرة من ظواهر الكون يضل بها كثيرون ويهتدي بها كثيرون ، وقد توفر في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم : القرءان ، والمتقون ، والحضارة الاسلامية في نضرتها الاولى . وما اختلف الناس الا بعد ان تفاوتت مستوياتهم الثقافية الحضارية تفاوتا ذكره الله سبحانه في كتابه فقال : « لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل ، اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى» ووصل الامر باختلاف المستويات الى ابعد الحدود ، فكانت الحروب بين طائفتين عظيمتين من المومنين . وقد تكون المهاجرون والانصار تكونا هادئا طويلا ، فعاشوا الى جانب رسول الله صلى الله عليه وسلم السنين والشهور ، فكان تكوينهم تاما ناضجا ، حتى اذا جاء نصر الله والفتح ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجا ، فتضخم المجتمع الاسلامي حتى اصبحت الاطر من السابقين الاولين لا تكاد تذكر . وشعر سيدنا عمر رضي الله عنه بالخطر ، فطبق خطة الحضاريين

الاولين من الفنيقيين والرومان ، وخطة المضاربين المتاخرين ايام الاستعمار الاوربي . ولعل من المناسب أن نراجع مخلفات الاستعمار الفرنسي ببلادنا في هذا المغرب العربي الكبير : فانهم لما دخلوا المغرب ، وهو قطر تاريخي واسع عظيم ، راجعوا حساباتهم من حيث الاطر ، فوجدوا رصيدهم منها ليس بالشيء الكثير ، وانهم ان شتتوه في الاقاليم ووزعوه في القبائل والمدن والسهول والجبال ، لم يفن ولم يحدث اي اثر يذكر . فتركوا المغرب ، وتخيروا اخصب بقاعه ، فاتخذوا من الدار البيضاء والرباط والقنيطرة وما جاور هذه المدن من المزارع والقبائل ، فاقاموا فيها نظاما نموذجيا حضاريا على احسن صورة توجد خارج الوطن الام لفرنسا ، وجمعوا في هذه المنطقة جميع امكانياتهم الادارية والمالية . وابقوا بقية القطر ، وكانها بلاد تابعة لوطن ام صغير هو منطقة البيضاء ، الرباط ، القنيطرة ، واطلقوا يد التصرف للولاة الذين تعاونوا معهم . ومثل هذا كان يفعله الفنيقيون والقرطاجنيون والرومان . وما انشا القرطاجنيون « قرطاجنة » الا بعد ان تكون لديهم اطار هائل من الاداريين الفنيقيين والمغاربة ، بل ان الاغلبية كانت مغربية . ولهذا يعتبر اهل الشمال الافريقي دولة القرطاجنيين بقرطاج ، دولة وطنية او شبيهة بالوطنية ، عكس ما كان عليه الامر بعد ذلك ايام الرومان ، الذين الحقوا الشمال الافريقي بالبلاد التابعة لرومة . لكن « قرطاج » كانت للقرطاجنيين هم الوطن الام .

هذا التدبير البديع في الاستفادة من الاطر . والحرص على عدم تفتتها هو الذي عمل به امير المومنين سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث منع كبار الصحابة من الخروج من المدينة . وكان رضي الله عنه يقدر قدر هذه الاطر الكاملة . فلذلك لما استحر القتل في القراء باليمامة في محاربة سليمة ارتاع وقصد ابا بكر حتى اقنعه بوجوب تسجيل المحفوظ من القرءان .
وكانت مهمة هذا الاطار البديع المكون من السابقين الاولين رضي الله عنهم ، مهمة شاقة عسيرة . فعليهم ان يعلموا هذه الخلائق التي لا تحصى من المسلمين الجدد . عليهم ان يعلموهم كل ما اخذوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمل . اقول من عمل فقط دون ان اقول علم وعمل ، لان شعور الخليفة الثاني رضي الله عنه بخطورة الموقف ، ومسيس الحاجة الى هذه الاطر الكاملة حضاريا وايمانا وحكمة ، جعلته يسلك سلوك التقشف والتوفير : فحظر عليهم الحديث، الا تحت شروط صارمة ، لان اشتغالهم بالعلم ياخذ منهم الكثير من الوقت الذي يحق ان يصرف في العمل: عمل الجهاد ، ومعاملة الامم المغلوبة ، وتدبير شانها بصفة خلاقة ابداعية اجتهادية . فكانت النتيجة ان رسخت دعائم الاسلام . لان الاطار الناضج الصغير سبب منهم التوفير العمري ، تمكن من بناء قواعد راسية ، لبناء عالم اسلامي واسع طويل عريض ، بناء ضمن لابنائه الخلود ، فانهم اقاموه على اساس الثالوث الرائع : القرءان المخطط ، والمتقين الحكماء المطبقين لهذا التخطيط في سياسة الشعوب والامم ، الحضارة الثقافية المحيطة .

فلما احتاج الخلفاء بعد عمر الى الاستفادة من الاطار الجاهلي ، الممثل في مسلمة الفتح ، انخفض المستوى درجة. والحديث عنه يحتاج لوقت مستقل . والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

تطوان : التهامي الوزاني

فماذا اقول انا ؟

وقعت آجرة ولبنة في الماء . فقالت الآجرة : وابتلاله ! ! فقالت اللبنة : فماذا اقول انا ؟ ؟ .



للأستاذ محمد طه الولسي

« بالاسلام بلغ اجدادنا ذرى المجد وحققوا الانتصار ، وبالاسلام نحن ندرك الثار ، ونمحو عن وجودنا وصمة العار . »

لم يعد هناك سبيل الى اخفاء رؤوسنا في رمال الاوهام ، واغماض عيوننا على وهم الخيالات الخادعة ، لكي نتجاهل ما حل بامتنا من الوان الخزي والمهانة والذل ، يوم استطاع اليهود خفض هامات الدول العربية الثلاث عشرة من مشارف بغداد الى سواحل تطوان ، ومن بطاح الشام الى جبال اليمن ، وداسوا على اعلامها ذات الشيات الاربع ، وما فيها من اهلة ونجوم، بنعالهم القذرة وهم في طريقهم الى بيت المقدس اولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين التي دخلوها وجالوا بشراذمهم خلالها في بضعة ايام لم تتجاوز عدتها في حساب الزمن ، حدود الاسبوع الواحد .

وعلى الرغم من براعة بعض الزعماء في استخدام مفردات اللغة العربية في التعبير عما حدث بعد الخامس من يوليو سنة 1967 لتبريره واسدال ستار التمويه على حقيقته، على الرغم من هذه البراعة ، فان التاريخ قد افرد لهؤلاء الزعماء والشعوب التي القت بمقاليد امورها الى ايديهم الملوثة بعار الهزيمة وذل الفشل ، قد افرد لهم التاريخ ، في جميع اللغات العالمية ابشع الصفات المشينة تحت اقسى عناوين الخيبة والتضليل والغش، في معركة الارض المقدسة التي خاضوا غمارها ضد عدو دخيل ، كانوا فيه اكثر منه عدة وعددا الا انه كان اكثر منهم تصميما وعزما ، فصدق فينا القول المأثور ان هزيمتنا لم تكن من قلة اذ نحن ولا شك كثيرون ، ولكن كثرة غثاء السيل الذي يرغي ويزبد ثم يتلاشى هباء . ورضي الله عن سيف الاسلام سيدنا خالد بن الوليد حين قال : « انما تكثر الجنود بالنصر وتقل بالخذلان»

اجل ، لقد كانت ايام الروع التي تعاقبت علينا بعد الخامس من يوليو صدمة صاعقة ايقظتنا من غفلتنا وفتحت عيوننا على الحقيقة الصادعة ، فوجدنا انفسنا فجاة ، وبدون توقع ولا انتظار ، في غير المكان الذي وضعتنا فيه اقوال المتزعمين على مقدراتنا ، هذه الاقوال التي اوقروا بها آذاننا فيما كانوا يذيعونه من مطولات الخطب ، وحشوا بهرائها افهامنا مما كانوا يلفقونه من ادعاءات ، فلما احتكت الركاب بالركاب واشتجرت آلات الحرب فوق الارض وعلى سطح البحر وفوق السحاب .. خطمتنا الاحداث الفاجعة من آنافنا التي كانت من قبل المعاطي الشماء ، والقتنا كالثوب الخلق على قارعة الحياة ، بعيدا عما كان لنا من كرامة الانسان ، وعزة الوطن ، وقدسية الايمان ، لنصبح بين عشية وضحاها اوزاعا من المتهالكين في تيه التشرد والهوان ، تتقاذفنا الاماني المهيضة بين عواصم العالم ما بين مشرق الارض ومغربها ، لنقف متسكعين على ابواب الامم ، دولا ومنظمات تستجدي من الغرباء عنا في الدين والقومية والبلد ، حقا حملته عواتقنا من آبائنا سليما عزيزا واسلمناه الى عدونا ذليلا مهينا ، ويا للعيب الذي ما بعده عيب !

وليس يجدينا فتيلا ، ولا يغير من واقعنا ، ما نحاوله بعد الذي اصابنا من مكروه ما نحرك فيه لساننا بزخرف القول المنمق فوق منابر المؤسسات الدولية، او ما نشرع له اقلامنا على متن اوراق باهتة نذروها تحت انظار الناس ، محشوة بالدعاية الجوفاء في جهود يائسة ، لتبرير فشلنا الجماعي امام الراي العام العالمي الذي لا يمكن بحال ان يكذب ما تراه عيونه في فلسطين من احتلالها بالصهيونيين المنتصرين ليصدق ما تسمعه آذانه من طنين المهزومين من العرب الذين يعيشون مشردين تحت خيام البؤس والذل المشين ! . .

على انه جدير بنا ، بعد هذا الذي آل اليه امرنا من الواقع الاليم والخسران المبين ، ان نواجه انفسنا بسؤال واحد صريح وهو :

لماذ انهزمنا ونحن اصحاب الحق وانتصر اعداؤنا وهم اتباع الباطل ؟ . . ثم لا نجرب ان نبحث عن الجواب لهذا السؤال ، خارج نطاق انفسنا ولا بعيدا عن حقيقة وضعنا وصميم حالتنا ، ذلك ان تحديد الدواء لا يمكن ان يتم الا بعد تحديد مصدر الداء في صراحة لا تغشاها مواربة ، وشجاعة لا يعروها تهرب ، وجراة لا يثقلها الحياء .

فليس عيبا ان نكون ضحايا بريئة لتجربة خاطئة، بل العيب كل العيب ان نكون ضحايا غشيمة لتجربة فاشلة ، وان نستمر في هذه التجربة بالرغم من المآسي المريرة التي فرضها علينا هذا الخطأ الذي ظهرت معالمه وآثاره لكل ذي عينين سليمتين ، او كما قال الله عز وجل : « لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد » ! . . .

« لماذا انهزمنا ونحن اصحاب الحق وانتصر اعداؤنا وهم اتباع الباطل ؟ . . »

واذا كنا من وراء هذا السؤال ، نتطلع الى جواب لا يعوزه الجد ولا تنقصه الصراحة ، اذن فلن نحاول محاكاة الببغاء في ترديد المعاد من الخطابات البهلوانية التي حرص اصحابها على اظهار « شعاراتهم » في اللعب على الالفاظ لالقاء شبكة من التمويه والتضليل على عقول سامعيهم تمكنهم من انتزاع هتاف هؤلاء المظللين (بالفتح) حرصا على ما بين أيديهم من السلطان عليهم والتحكم فيهم ، ولن نحاول اجترار نفس الكلمات التي قفزت الى افواه هؤلاء المسؤولين ، فراحوا يتشدقون بها في ساعة من ساعات الدهشة التي فرضتها الطعنة النجلاء في قلب كل مسلم من اقصى الارض الى اقصاها يوم خامس يوليو الاسود . ثم ما لبثوا ان تراجعوا عنها وانكروها بعد حين خاسئين او نادمين بعد ان هدات اعصابهم المتوترة ، وزالت دهشتهم العارضة .

ولا ، لن نحاول هذا ولا ذاك ، بل اننا سنعرض عن كل ذلك لنقول بدلا منه الحقيقة التي لا مراء فيها ولا جدل . وهذه الحقيقة في نظرنا ونظر كل واقعي منصف، هي ان بعض قياداتنا التي ارادت الاستقلال بالعمل ، والانفراد بتحمل التبعة ، قد واجهت معركة المصير الحاسمة ، باساليب اقل ما يمكن ان يقال فيها انها كانت تفتقر الى روح الجد والرصانة وانها كانت في الواقع خالية من اي معنى من معاني الشعور بضخامة المسؤولية التاريخية التي تتصدى لها حاسبة ان الانتصار على عدوان اليهود ، ومن وراءهم من قوى البغي والتعصب ، انما يتم من خلال وقفاتهم الصحفية هنا وهناك ، او استعراض العضلات المستعارة من جديد الاسلحة المستوردة بأثمان دفعتها شعوبهم على حساب غذائها وكسائها ، وفي بعض الاحيان ، دينها وعقيدتها عبر المقالات الفاشرة في الصحف الرسمية الموجهة (بالفتح) .

وبكلمة اخرى ، يمكننا ان نقول بأعلى صوتنا وملء افواهنا ، ان قيادتنا يوم خامس يوليو وماتلاه ، بل وقبل هذا التاريخ المشؤوم ، كانت دون المستوى الذي تتطلبه الاحداث المحيطة بالبلاد العربية ودون مستوى الظروف القومية التي نشأت عن السرطان الصهيوني القاتل الذي زرعته الاحقاد الاستعمارية التاريخية في قلب هذه البلاد . فلما ان زفت الآزفة ووقعت الواقعة، وارتفع ضجيج النذر الحربية وابتدات بالفعل حركة العدو الزنيم بالغدر اللئيم في عباب الجو وفوق متن التراب في مناورة عسكرية صاعقة . . عند ذاك اصيبت هذه القيادة بالذهول حتى درجة الخبل الذي عطل في اجهزتها المختلفة كل امكانيات الدفاع والمقاومة والصمود فضلا عن الهجوم الذي كانت تمني به شعوبها طيلة سنوات وسنوات ، وكان ما كان مما حصل من الهزيمة النكراء التي حاقت بنا على مختلف الجبهات الحربية عند الحدود وعبرها ، وجعلت امتنا الجريحة ترزح ، ليس فقط تحت دبابات العدو وقنابله المدمرة ، بل تحت وطاة سخرية الشامتين وخيبة المحبين ، كما كشفت مقاتلنا امام اولئك القوم الطغام الذين يتربصون بنا للقضاء ، في الوقت المناسب ، على ما كان يبدو فينا من بوادر اليقظة وملامح الانطلاق من جديد لاستئناف مسيرتنا الوطنية في دروب الكرامة والحرية والوحدة المنشـــودة ! . .

اما هذه الحقيقة المخزية التي حولت جذوة حماسنا الوطني الى رماد بارد ، قد اصبح لزاما على امتنا ان ترجع الى نفسها وتبحث في اعماقها الصميمة عن قيادة جديدة ، جديرة بأن ترقأ من عيون بؤسائها الدموع وتمسح عن معالمها غبار الخراب ، وتضمد عن ترابها جراح الاحتلال ، ثم تسير من عظة هذا الواقع المؤلم مستوية على اقدامها بوحي من ايمانها بربها وثقتها برسالتها ، لاستئناف وجودها على قواعد نفسية متينة واسس فكرية سليمة لتستعيد باقرب وقت ممكن ما فقدته في هذه المعركة الخاسرة من اعتبار ومكانة بين الشعوب والامم ! ..

ولكن ، كيف يكون هذا البحث عن القيادة الجديدة ؟

مرة اخرى ، نعود بالجرأة والصراحة والحزم ونقول :

بالنسبة للامم التي انشبت فيها الاحداث الفاجعة اظافرها السامة واستهلكتها ، وطوت صفحتها في الغابرين . فان هذا السؤال يبقى ، دون شك ، عالقا في الفراغ والصمت المطبق ، ومن العبث وروده في مورد الجد والتصميم .

اما بالنسبة للامم الحية التي تكمن في كيانها روح الخلود والصمود في وجه ما يعترضها من متاعب وعقبات وعثرات ، فان هذا السؤال ، يجد فورا ما يصلح للاجابة عليه ، ذلك ان مثل هذه الامم لا يمكن للحوادث والاحداث مهما كانت آثارها بالغة ان تنال مما هو كامن في ذاتها واعماقها من جرثومة التحدي وعنصر الحياة ، وليس من شك في ان امتنا التي صهرها الاسلام بحرارته الرسالية المبدعة ، هي من هذه الامم الاخيرة ، كما اثبتت ذلك الظروف الكثيرة التي اناخت بكلكلها الفادح على مقدراتها في اكثر من مناسبة من مناسبات تطورها التاريخي منذ فجر الاسلام حتى اليوم .

واذا نحن عدنا الى المراحل المختلفة التي مرت على الاسلام والمسلمين خلال اربعة عشر قرنا من الزمان ، اذا نحن عدنا الى هذه المراحل ، فاننا نجد ديننا الاسلامي واسلافنا المسلمين دائما اقوى من كل المحاولات المجرمة التي واجهتهما بها قوى باطنية مخاتلة وخارجية عاتية ، لم تدخر جهدا من اجل شدهما مباشرة ، او من وراء ستار الى هوة الفناء السحيقة . وعبثا حاولت هذه القوى ان تبلغ غايتها منهما . فلقد كان الاسلام والمسلمون دائما وابدا ينفضان عنهما غبار الظروف العاقة التي يمران بها ليعاودا اثبات وجودهما الكريم في طليعة الامم ليؤديا الرسالة الحضارية التقدمية التي اختارتها لهما العناية الالهية بكل حيوية وايمان ، وبكل ثقة واطمئنان ، بشكل اوقع الحيرة والارتباك ، والباس في صفوف الاعداء والخصوم في الخارج ، والكاشحين والمتربصين في الداخل ! .

اذن ، فلم يعد هناك مجال للقلق والاضطراب والتردد ، فان البحث عن جواب التحدي والعمل يجب ان يدور في حدود المعاني التي كانت دائما بمثابة صمام الامان لكياننا القومي والديني في آن واحد ، وهي المعاني الرائعة التي تبدأ بالاسلام وبه تنتهي .

فالاسلام هو القاعدة الالهية التي حمل كبرها الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم ، لتكون اساسا صالحا لجميع منطلقات العمل في هذا الوجود للانسانية على مختلف الوانها ، وفي مختلف ازمانها ؛ ولم يكن هذا الاساس في يوم من الايام قاصرا امكاناته العظيمة على ظرف بعينه ، ولا بيئة بعينها ، ولا فترة بعينها . وانما هو في معطياته الخلاقة التي لا حصر لها ولا حد ، الجواب الوحيد لما يعترض المجتمعات البشرية من العثرات التي تفرضها طبيعة التناقض الملازمة لهذه المجتمعات منذ بداية هذا الكون الى ان يرث الله الارض ومن عليها . وعندما قال الله تعالى بلسان نبيه صلى الله عليه وسلم : « اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا » ، انما اراد جل شأنه ان يفهم العقلاء من عباده ، انه هيأ لهم بالاسلام الوسيلة الفعالة للخروج من مآزقهم ومتاعبهم ومشكلاتهم المستعصية الى نعمة الاستقرار والراحة والازدهار والعيش اللائق الكريم ، وانه لاجل هذا جعل محمدا صلى الله عليه وسلم خاتمة للمصلحين الذين بلغوا رسالته الخالدة لكل زمان ولكل مكان .

فالاسلام وحده هو الذي احال بدو الجزيرة العربية من اشتات تافهة تتوزعهم العصبيات العشائرية الضيقة وتنهشهم الحروب القبلية الرخيصة الى وحدة قومية شاملة تحكم اواصرها وتشد عروتها جذوة الايمان بالخالق الديان ، تغذيهم روح الجماعة المتماسكة تحت راية القرءان .

والاسلام هو الذي مكن لاولئك الحفاة العراة رعاة الشاة والبعير والضأن من ان يأخذوا قياصرة الروم في الغرب ، واكاسرة الفرس في الشرق من

نواصيهم عنوة واقتدارا ليتربعوا فوق عروشهم الباذخة في سيادة العالم ، وقيادة الحضارة .

والاسلام هو الذي زلزل الارض وجعلها تميد تحت اقدام الجيوش الاوربية طوال مائتي سنة من الحروب الصليبية ، ثم جعل هذه الجيوش التي اعمى ابصارها الجشع والطمع والشره ، الى امتصاص الدماء وتخريب العمران ، تتكفىء خاسئة مدحورة من حيث اتت لم تغن عنها كثرة العدد ولا قوة العدد ، ولا جبروت اباطرتها ولا احقاد رهابينها .

والاسلام هو الذي طاطا له هامات الغزاة من البرابرة المتوحشين حين كبح موجتهم المرعبة ، وصد جحافلهم المفزعة عن تقويض دعائم الحضارة وتدمير معالمها ، ثم لجم هولاكو وجنكيز خان وتيمور لنك عن اغراق آسيا وافريقيا واوربا بويلات الحرب المدمرة التي لولا هذا الدين واهله كادت تترك هذه القارات الثلاث قاعا صفصفا كأنها لم تغن بالامس ولم تعرف الوجود ولا الحياة !

والاسلام هو الذي اخرج الاتراك العثمانيين من تحت الخيام التي لم تعرف الاستقرار ، وحمل جموعهم التي آمنت به على صهوات الخيول عبر مجاهل آسيا الى ان بلغ بهم اسوار فيينا ، ورفع ايديهم القوية بالرماح المشرعة ليدقوا باسنتها الحادة ابواب هذه المدينة ذات الاسوار المنيعة والابراج الحصينة مرتين في خلال قرنين ، وهموا بافتتاحها لولا ان تضافرت عليهم قوات الخصوم الالداء بقضها وقضيضها ،وخيلها ورجلها . فلما زالت وطاة هؤلاء العثمانيين لم تزل هيبتهم ، بل بقيت جاثمة بالخوف والرعب تعبر عنها سطور حفرها هلع القرب وفزعه بكلمات من الصخر الاصم ، قدت على باب كنيسة سان شتيفانو الكبرى ، في عاصمة آل هابسبورغ بالنمسا ، جاء فيها دعاء القارة الوجلة : « اللهم احفظنا من الحريق ومن فيضان الدانوب ومن الاتراك » (اى المسلمين) .

والاسلام هو الذي حرك لسان داهية الانكليز الدهاة ، بالكلمة التي اصبحت على الدهر مثلا تردده الاجيال ، جيلا بعد جيل ، في كل لسان لكل انسان : « لن يهزم المسلمون وفي ايديهم القرءان » !

اجل ، ان الاسلام هو وحده قد فعل كل ذلك ، سواء في الماضي البعيد او في الامس القريب ، وهو وحده القادر على ان يكون في الحاضر والمستقبل ، الجواب الصحيح في بحثنا عن القيادة التي نحتاجها في مواجهتنا للتحديات التي تجابهنا اليوم باغتصاب اليهود لاوطاننا واحتلالهم لمقدساتنا واذلالهم لكرامتنا وتهديدهم لكياننا .

ولعل المسلمين اليوم ، ما يزالون يذكرون ما حصل لاسلافهم بالامس ، وذلك يوم طلب سيدنا عمر ابن الخطاب رضي الله عنه البطل المسلم الكبير سيدنا خالد بن الوليد رضي الله عنه ان يعتزل القيادة ويستمر في المعركة جنديا متواضعا تحت قيادة ابي عبيدة بن الجراح رضى الله عنه ، وقال قولته المشهورة :

« والله ما عزلت خالد لريبة في دينه ولا شكا في قيادته ، ولكن خفت ان يفتتن به المسلمون فيحسبون انهم ينتصرون بخالد ، وليس بالاسلام ، فاردت ان يعرفوا انهم وخالد انما ينتصرون بالاسلام . »

اجل ، بالاسلام تم انتصار المسلمين من قبل . وبالاسلام سيتم انتصار المسلمين الان ومن بعد .

واذا لم يكن بد من ختام لهذا الكلام فاننا نقول في صراحة لا تشوبها شائبة من التردد وفي ثقة لا تحمل اى معنى من معاني الشك :

ان الحل الاول لمشكلتنا الراهنة مع الاستعمار اللئيم والصهيونية الفاجرة ، هو الحل الاخير .. انه الاسلام ايها المسلمون .

اوليس قد اعلن ذلك الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم حين قال منذ اربعة عشر قرنا : « انه لا يصلح آخر هذه الامة الا بما صلح به اولها » ! .

بيروت : طه الولي



رسالة قصيرة تتضمن أمورا هامة

لأبي الأعلى المودودي
أمير الجماعة الاسلامية في باكستان

انعقد فى اسلام اباد (باكستان) مؤتمر اسلامي دولي بمناسبة مضي اربعة عشر قرنا على نزول القرآن الكريم فى 10 و 11 و 12 من شباط 1968 م وقد دعا الى هذا المؤتمر معهد البحوث الاسلامية وحضره نحو 20 ممثلا من البلدان الاسلامية والعربية . وكان المشرفون على هذا المؤتمر وجهوا الى الاستاذ ابو الاعلى المودودي الدعوة لالقاءالبحث فيه . الا انه لم يتمكن من ذلك لانحراف صحته واكتفى بكتابة رسالة قصيرة تالية . وبما ان الرسالةتتضمن امورا هامة على قصرها احببنا نقلها الى اللغة العربية ليعم نفعها .

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة المكرم الدكتور فضل الرحمن المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته : وبعد .

كنت وعدتكم ، تلبية لدعوتكم ، بأني سأشارك — باذن الله — الاحتفال الذي تقيمونه فى مناسبة مرور اربعة عشر قرنا على نزول القرآن الكريم، واني سأعد مقالا فى الموضوع الذي اخترتموه لي لالقائه فى هذا الاحتفال . الا انه يؤسفني اني ما كنت اقاسيه من مرض وجع المفاصل منذ عدة شهور ماضية قد اشتدت وطأته فى شهر رمضان المبارك المنصرم . ولا يزال فى ازدياد واشتداد ، حيث اقعدني عن السفر . كما اني لا اكاد استطيع لاجله القيام بعمل جاد ذهني . وعلى هذا ، فاني لم اتمكن من اعداد البحث ، واجد نفسي مضطرا للمعذرة اليكم لعدم مقدرتي على المشاركة فى هذا الاحتفال المبارك .

وسأكون لكم جد شاكر لو تكرمتم بتبليغ سلامي وترحيبي للاخوان المشاركين ، واحاطتهم باني اشاركهم قلبا وقالبا فى الغاية السامية التى هم اجتمعوا لاجلها داعيا المولى الكريم ان يوفقني واياهم للفهم السليم لكتابه ، ولتبليغه السليم فى هذه المرحلة الحرجة من مراحل التاريخ . ولتطبيق احكامه فى مسائل الحياة الحساسة بطريقة سليمة . ان الله عز وجل لما انزل كتابه على آخر انبيائه صلى الله عليه وسلم انزله معلنا بانه اكمل دينه . ولن يبعث بعد ذلك نبيا جديدا ولن ينزل كتابا جديدا من عنده . وهذا الاعلان نفسه يتضمن حقيقة ناصعة هي ان القرآن هداية ثابتة خالدة لكافة النوع البشري فى جميع الازمنة والامكنة . اذ لو ثبتت هدايته غير كافية او اصبحت مفتقرة الى الاكمال والتنمية فى عصر من العصور او فى قطر من الاقطار او فى وضع من اوضاع المجتمع الانساني لكان يعني ذلك عدم صحة ما اعلنه الله . ومعاذ الله سبحانه وتعالى عن ان يكون فى كلامه شائبة من الخطا . ولاجل ذلك

يجب علينا ، كمسلمين ، ان نقرر في كل شأن من شؤون حياتنا كنقطة الانطلاق : ان هذا الكتاب هو المصدر الحقيقي للهداية نستمد منه كل ما نحتاج اليه من التوجيه .

والسؤال عن « نقطة الانطلاق » هذه هو الموضوع الوحيد الذي له اهمية بالغة اليوم بالنسبة لجميع اهل العلم والراي من المسلمين في انحاء العالم، وان كانت مهمتنا الرئيسية تتركز على ان ندعو الدنيا الى هداية الله . الا انه من سوء حظنا ان السيطرة الشاملة للحضارة المادية في العصر الحاضر اثارت فينا ، معشر المسلمين ، انفسهم تساؤلا : هل حقا نعتبر القرآن مصدرا حقيقيا للهداية في جميع شؤوننا للحياة ؟ واذا اعتبرناه كذلك ، فهل نعتبره جادين مخلصين ؟ واننا ما دمنا لا نحل هذا السؤال في حد انفسنا لا نستطيع ان نحقق مهمتنا العالمية التي كلفنا بها كامة اخرجت للناس . وسنكون سعداء في منتهى السعادة لو فتحنا القرن الخامس عشر من نزول القرآن بجواب صريح حاسم على هذا السؤال .

ان هناك من عناصر في الطبقات التي بيدها ازمة التوجيه والقيادة لا تعتبر القرآن مصدرا للهداية في الحقيقة ، او تشك فيه على الاقل . فهؤلاء يفتقرون الى دلائل تقنعهم على ان الانسان كائن لا مندوحة له من هداية الله تعالى ، وان القرآن كتاب منزل منه سبحانه ، وهو كتاب شامل مأمون يحتوي على توجيه خالد ابدي .

وهناك اناس آخرون سولت لهم انفسهم الفكرة القائلة بفصل الدين عن الدنيا . وكل فرد منهم يجعل هداية الله مقصورة في اطار تصوره المحدود للدين . ولن تزول شبهات هؤلاء القوم ما دامت لا توجه ضربة قاضية على فكرة فصل الدين عن الدنيا ، وما دام لا يثبت بدلائل ناصعة قوية كون الانسان في حاجة الى هداية الله ، في جميع شؤون حياته ، وكون القرآن كتابا يهدي الى سواء السبيل في جميع شؤون الحياة من اصغرها الى اكبرها .

وهناك نوع ثالث من الناس يقرون بشمول هداية القرآن وكماله وخلوده . الا انه لما ينشأ السؤال حول استمداد الهداية منه ، وراينا بعضهم يلتفت الى مصادر غير القرآن يستورد منها الافكار والمبادىء ، ثم يكرس جهوده في جعل القرآن يؤيدها ويصادق عليها . وراينا بعضهم يحاول ان يستخرج من القرآن التعاليم التي تصل اليها عقليته هو من خلال الفاظ القرآن ، لا بقطع صلة القرآن بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم فحسب ، بل بصرف النظر عما حققه علماء هذه الامة وفقهاؤها ومفسروها من اعمال جسيمة في شرح معاني القرآن واستنباط الاصول والفروع من تعاليمه . وهذه الاتجاهات في باب الارتشاف من النبع الالهي لا نجد اي رجل عنده حظ من العقل ان يراها صورة صحيحة سليمة من الاستنارة بنور الهدى الالهي . كما لا يمكن ان ينشأ على اساسها نظام موحد من الفكر والعمل للامة الاسلامية . لانه من المستبعد ان يقبل ضمير الامة هذا النوع من التفسير في جانب ، وفي الجانب الاخر لا يمكن أن يجمع هذا النمط من المفسرين على تفسيراتهم . ولن يتولد من ازدهار هذه الاتجاهات الا المزيد من الخلافات في الامة المسلمة واثارة شبهات وعقد جديدة في اذهان المسلمين نحو دينهم وكتابهم . وبدل ان يلعبوا دورهم العظيم في دعوة الناس الى هداية الله يصبحون هم انفسهم ضحية الحيرة والتخبط في حقيقة هداية الله نفسها . وليس من العلاج لما يعاني هؤلاء القوم في باب القرآن ، أن يوجه اليهم الطعن أو التقريع أو التأنيب ، بل انهم — في الحقيقة — يحتاجون الى من يرشدهم الى الطريق القويم للاستفادة من هداية القرآن بوسائل اقناعية وبراهين معقولة ، ويكشف لهم خطأ الطريق الذي يسلكونه في هذا الشأن .

والذين قد ضنت بهم رحمة الله من أن يقعوا في هذه الزلات ينشأ السؤال في شأنهم ايضا ، وهو : الى اي مدى هم جادون في اعتبار القرآن مصدرا حقيقيا للهداية ؟ ولا يقتصر معنى (الجدية) في هذا الصدد ان نكون مخلصين في ايماننا بالقرآن ككتاب الهداية فقط ، أو أن نكتفي باعلان هذا الايمان والبوح به ، بل الذي يقتضيه كوننا جادين كل الجدية في هذا الباب أن نرجع الى هذا المصدر كل ما يتعلق بحياتنا الفردية والجماعية في واقع الامر ، وان نفرغ فعلا اخلاقنا وسلوكنا في الحياة ، وقوانيننا ، وحضارتنا ، ونظمنا للتعليم والتربية ونظمنا للاقتصاد والسياسة في قوالب الهداية التي يأخذ بنا القرآن اليها . والذي اشعر به واشاهده: اما ينعدم هذا المستوى من الجدية في طبقات تتولى أمر هذه الامة مع كونهم على اعتقاد صحيح بالقرآن . او لا تصل هذه الجدية المستوى المطلوب ان لم تنعدم فيهم كليا . وعلينا نستنفد جهدنا ، قبل كل شيء في خلق الجدية هذه فيهم . لانها ما دامت لا تتولد هي لا تعدو جميع بحوثنا العلمية ، في تطبيق تعاليم القرآن في مسائل الحياة ، حبرا على الورق حيث لا تجدي بشيء

في دنيا الواقع . وان الدنيا لن تقتنع ابدا بحقية الاسلام من خلال البحوث التجريدية الفارغة بل لابد من اقناعها بذلك من ان يتمثل الاسلام في حياتنا القومية الواقعية . وبدون ذلك مهما بذلنا جهودنا في تبليغ الاسلام لا تجد الدنيا أمام اعينها الا علامة الاستفهام التي تنم عن تساؤل : هل ان هذه الامة التي لا يتجاوز دينها حدود المساجد ، والتي تتبع مبادىء الاجانب وافكارهم . وتنتهج نهجهم في الحضارة والتشريع والتصورات للحياة — هل ان هذه الامة تؤمن بحقية الاسلام في واقع الامر ؟

هذه بضعة أمور أريد أن استفلت انظار هذا الاجتماع الجليل الذي يتألف من رجالات العلم والفكر والدعوة . آملا ان يعطوها ما تستحق من العناية . وبالله التوفيق وعليه توكلت واليه أنيب .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، أولا وآخرا

أبو الاعلى المودودي

(أمير الجماعة الاسلامية في باكستان)

الجــدي .. والذئــب ..

شتم جدي على سطح ذئبا مر تحته ، فقال الذئب : « لم تشتمني انت ، وانما شتمني مكانك !! »

* * *

قال الحائط للوتد : لم تشقني ؟ قال : سل من يدقني .



صعوبة اخرى ، او الصعوبة الرئيسية ، هي التي يثيرها وضع المراة في الاسلام . لقد تقدم ان قلنا ان المراة مساوية للرجل . بيد ان الاحوال الشرعية الخاصة بها تؤدي بكثير من الباحثين الى الاعتقاد بان ليس هناك تعادل ، مطلقا ، معتمدين على ما ياتي :

ا ـ بينما يبدو تعدد الزوجات مباحا ، فان تعدد الازواج ، بالنسبة للمراة ، على اي شكل ومهما كانت الظروف ، يعتبر فحشا واجراما يستوجبان اشد العقاب ، في الدنيا والاخرة .

ب ـ يسمح للمؤمن ان يتزوج بـ « كتابية » (دون ارغامها على ان تسلم) ، في حين انه لا يجوز للمراة ان تتزوج بغير المسلم (قرءان : 89 17)

ج ـ ينفرد الزوج وحده بحق الطلاق .

د ـ ويضاف ، الى هذه القائمة ، ان النصيب الذي ترثه المراة يقل دائما عن نصيب الرجل : « يوصيكم الله في اولادكم ، للذكر مثل حظ الانثيين » (4 : 11 و 176) .

هـ ـ ليس لشهادة المراة نفس القيمة الشرعية التي لشهادة الرجل ، امام المحاكم .

اذا كان هذا هو الوضع ، ايمكننا ان نتكلم عن « شخصانية اسلامية » ؟

نعم ، بكل تأكيد ، فيكفي الرجوع الى القرءان والسنة .

ا ـ تعدد الزوجات :

يحض القرءان ، حضا شديدا ، على الزواج الاحدي ، ولنقتنع بذلك سنتامل السورة المدنية (4) الايات 3 و 4 ، والايات من 137 الى 130 ، وقبل ان نستشهد بتلك الايات ونعلق عليها ، فلنبد ملاحظات اولية .

* * *

لم يكن تعدد الزوجات قط واجبا ولا مستحبا . بل ، على العكس من ذلك ، للزوجة الحق بأن تضيف ، الى عقد الزواج ، شروطا تلزم الزوج باحترام الزواج الاحدي ، ولا يضارها ، وان يؤدي لها تعويضات في حالة الطلاق .

وللزوجة ايضا ان تطالب القاضي بفسخ الزواج كلما وجدت اسباب مقبولة (مثلا : ان يعاملها الزوج بقسوة، او ان تتعرض لسب لاذع او لخطر في معاشرته، وكأن يكون عاجزا جنسيا ، او احمق ، او مصابا بمرض معدي) .

واخيرا بامكان الزوجة ان تطلب فسخ عقد الزواج اذا رفض الزوج ان يقاسمها فراشه عن ارادة ، او ان يجعلها تعاني من تعسفاته الشبقية ، او ان يرفض دفع المؤونة بما يلائم كرامتها .

لنتأمل الان السورة (4) « سورة النساء » ، فيها آيات كثيرة ، بعضها يتصل بتعدد الزوجات ، والبعض الاخر يتحدث عن الزواج بكيفية عامة ، وها افتتاح السورة :

« يا ايها الناس !
اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة ،
وخلق منها زوجها ،
وبث منها رجالا كثيرا ونساء .
واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام .
ان الله كان عليكم رقيبا » .

فهناك ، اذن ، بين الجنسين ، في اصل التكوين ، تساو مطلق ، تام ، يرتكز على روابط «المودة والرحمة»، كما تؤكده آية اخرى :

« ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها ،

وجعل بينكم مودة ورحمة ،
ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون » (30 : 21) .

بعد التمهيد ، تحدد « سورة النساء » العلاقات الزوجية : في امكان الزوج ان يتخذ اكثر من زوجة ، على شرط ان يعدل تجاه جميع ازواجه :

« فان خفتم الا تعدلوا ، فواحدة (. . .) ، ذلك ادنى الا تعولوا » (4 : 3)

وتشتمل « سورة النساء » على تعاليم اخرى تتعلق بالزواج وتعدد الزوجات (من 126 الى 130) :

« ويستفتونك في النساء . قل :
الله يفتيكم فيهن ،

وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون ان تنكحوهن ،

والمستضعفين من الولدان ،
وان تقوموا لليتامى بالقسط .

وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما » (1) .

كثيرا ما يتحدث القرءان عن الزواج بيتامى النساء لانهن ، ان لم يحمهن الشرع ، يتعرضن لبعض الاوصياء الذين يتزوجونهن طمعا في ثروتهن . فالاسلام يرمي ، بصفة عامة ، الى حماية المراة ضد كل محاولة تعسف او ظلم من جانب الزوج :

« وان امراة خافت من بعلها نشوزا او اعراضا ،
فلا جناح عليهما ان يصالحا بينهما صلحا .
والصلح خير .
واحضرت الانفس الشح .

وان تحسنوا وتتقوا ، فان الله كان بما تعملون خبيرا » (4 : 127) .

ان التقوى ، اذن ، تتمثل في الاذعان للاوامر الالاهية ، ولا يخفى على الله شيء من نياتنا او افعالنا . فالفضيلة الاساسية هي العدالة ، خصوصا ازاء الزوجة :

« ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم !

فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة .
وان تصلحوا وتتقوا ، فان الله كان غفورا رحيما ،
وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته ،
وكان الله واسعا حكيما » (4 : 128 130) .

* * *

من هذه الايات يتضح موقف الاسلام ازاء تعدد الزوجات : فهو اذ يدخله من النافذة ، يخرجه من الباب ، ان صح هذا التعبير . فالاسلام يصل بنا الى تحريم ضمني لتعدد الزوجات لكثرة ما وضع من قيود، كالمطالبة بالانصاف ، والنزاهة بين جميع الزوجات ، وهذا من قبيل المستحيل :

« ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ، ولو حرصتم » . (4 : 129) .

فعلى الذي يرجو رضاء الله ويخاف الوقوع في الظلم ان يختار الزواج الاحدي :

« ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد » (50 : 36 — 37) .

لذا توصل الكثير من المعتزلة الى ان كل المحاولات لتحقيق العدل محكوم عليها بالاخفاق ، فارتأوا القول بتحريم التعدد احتراما لامر الله . ثم ان

---

1) يجب ان تؤخذ كلمة « يتيم » ، التي وردت مرتين بهذه الاية ، في معناها الواسع : فهي تدل على كل شخص ضعيف لا حماية له ، كاليتامى (في المعنى الدقيق للكلمة) والمستضعف ، عاطفيا او ماديا ، اي الذين يمكن ان يستغلوا ، وكذلك الاقليات ان تحمى كي لا تصاب باهانة .

المستقرىء لتفسير المنار ليجد ان الاستاذ الامام لم يكن بعيدا عن هذا الاتجاه . فهل من المتيسر لرجل (الا ان يعزز بنور النبوة) ان يعدد الزوجات ويكون، في نفس الوقت ، كريما مع اهله ، تماشيا مع الحديث

« ما اكرم النساء الا كريم ، ولا اهانهن الا لئيم » ؟ (1) فاكرام الاهل لا يكتمل دون خلق سوي ؛ و « العدل » منطلق كل الاخلاق ، وان « اكمل المؤمنين ايمانا احسنهم خلقا ، وخياركم خياركم لنسائهم » (2).

قد اشترط في اباحة تعدد الزوجات « ما يصعب تحققه ، **فكأنه نهى عن كثرة الازواج** . وتقدم انه **يحرم على من خاف عدم العدل أن يتزوج أكثر من واحدة»(3)**

* * *

فلنأخذ النصوص المتعلقة بتعدد الزوجات ، دون تأويل ، كما يفهمها المقلدون الحرفيون . فحتى في هذه الحالة ، نجد ان الاسلام لم يكن « رجعيا » في مواقفه من المراة . لقد خطا بتحرير المراة خطوات ثورية الى الامام .

من ذلك انه حصر الحد الاعلى لعدد الزوجات في اربع ، وقد كان من قبل لا يتقيد بحد ، خصوصا لدى البدو ، ونحن على علم من ان البدو قوم لم يكونوا يعرفون كيف يلجمون جموحهم .

وحرم الاسلام **زواج الرهط** ، اي تعدد الرجال بالنسبة للمراة الواحدة ،

كما قضى على **زواج البدل** (كان الرجال يتبادلون نساءهم ، وطبعا النساء يتبادلون رجالهن).

وعلى **زواج الاستبضاع** (الزام الرجل زوجته ان تطأ فراش فارس مرموق او نبيل عزيز اشتهر بشيم البدو المفضلة ، وذلك رغبة في استنجاب ولد يرث تلك الخصال) .

ونضيف ، في ميدان تحرير المراة ، محاربة الاسلام لاعراف أخرى تعادي الكرامة الانسانية ، مثل **الاعضال** (اي مهاجرة الرجل لزوجته ، لا يضاجعها ليرغمها على ان تتنازل له عن حقها في المهر).

واخيرا ، بفضل الاسلام ، لم يعد الرجل يرث من جملة ما يرثه من اخيه او ابيه ، المراة ، فيتزوجها دون صداق ، او يتركها تتزوج غيره ويأخذ هو صداقها.

ب ـ المساواة بين الرجل والمراة :

تحتفظ المراة باسمها (الاسم العلم) لانه صميمي في « أناها » ، فلا تتنازل عنه لتحمل اسم زوجها . ان الزواج لا يضعف من شخصية المراة ، فهي ليست « مدام فلان ... واسم ولادتها كذا ... » بل انها ، وستبقى ، كل حياتها ، تحمل الاسم الذي حملته منذ الولادة . نعم ، لكل امراة الحرية لتعطي لنفسها اي اسم شاءت ، لكن ليس هناك في الاسلام قانون يفرض عليها ان تنسلخ عن شخصيتها لفائدة اسم الزوج .

يحتوي القانون الشخصي للمراة على كثير من الحقوق ، مثل الحق في الزواج ، والحق في تكوين اسرة ، والحق في الارث وفي الملكية الشخصية (ويكون الارث والمكتسبات ممتلكات خاصة بها ، بكيفية مطلقة ، يحميها الدين ضد كل تدخل خارجي ، ولو كان تدخل الزوج نفسه) .

لكن ، بالرغم عن ذلك ، **يلاحظ ان حظ المراة في الميراث نصف حظ اخيها** . الا يعد هذا نقصانا في مبدأ المساواة بين الرجل والمراة ؟

الجواب على هذا الاعتراض يتضح ان اعتبرنا ان الرجل هو الذي يؤدي المهر ، عند الزواج ، وان المهر يصبح ملكا شخصيا للزوجة ، بينما الزوج يتحمل وحده كل نفقات الاسرة ، وان تحمل هذه التكاليف يمكن عده تعويضا فيه نوع من العدل والمساواة (4) . فنظرا لما للمراة من حقوق ، ومن حرية التصرف في ممتلكاتها يلزمها ان تتحمل المسؤوليات المنوطة بذلك ، لتقوم بدور داخل الاسرة وداخل الامة . فالواقعية الواعية « لاناها » وكثافته المجتمعية يرتكزان على مجموع الحقوق : **ان المراة شخص** .

---

1) الترميذي .
2) الترميذي .
3) **تفسير المنار** ، ج 4 ، ص 350 ، ط 4
4) انظر : محمد رشيد رضا ، **نداء الى الجنس اللطيف** ، ص 10 . وسعيد الافغاني ، **الاسلام والمراة، دار الفكر** ، دمشق (ط 2 ، 1964) ، ومحمد المهدي الحجوي ، **المراة بين الشرع والقانون** ، الدار البيضا ، 1967 ، دار الكتاب .

باضافة الى تحرير المراة من نير القبيلة ، ومن العادات التابورية (Tabou) ، ومن اعراف العصر الجاهلي (1) ، فقد اعطاها الاسلام حريات اساسية ، وخصها باطار قانوني يمكنها من الحصول على حريات اخرى (الحقوق المدنية ، والحق في العمل ...) فبامكان المراة ، داخل هذا الاطار ، ان تكافح لتساير ركب تطور الانسانية . ان القرءان يقرن ، دائما ، المراة بالرجل ، في كل الحالات ، فلم تعد شيئا من اشياء الرجل ، بل قرينته وكفا له . يجب ان تتحقق هذه المساواة ، في جو مفعم بحب خالص . وتتبلور قداسة هذا الحب في احاديث يمكننا اعتبارها اثارة ، والهاما شعريا ، وتكريما رائعا ! « المودة والرحمة » بين الزوجين (2) :

« ما من رجل اخذ بيد امراته يراودها الا كتب الله تعالى له حسنة . فان عانقها فعشر حسنات . فان اتاها كان خيرا من الدنيا وما فيها ... » (3) .

« خيار ، الرجال من امتي خيارهم لنسائهم . وخير النساء من امتي خيرهن لازواجهن ، يرفع لكل امراة منهن كل يوم وليلة اجر الف شهيد قتلوا في سبيل الله ، صابرين محتسبين ... » (4) .

« ... ما من امراة حملت من زوجها حين تحمل الا كان لها من الاجر مثل القائم ليله ، والصائم نهاره ، والغازي في سبيل الله تعالى . وما من امراة ياتيها طلق الا كان لها ، بكل طلقة ، عتق نسمة ، وبكل رضعة عتق رقبة . فاذا فطمت ولدها ، ناداها مناديا من السماء : ايتها المراة ! قد كفيت العمل فيما مضى ، فاستانفي العمل فيما بقي ... » (5) .

بلغت المرا بفضل الاسلام ، درجة عليا من التطور . ولئن كانت مجرد درجة وغير نهائية ، فانها درجة حاسمة . لقد حلت الفردية الدينية .. والشخصية الشرعية محل الاندماجية القبلية ، فانفصل الفرد عن روح القطيع الجماعي ، واضحى ذاتها وموضوعا ، في اعتبار الفقه ، اذ يتوجه الدين الى كل فرد من افراد الامة ، ويهتم القرءان والسنة والفقه بالمراة نفس الاهتمام بالرجل ؛ انها روح ديمقراطية جديدة .

تتوجه المراة الى الله بنفس الشعائر التي يتعبد بها الرجل : « واذا سالك عبادي عني ، فاني قريب ، اجيب دعوة الداعي اذا دعان . فليستجيبوا لي ، وليومنوا بي لعلهم يرشدون » (2: 186) . فالله ، سبحانه وتعالى طبقا لهذه الاية ، قريب من عباده (وعباد ، على اطلاق الشمول : الذكور والاناث ، على السواء) .

* * *

ج – ثورة من الجذور لكي لا نخرج عن الميدان الذي التزمنا به ، نكتفي بهذه النظرة العامة على المشاكل التي تثيرها وضعية المراة ، والتي يمكن ان توجه ضد الشخصانية الاسلامية . ولكنها ، في الواقع ، ترجع جميعها الى الاحوال القانونية للمراة ، لا الى وضع ومصير المراة كشخص .

المراة مساوية ، كامل المساواة ، للرجل . فالشهادة التي تعد الركن الاول للاسلام هي واحدة ومشتركة بينهما . وتلك هي الحال ، ايضا ، بالنسبة للاركان الاربعة الاخرى للدين . نعم ، هناك بين الرجل والمراة بعض الاختلافات ، الا انها لا تتصل ، مطلقا ، بالجانب الانطولوجي ، بل تنحصر في الجانب القانوني الفقهي فقط : « يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي **خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها** ، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء » (4 : 1) .

الرباط : محمد عزيز الحبابي

---

1) كواد البنات . انظر القرءان : 81 : 8 – 9 : «واذا الموؤدة سئلت باي ذنب قتلت » ، وكازدراء الانثى وتفضيل الذكر : « واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم ، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به : ايمسكه على هون ؟ ام يدسه في التراب » (16 : 58 – 59) .
2) قرءان : 30 : 21 .
3) عبد القادر الجيلاني ، **الغنية** ، ج 1 ، ص 44 ، ط 3 ، القاهرة ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي .
4) نفس المرجع ، ص 45 .
5) نفس المرجع ، ص 44 .



يمر الفكر الاسلامي العربي بمرحلة مشابهة للمرحلة التي مر بها خلال الغزو الاجنبي الخارجي ممثلا فى حملات الصليبيين والفرنجة والتتار ، وما اتصل بها من ظهور حركات التشويه واثارة الشبهات حول مضامين الفكر الاسلامي ومقوماته . وقد كانت تلك المرحلة موضع التحدي للمفكرين المسلمين من ناحيتين :

1) من ناحية اعادة صياغة الفكر الاسلامي من جديد بما يمكنه من مواجهة الغزو .

2) من ناحية تفنيد ودحض ما يوجه الى قيم الفكر الاسلامى من شبهات .

ولا شك أن التصدي لهذا العمل خطير ودقيق وشاق ، فهو يتطلب رؤيا كاملة شاملة ـ بعيدة عن الجزئية ، فلا بد من مراجعة كاملة للتراث الاسلامي ولا بد من دراسة شاملة لاحدث آثار الفكر البشري المعاصرة .

والنظر فى الخلفية الدقيقة لحركة التغريب والشعوبية التي شنها الاستعمار على الفكر الاسلامي والثقافة العربية بحسبانها الركيزة الاساسية التي اذا امكن هدمها وازالتها أمكن القضاء على مقومات المسلمين والعرب واذابتهم فى بوتقة الفكر الغربي والحضارة الغربية اتباعا اذلة وعبيدا طائعين .

ومن هنا كان لابد من صبر طويل على مراجعة اثار الفكر الاسلامي والنظر فيه نظرة شاملة مستهدفة البحث عن مقاصد الاسلام واسسه وقيمه التي قام عليها . فان اخطر ما مني به الفكر العربي المعاصر فى نظرته الى القديم والجديد هي :

1) النظرة الجزئية . (2) النظرة التقليدية . (3) اعلاء شان الحضارة على الفكر

ومن حق اننا فى حاجة الى الحضارة من حيث هي تكنولوجيا وعلم لنكون على مستوى الامم ، ولكننا لابد ان نصبغها وفق قيم فكرنا الاساسية وان ندعم اساسا ثقافتنا التي هي القاعدة الثابتة التي تقوم عليها حركة التطور . فلا بد أن تكون قيمنا الثقافية والروحية والاجتماعية أساسا نستمد منه نظرتنا الى الحياة وحركتنا الحضارية .

• وقيمنا الاسلامية العربية قادرة دائما على ان تفتح لنا الطريق لاستعمال الفكر الانساني والحضارة البشرية ولا تردنا عنها ، فنحن اساسا بناتها ، والقائمون على دعائمها الاولى ، فلا بد ان نشارك فى تطورها .

غير أننا لابد أن نقيم صرحا أساسيا من مقومات فكرنا وقيمنا حفاظا على شخصيتنا من أن تذوب في الاممية ، وهذا هو العمل الذي تحول قوى التغريب والشعوبية دون اقامته ، وتعمل بكل ما لديها من قوة النفوذ الاجنبي أن تهدمه ، وتزيل هذه الاسس او تزيفها باضافة مفاهيم غير أصيلة اليها أو قيما وافدة.

ومن هنا ، وقد تضاربت النظرات بين القيم الاصيلة للثقافة العربية المستمدة أصلا من الفكر

الاسلامي ، وبين المفاهيم الوافدة من الثقافات والفلسفات البشرية ، كان لابد ، من اعادة النظر في جذور الثقافة العربية الاسلامية والكشف عن جوهرها ككل وفق قانونها الاساسي القائم على : « الوسطية والتكامل والحركة » .

وكان لابد من التصدي لهذا العمل بالمراجعة الضخمة المستفيضة لاستخلاص هذه القيم ، وتحريره من ذلك الحصار المتراكم الضخم الذي ظل يحتشد في مجرى النهر فيسده ويحول دون الحركة والملاحة . وقد اختلط فيه الجوهر والقشور ، كما احيط بغلاف ضخم ، ليس اصلا منه ، ولكنه من تراث القرون الذي ظل يتكاثف في عصر الضعف والتخلف حتى اصبح اكبر حجما من الجوهر نفسه .

ولقد ظللنا اجيالا طويلة ندرس الفكر الاسلامي من خلال مضخمات واضافات فلا نستطيع ان نتخلص اليه الا من خلال تلك الروايات الطويلة عن الفرق والمذاهب والنحل والاحزاب ، وذلك السجال والمعارك والخلافات والجدل الذي قام بينها حول تفسير نص ، او حول فهم عبارة ، وما ذهب اليه هؤلاء وما ذهب اليه اولئك ، مما اضفى على ذلك التراث الضخم من اغشية كثيفة حالت دون الانتفاع بجوهر ذلك الفكر الذي نماه الاعلام والنوابغ والمفكرون المسلمون خلال تلك الرحلة الطويلة للفكر الاسلامي بما حكمها من قانون اساسي قوامه ان « القرآن » هو حجر الاساس في بناء الفكر الاسلامي والثقافة العربية .

ولقد كان من الضروري ــ ونحن نمر بازمة التغريب ــ ان نغربل هذا الحصاد كله ونستصفيه من تلك الاضافات والزيادات التي تمثل ظروف تطور الفكر الاسلامي على نحو مضطرب يكاد يبدو امام النظرة الخاطفة انه (صراع) ضخم بين العقول المختلفة لايكاد يصل الى غاية .

* * *

والحق ان ذلك الحوار كان طبيعيا في سبيل بناء الفكر الاسلامي على قاعدة اساسية مستمدة من « القرآن » وان العقول الاسلامية من مختلف الاجناس والاديان كان لابد ان تجادل وتبحث وتناقش ، فالفكر الاسلامي مفتوح طلق ، متقبل للنظر في مواجهة كل فلسفات البشرية واديانها ومذاهبها وايدلوجياتها ، وقادر على ان يصل الى الكشف عن الحقيقة في جوهر المعرفة الانسانية .

فليس هذا الجدل عيبا ، ولكنه **من خصائص** الحرية التي عرفها الاسلام ، وليس هو صراع كما يجب ان يصوره بعض خصوم الفكر الاسلامي ، ولكنه محاولة للتوفيق والالتقاء بين وجهات النظر على قاعدة الفكر الاسلامي نفسه : تكاملا ووسيطا وحركة .

فالنظرة الجزئية (ضد التكامل) والنظرة المنحرفة (ضد الوسطية) والنظرة الجامدة (ضد الحركة) هذه النظرات كلها تتعارض مع مفهوم الاسلام، ومن هنا يمضي الجدل والحوار حتى يصل غايته المامونة .

وقد استطاع الفكر الاسلامي بعد مرحلة طويلة من البحث أن يصل الى مفهوم اهل السنة والجماعة التي التقت فيه كل الفرق وصاغ في مضمونه الجوانب الايجابية في مختلف المذاهب والفرق .

وقد انتهت هذه المعارك والمساجلات التي اثارتها الفرق والاحزاب ، وكانت في اغلبها مرتبطة بالسياسة والحكم ، واختفت هذه الفرق نفسها ، ولذلك فان الحاجة الكبرى اليوم للثقافة العربية الاسلامية هي ان تصل الى عصارة هذا الفكر ، وان تستخلص ما توصل اليه الباحثون النوابغ الاعلام من « نظرات » استطاعت ان تضيف اضافات رحبة وبناءة للفكر الاسلامي وان تستصفي هذه النظرات مما اتصل بها من ظروف عابرة لتكون قادرة على اثراء الثقافة العربية اليوم .

* * *

والحق أن هذه النظرات المستمدة اساسا من جوهر الاسلام ومضمون القرآن ما تزال حية نابضة بالحياة ، وما تزال تشكل قوة فكرية حية قادرة على اضاءة الطريق امام الانسان في هذا العصر .

ومن هنا كان لابد ايضا من مراجعة شاملة لنظرات الفلسفات الغربية الحديثة ومقارنتها بهذه النظرات الاسلامية في مجال الكشف عن جوهر الحقيقة التي يستهدفها الفكر الانساني في سعيه نحو الترقي وفي طريقه المفتوح الى التقدم .

* * *

وعيب مؤلفاتنا عن الفكر الاسلامي أن بعضها يتحدث عن جزئيات من هذا الفكر كالحديث عن الغزالي أو ابن تيمية او المعتزلة أو الاشاعرة ، دون ان يربط ذلك بنظرة كلية ، والبعض الآخر يسرد تاريخ الفكر الاسلامي سردا تاريخيا مبينا العصور والاعلام الذين

ظهروا فيها دون ان يربط بينهم أي رباط . كأنما يجري الفكر الاسلامي فى حركة عشوائية لا ينتظمها قانون ولا تضمها خطة محددة .

والواقع غير هذا ، فان حركة تطور الفكر الاسلامي تسير وفق قانون وخطة ، ولها من جذورها الاصيلة وقيمها الاساسية ما يحفظ سلامة المجرى الذي تشقه وما يمكن الروافد التي تنحرف من ان تعود مرة اخرى الى المجرى الكبير . وتلك قاعدة اساسية تلاحق تطور الفكر الاسلامي فى مختلف مراحله ، ولكن كتابنا لا ينظرون هذه النظرة الكلية ويتركون الباحث يتمثل الفكر الاسلامي صورا متوالية كأنما هي منفصلة ، او كأنما يتحرك دون ضابط .

وقليلون اولئك الذين اتفقو على صياغة حركة تطور الفكر الاسلامي وفق قانونه الاساسي : « التكامل والوسطية والحركة » ولكن اغلب الكتب التي بين أيدينا لا تحمل تلك النظرة الشاملة ولا تقيم (كيانا) اساسيا تجري حركة الفكر الاسلامي فى داخله ، فتتعرض للتجزئة والانحراف والجمود ، ثم يغلب عليها قانونها الاساسي فاذا بها تلتمس مرة اخرى جوهر مفاهيمها من المصدر الاول « القرآن » فتعود الى النظرة الشاملة الوسطية .

* * *

والواقع الذي قد يغيب عن اذهان الباحثين هو « وحدة الفكر الاسلامي » وثباته على قيمه الاساسية واستمراره الدائم فى خلال أزماته ، وانحراف مفاهيمه او تجزئتها أو جمودها ، استمدادة من المصدر الاول : « القرآن » .

والحق ان الفكر الاسلامي مر بمرحلتين اساسيتين :

(المرحلة الاولى) مرحلة بناء الفكر الاسلامي واستكمال دعائمه ، وهذه هي المرحلة التي ساد فيها الجدل والسجال طويلا بين الفرق المختلفة حتى استصفى فى القرن الخامس على مفهوم وسط شامل حي هو « مفهوم أهل السنة والجماعة » .

(المرحلة الثانية) وهي مرحلة التطور فى مواجهة الاحداث والازمان ، وهي مرحلة لاتزال مستمرة الى يومنا والى ما بعده ، وهذه المرحلة قد شهدت نظرتين: ماتزالان تتحركان ويمكن ان يلتقيا فى تكامل وتنسيق، وهما النظرة الفقهية والنظرة الصوفية ، وهو ما يمكن ان يعبر عنه بثقافة العقل وثقافة القلب ، وما تزال النظرتان تتقاربان وهما بسبيل الالتقاء فى عصر مرتقب هو عصر « وحدة الفكر الاسلامي » .

والحق ان الخلاف الذي دار بين المفكرين المسلمين وبين مذاهبهم وفرقهم لم يكن خلافا جذريا، وانما كان خلافا فى الفروع والتفاصيل ، فقد التزم الجميع بالقيم الاساسية الاصيلة ، ومن هنا فقد ظل « جوهر » الفكر الاسلامي سليما محتفظا بطابع السماحة والتفتح والحركة والحيوية .

وكان ابرز عوامل الخلاف فى الفكر الاسلامي قائمة بين اعلاء ثقافة العقل او ثقافة القلب ــ بدا ذلك فى مرحلة الاعتزال ، وبدا الآخر فى مرحلة الجبرية التي عمت عالم الاسلام فى القرون الاخيرة ، ومنه انبثقت مرحلة اليقظة التي حمل العرب لواءها ، والتي يمر بها الفكر الاسلامي والثقافة العربية اليوم .

ومفهوم الفكر الاسلامي فى هذا الخلاف واضح وقاطع وصريح :

هو انه جماع : القلب والعقل ، والمادة والروح والدنيا والآخرة ، وان الفصل بين جانب وآخر ، او اعلاء جانب على آخر ، انما يمثل انحرافا عن «وسطية» الفكر الاسلامي وتكامله .

واذا كان المفكرون المسلمون والعرب قد استطاعوا خلال الازمات التي واجهها عالم الاسلام ، اعادة صياغة الفكر الاسلامي على النحو الذي يناسب كل عصر : يجمعون النظرات المتعددة ثم يصفونها ويعيدوا صياغتها على النحو الذي يحقق :

1) تلاقي النزعات المختلفة ، والقضاء على ما بينها من خلاف .

2) تصفية الشوائب وازالة القشور ، والكشف عن الجوهر الاصيل .

وذلك فى سبيل اقامة « وحدة الفكر » ودحض ما يوجه اليه من شبهات ، حتى يكون الفكر الاسلامي دائما على مستوى العصر والحضارات ، قادرا على الالتقاء بها والتفاعل معها ، وتوجيهها واتاحة الفرصة لها لتتحرك ضمن اطاره لا خارجه .

واذا كان المفكرون المسلمون قد استطاعوا القيام بهذا العمل مرات متعددة فما احوجنا اليوم الى عمل مماثل يستهدف استصفاء الفكر الاسلامي من القشور وصور الخلاف والجدل ، وتقديم نظرات فى منهج شامل له طابع الاسلام نفسه : تكاملا ووسطية وحركة .

فاذا نظرنا الى احياء علوم الدين للغزالي او رسائل ابن تيمية ، او مقدمة ابن خلدون ، او حجة الله البالغة للدهلوي خبرنا مثل هذه المحاولات الايجابية التي نحاولها اليوم .

* * *

ولقد كان مأخوذا على المفكرين المسلمين في هذا العصر ، وفي مواجهة ازمة التغريب التي يمر بها عالم الاسلام ، انهم لم يحللوا مبادىء الاسلام تحليلا يتناول اصول الاشياء وفروعها ، سواء في دائرة الفكر او دائرة العمل ، وتطلعوا الى الحاجة الماسة الى استعراض الابحاث الاصيلة وتحليل الآراء المبثوثة منها وترتيبها، واعادة صياغتها بما يبرز جوهر هذا الفكر وبراعته في مواجهة قضايا البشرية ومعضلاتها .

وكان لابد أن يظهر مفكرون مسلمون يمكنهم هضم التعاليم الاسلامية والثقافات الشرقية والغربية ، القديمة والحديثة هضما تاما ، ويبلغون من سعة الافق بحيث يدركون كنه الثقافة الغربية ، ثم يغوصون في اعماق ارواحهم وعقولهم محاولين تجديد حيوية الفكر الاسلامي والثقافة العربية ليعرضوا صورة متبلورة شاملة ، قد استكملت استقلالها ، واقرت قيمها الاساسية ، وافادت بالتمثل مما ضمته الثقافات العالمية ما يزيدها قوة ووضوحا وحيوية .

ولا شك ان في كتابات المتكلمين والفلاسفة والصوفية والفقهاء منابع وذخائر ونظرات ما تزال تنبض بالحياة ، لنا ان نأخذ من عصارتها ما يتفق مع مفاهيم عصرنا وما يزيدنا قوة وحيوية ، وما يحفظ لنا مقوماتنا الاساسية ، وذلك في سبيل بناء مفهوم جديد للمثل العليا العربية الاسلامية . ولا شك ان تراثنا يفيض بمعارف وحقائق في مجال الاجتماع والنفس والاخلاق والاقتصاد والسياسة والتربية . ولا شك ان الفكر الغربي والثقافات البشرية الحديثة تحمل نظرات ايجابية وافكارا حيوية قادرة على ان تنمي فكرنا بالاساغة والتمثل . ويقوم هذا البناء الجديد على اعادة صياغة الفكر الاسلامي والثقافة العربية ، وفق نظرة واعية وقائمة على مفهوم اساسي متكامل شامل قوامه نظرة الاسلام نفسه .

القاهرة : أنور الجندي

ـ نجم أحمد ـ

وقع الاختيار اخيرا على ملحمة عن سيرة الرسول وحياته (ص) تغنيها ام كلثوم ، للباحث المؤلف المعروف الشاعر الدكتور زكي المحاسني .

وقد سبق ان تكونت لجنة من الشعراء العرب لوضع ملحمة عن حياة الرسول .. يكتب الخط الدرامي لها عبد الحميد جودة السحار .. ويتبنى الفكرة حسن عباس زكي وزير الاقتصاد .. وقد وافقت السيدة ام كلثوم على هذه الفكرة.. واختيرت قصيدة الدكتور المحاسني لكي تنشدها ام كلثوم ، وعنوانها نجم احمد ..



للأستاذ عبدالله العمراني

(3)

أصالة القرآن

القرآن كتاب الله انزله ـ مقسطا ـ على نبيه محمد بن عبد الله بوساطة جبريل عليهما السلام . وهذه الحقيقة هي التي لا يؤمن بها بعض الذين تصدوا للكتابة عن هذا الموضوع من المستشرقين . فقد رأينا كيف أن بعضهم يتهم النبي (ص) مرة بانه مؤلف القرآن الكريم ؛ ومرة اخرى بان مؤلفه هو الراهب النسطوري بحيرا (Sergio) (1) الذي التقى به في سفرة الى الشام ؛ وتارة يدعون ان اربعة عشر مثقفا من مثقفي العرب الفوه له ، وتارة اخرى يزعمون ان المصحف الشريف لم يكن الا من تاليف الخليفة الراشد عثمان بن عفان .

اما دائرة المعارف الكونية فتزعم قائلة : « يظهر ان مصادر وحي القرءان كانت بالاضافة الى الكتاب المقدس (العهد القديم والعهد الجديد) والاساطير العربية : (أ) كتب اليهود ومذاهبهم حسب المدارس التلمودية : ففي عهد محمد كان عدد كبير من اليهود يعيشون في نواح عديدة من بلاد العرب ، وخاصة في المدينة . (ب) الصابئة : وديانتهم خليط من المانوية ومن عقائد بابلية غريبة عن الايمان الديني ومخالفة للعقل . (ج) الزرادشتية وعقائد فارس القديمة فقد كان النفوذ السياسي لهذه الامة ساريا في شمال شرق بلاد العرب . (د) الحنيفية : فقد كان اثنى عشر من اتباع محمد تابعين لطائفة الاحناف هذه (2) » .

قد يكون من البلاهة بمكان ان يصدق المرء مثل هذه الادعاءات الكاذبة المفرضة ؛ ولعل من تضييع الوقت أن نكلف انفسنا الرد عليها ؛ ومع ذلك ـ وجريا مع المثل المغربي السائر ـ « نتبع الكذاب حتى باب الدار » ، ونندفع لدحض هذه الترهات والاباطيل الفارغة .

ان التسليم بفحوى الادعاء الاول تسليم بأن النبي الامين محمدا (ص) كاذب في قوله ، مزور في رسالته ؛ وليس هذا فحسب ، بل ان الملايين العديدة التي آمنت وتومن به وبرسالته كاذبة خداعة محتالة ؛ وان الآيات العديدة التي تجعل القرآن الكريم كتاب الله الذي احكمت آياته ... غير صادقة . مع ان هذا باطل لا يقبله العقل ولا الواقع ولا أي باحث منصف ؛ ولم يكن ليقبله حتى اهل الكتاب لو تحلوا بشيء من

---

1) فليب حتي ، لم يذكر هذا الاسم مرادفا لبحيرا الوارد في الكتب العربية ؛ واورده مرتين : وصفه في الاولى بانه بطريق فلسطين الذي حاربه يزيد بن ابي سفيان ، وقضى على جيشه البيزنطي في رابع فبراير 634 . ووصفه في الثانية بانه بطريق القسطنطينية وبانه سوري على مذهب اليعاقبة (صفحات 116 و 120 « Historia de los Arabes », pp.

2) Enciclopedia Universal, tomo XV, art. Corán, p. 454

الانصاف ، ذلك ان كتبهم المقدسة كانت تبشر بمقدم نبي عربي ، وأن أسلافهم الاوائل كلهم كانوا ينتظرون ظهور نبي بعد عيسى عليه السلام .

جاء على لسان موسى عليه السلام في وصيته ما يبشر بعيسى ثم بمحمد من بعده حين قال : « جاء الرب من سيناء ، واشرق من ساعير ، واستعلن من فاران » . والمراد بساعير جبال فلسطين حيث ظهر المسيح، والمراد بفار ان مكة التي ظهر فيها محمد (ص). وجاء على لسان يوحنا حكاية عن عيسى المسيح قوله: « ان كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي ، وانا اطلب من الآب فيعطيكم معزيا آخر ليمكث معكم الى الابد ... واما المعزى الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قلته لكم (3) » . فكلمة المعزى هنا هي ترجمة عربية لكلمة Paraclete التي من معانيها : المنقذ والمنجي والكثير الحمد . ومعلوم ان من اسماء النبي (ص) احمد اي كثير الحمد.

وفي مكان آخر من انجيل يوحنا قوله : « لكنني اقول لكم الحق ، انه خير لكم ان انطلق ، لانه ان لم انطلق ، لاياتيكم المعزى ، ولكن اذا ذهبت ارسلته اليكم ... واما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم الى جميع الحق لانه لايتكلم من نفسه ، بل كل مايسمع يتكلم به ، ويخبركم بامور آتية (4) » .

وجاء في رؤيا يوحنا اللاهوتي ما يلي : « ثم رايت السماء مفتوحة ، واذا فرس ابيض والجالس عليه يدعى امينا وصادقا ، وبالعدل يحكم ويحارب (5) » . وقد دعي محمد (ص) بالفعل امينا وصادقا . وجاء في مكان آخر : « ومن فمه يخرج سيف ماض لكي يضرب به الامم ، وهو سيرعاهم بعصا من حديد وهو يدوس معصرة خمر سخط وغضب الله القادر على كل شيء (5) » . وقد يكون من نافلة القول ، تكرار ان القرآن خرج من فم محمد وهو في مضاء السيف ، كما أن محمدا هو الذي حرم الخمر دون عيسى الذي ورد قوله فيها انها كانت دمه .

اما الكاتب المنصف توماس كارليل فيقول : « لقد اصبح من أكبر العار على أي فرد متمدين من ابناء هذا العصر ان يصغى الى ما يظن من أن دين الاسلام كذب، وان محمدا خداع مزور . وآن لنا ان نحارب ما يشاع من مثل هذه الاقوال السخيفة المخجلة ؛ فان الرسالة التي اداها ذلك الرسول ما زالت السراج المنير مدة اثنى عشر قرنا (14 قرنا الآن) لنحو مائتي مليون من الناس امثالنا خلقهم الله الذي خلقنا . افكان احدكم يظن ان هذه الرسالة التي عاش بها ومات عليها هذه الملايين الفائقة الحصر والاحصاء كذبة وخدعة ؟ اما انا فلا استطيع ان ارى هذا الراي ابدا . ولو أن الكذب والغش يروجان عند خلق الله هذا الرواج ، ويصادفان منهم مثل ذلك التصديق والقبول ، فما الناس الا بله ومجانين ، وما الحياة الا سخف وعبث واضلولة (6) ».

ويقول في مكان آخر من كتابه القيم (6) : « وعلى ذلك فلسنا نعد محمدا هذا ـ قط ـ رجلا كاذبا متصنعا يتذرع بالحيل والوسائل الى بغية ؛ او يطمح الى درجة ملك او سلطان ، او غير ذلك من الحقائر والصغائر . وما الرسالة التي اداها الا حق صراح ، وما كلمته الا صوت صادق صادر من العالم المجهول . كلا ! ما محمد بالكاذب ولا الملفق ، وانما هو قطعة من الحياة قد تفطر عنها قلب الطبيعة ، فاذا هي شهاب قد اضاء العالم اجمع . ذلك امر الله ، وذلك فضل الله يوتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم . وهذه حقيقة تدمغ كل باطل ، وتدحض حجة القوم الكافرين » .

اما الادعاء الثاني فباطل ايضا . اذ من غير المعقول ان يتصدى راهب نسطوري (بحيرا) لتاليف كتاب ديني منافس للنصرانية عائب لاهم عقيدة فيها وهي التثليث . ثم ان محمدا عند اتصاله ببحيرا الراهب لم يكن الا صبيا لما يلغ الحلم بعد (12 سنة فقط) ذهب مع عمه في رحلة تجارية دنيوية بحتة . فماذا كان في امكان مثل هذا الصبي ان يفعل ؟ حقا انه كان في منتهى الذكاء والالمعية لدرجة ان بحيرا تنبأ بمستقبل باهر ؛ ولكن سنه كانت ما زالت بعيدة عن النضج والكمال المطلوب ، كما ان مستقبله الدياني ورسالته الخالدة لم تكن معالمهما قد اتضحت في نفسه ؛ لانها كانت لا تزال مكنونة في ضمير الغيب .

3) الكتاب المقدس : انجيل يوحنا الاصحاح 14 الآيات 15 ـ 16 ـ 26 طبعة جامعة كمبردج بانكلترا سنة 1962 .
4) نفس المصدر الاصحاح 16 الآيتان 7 ـ 13 .
5) الكتاب المقدس : رؤيا يوحنا اللاهوتي ، الاصحاح 19 الآيتان 11 ـ 15 .
6) الابطال (ترجمة محمد السباعي) ص 42 ـ 43 ـ 45

اما القائل بأن اربعة عشر فقيها عربيا تولوا تاليف القرآن لمحمد ، فللاسف نجد مثل هذا الباحث يلقي الكلام على عواهنه ، ويرمي به جزافا هكذا دون ان يؤيد ذلك باية حجة ، أو يكلف نفسه مزيدا من التوضيح ، فيذكر لنا مثلا من هم اولئك العرب وما هم ؟ هلا كان فى استطاعته ان يذكر اسماءهم او اسماء بعضهم على الاقل ؟ لعله يقصد كتاب وحيه صلى الله عليه وسلم ؟ اذا كان هذا مراده فاننا نهمس فى اذنه بحقيقتين هامتين :

احداهما : ان كتاب الوحي لم يكونوا فى واقع الامر سوى مجرد كتاب يسطرون ما يملي عليهم النبي من الوحي لا اقل ولا اكثر .

والاخرى : ان عدد كتاب الوحي لم يكن ينحصر فى اربعة عشر ، بل كانوا اكثر من ذلك بكثير ، نذكر هنا : ابا بكر الصديق ، عمر بن الخطاب ، عثمان ابن عفان ، علي بن ابي طالب ، الزبير بن العوام ، ابنه عبد الله ، ابي بن كعب بن قيس ، زيد بن ثابت ، معاوية ابن ابي سفيان ، محمد ابن مسلمة ، الارقم بن ابي الارقم ، ابنه عبد الله ، سعيد بن العاص ، ابنيه ابان وخالدا ، ثابت بن قيس ، حنظلة ابن الربيع ، خالد بن الوليد، العلاء بن عتبة ، المغيرة بن شعبة ، شرحبيل بن حسنة ، ثم عبد الرحمن بن الحارث بن هشام (7) .

واخيرا يفترون على الله الكذب فينسبون تاليف القرآن لعثمان . والعجيب انهم فى افترائهم هذا يدحض احدهم حجة الآخر ، ويناقض بعضهم بعضا من حيث يشعرون او لا يشعرون . ورد فى دائرة المعارف الكونية (مادة Corán) « أن الذي حرر القرآن هو الخليفة الثاني (تقصد الاول) أبو بكر عن التصريحات الشفوية والمذكرات المبعثرة لسكرتير محمد (كذا !) وان الذي نشره هو الخليفة عثمان » .

ان الثابت تاريخيا والمتواتر على مر الاجيال أن الخليفتين ابا بكر وعثمان لم يقوما الا بجمع القرآن – كما سنذكر بعد – وحتى الجمع لم ينسب اليهما الا تجوزا حيث انهما هما اللذان أمرا به . فاذا تجاوزنا الحقيقة وقلنا – كما فعل خصوم القرآن – ان الجامع هو المؤلف ، جاز لنا أن نقول : ان الطابع أو الناشر هو المؤلف ايضا ، هذا بطبيعة الحال لا اساس له من الصحة ، ولا يمكن أن يكون .

وما دمنا فى غمرة هذه الادعاءات الباطلة ، وما دمنا بصدد الحديث عن اصالة القرآن ومصدره ، فاننا لا نجد مندوحة عن الاشارة الى ان بعض الخصوم ادعى ان كثيرا من اجزاء القرآن العزيز مأخوذ من التوراة او الانجيل . يقول احدهم بعد أن ترجم آية الكرسي : « كثير من فقرات هذه الآية توجد مشابهة لوثائق يهودية سابقة لعصر محمد . ربما يعني هذا انها ترجمة عربية لتسبيحة ما يهودية أو مسيحية . وهذه الآية واحدة من اقدس ما لدى المسلمين » .

اجل ، « ربما » ! ليتصور القارىء الكريم ان ادعاء خطيرا كهذا فيه افتراء على الله ورسوله يستفتح بـ « ربما » ! ؟ وعلى فرض أن التشابه صحيح بين بعض ما ورد فى القرآن وبعض ما ورد فى التوراة او الانجيل ، فان توجيه ذلك يكون بأحد امرين ، او بكليهما :

أ – التوراة والانجيل او العهد الجديد والعهد القديم كلاهما – قبل التحريف – كتاب الله ، فليس من العجيب اذن ان تتشابه بعض محتويات الكتب الثلاثة – خارج نطاق التحريف – ما دام مصدرها موحدا فكلها من عند الله .

ب – ان التوراة او الانجيل ، هي او هو الذي اخذ عن العرب ، فاذا تحدث القرآن بعد ذلك عن شيء من هذا القبيل فمن باب (هذه بضاعتنا ردت الينا) ذلك ان القرآن عربي ويعالج شئون العرب ويخاطبهم هم فى الدرجة الاولى .

يؤيدنا فى هذه النظرة بعض المسيحيين انفسهم ، فها هو ذا جرجي(8)زيدان يقول فى حديثه عن الشعر عند العبريين : « وهناك اسفار كلها شعر كسفر ايوب ، ويقال : ان اصله عربي » . كما يؤيد هذه الفكرة الكاتب الانكليزي الاصيل توماس كارليل اذ يقول : « وقد اتفق النقاد ان (سفر ايوب) احد اجزاء التوراة كتابنا المقدس قد كتب فى بلاد العرب . ورأيي فى هذا الكتاب فضلا عن كل ما كتب عنه انه من اشرف ما سطر يراع، ودونت يد كاتب ، ولا يكاد المرء يصدق انه من آثار العبرانيين لما فيه من عمومية الافكار ، مع شرفها وسموها . . . وما احسب ان فى جميع التوراة شيئا يدانيه فضلا وقيمة (9) » .

7) الابياري : تاريخ القرآن ص 47 و 88 (نقلا عن تاريخ دمشق)
8) التمدن الاسلامي ج 3 ص 26 طبعة اخيرة .
9) الابطال (ترجمة محمد السباعي) ص 47 .

اما الادعاء بأن من مصادر القرآن اساطير العرب، وكتب اليهود والصابئة (عباد النجوم) والمانوية القائلة بالهين اثنين اله الخير واله الشر ، والزرادشتية ، فانه لايعدو ان يكون مجرد ادعاء يعوزه الدليل ، ولا دليل قطعا اللهم الا اذا اعتبرنا مهاجمة القرآن لمعتقدات اليهود الفاسدة وللديانات الوضعية المنحرفة مصدر وحي ؛ فان كان ذلك كذلك فأهلا به مصدرا وسهلا !

حفظ القرآن :

يعتبر القرآن الكريم معجزة الرسول الخالدة ، انزله عليه ليتحدى به العرب في فنون القول التي هم فرسان حلبتها ان ياتوا بمثله فلم يفعلوا : « قل لو اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرءان لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » . وقد اثبت التاريخ لا عجز العرب التام عن محاكاته فحسب، بل حتى عجزهم عن محاكاة عشر سور مثله او سورة واحدة من قصار سوره ، ومن حاول ان يفعل ذلك باء بالفشل الذريع ، والخسران المبين . وقد عجزت الايام كذلك عن تعفية اثره او طمس معالمه .

وهكذا ظل القرآن محفوظا : كانت تتلقفه اسماع الصحابة الاجلة من فم النبي (ص) فيحفظونه ويسجلونه في مواد الكتابة التي كان يتوفر عليها عصرهم . وقد اعتنى الرسول والمسلمون بكتابهم العزيز كل الاعتناء ، وصانوه بمعونة الله الذي تكفل بحفظه من أن تعبث به يد العدا بالتحريف والمسخ ، او يد القدر بالتلف والتضييع . وقد تم حفظ القرآن بعدة وسائل :

1 ـ الكتابة والتدوين : وقد تمت كتابة القرآن وتدوينه في حياة الرسول الاعظم بوساطة كتاب الوحي العديدين الذين مر ذكرهم منذ قليل ، تم ذلك التدوين بالتدريج كلما نزلت آية او مجموعة آيات سجلت على مادة من مواد التسجيل المعروفة لدى العرب ، ولم يلتحق عليه السلام بالرفيق الاعلى حتى كان القرآن الكريم تام التدوين ، مكتمل الهيئة . وكان في امكانه (ص) أن يأمر بجمع المكتوبات وتاليفها على شكل مصحف واحد ، غير انه لم يفعل ـ كما يقول احد العلماء (10) ـ لامرين :

الاول : أن اهتمام الصحابة انما كان بحفظه واستظهاره ، لا بكتابته ونقشه .

الثاني : ترقب رسول الله لورود زيادة منه او آية ناسخة . فلما وافاه اجله (ص) تم بذلك نزول الوحي ، وبقي محفوظا في الصدور ومسجلا في الرقاع واللخاف والاكتاف ونحوها .

2 ـ الجمع الرسمي الاول : وتم بعد ذلك جمع القرآن بطريقة رسمية ، وباقتراح من عمر بن الخطاب على اثر حروب الردة التي شنها ابو بكر خليفة رسول الله على المرتدين بأرض اليمامة ، فمات فيها عدد من حفاظ القرآن ، قبل ابو بكر الاقتراح والف لذلك لجنة من كاتب الوحي زيد بن ثابت الانصاري وسالم مولى ابي حذيفة ، على ان يتولى الاول التدوين ، ويساعده الثاني في الجمع ، وقد تولت اللجنة القيام بمهمتها على خير وجه ، واودعت صحف القرآن المدونة في بيت ابي بكر حتى اذا توفاه الله احتفظ بها خلفه عمر ، فاذا مات ، بقيت في صيانة ابنته زوجة رسول الله السيدة حفصة (ض) .

3 ـ الجمع الرسمي الثاني : وتم في عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان (ض) ، وكما كانت حرب وشخصية سببا في الجمع الاول ، كانت ايضا سببا في الجمع الثاني : ذلك ان القائد حذيفة بن اليمان شهد في حرب ارمينية واذربيجان اختلاف الحفاظ وتخاصمهم ، واتباع كل فريق طريقة ما من طرائق بعض الصحابة في قراءاتهم للقرآن ، فهرع الى الخليفة يستنجده ويقترح جمع القرآن في مصحف واحد ، وبرسم واحد تفاديا لكل خلاف .

وقبل الخليفة الاقتراح الوجيه ، وندب لذلك لجنة مؤلفة من اربعة من الصحابة الاجلة كلهم كاتب وحي الا ان احدهم انصاري هو زيد بن ثابت ، والآخرين قرشيون : عبد الله بن الزبير ، وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام . وطلب عثمان من ام المومنين السيدة حفصة أن تبعث اليه بصحف القرآن ففعلت . وقد قامت اللجنة بواجبها كما ينبغي ، وتم تدوين عدة مصاحف وزعت على الامصار الرئيسية آنذاك . ثم اعيدت الصحف الى السيدة حفصة واعدم سواها .

ومصحف عثمان او المصحف الامام هو الذي شاع وذاع بين المسلمين في مشارق الارض ومغاربها ؛ وهو الذي ما يزال مسلمون عديدون يحفظونه عن ظهر قلب،

(10) عبد الفتاح القاضي : تاريخ المصحف الشريف ص 42 .

مصادقا لقوله تعالى وهو اصدق القائلين : « لا تحرك به لسانك لتعجل به ، ان علينا جمعه وقرءانه » وقوله جل وعلا : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » .

4 — الحفظ والاستظهار : كان النبي (ص) وصحابته يحفظون ما ينزل من آي القرآن وسوره ، كما حفظه المسلمون بعدهم بكل وسيلة ممكنة ، وقد تم ذلك بعدة طرق :

ا — كان الرسول الاعظم يختبر الصحابة بين الحين والآخر ، فكان يجد المحفوظ لديهم مطابقا لما عنده .

ب — كان يعارض بالقرآن جبريل في رمضان من كل عام مرة ؛ وفي العام الذي توفي فيه عارضه به مرتين فتنبأ النبي (ص) بقرب اجله ، وقد مر الحديث النبوي الذي ورد بهذا الصدد في الحلقة الاولى من هذا البحث .

ج — تكرار القرآن : فقد اتخذه المسلمون وسيلة من وسائل حفظ كتاب الله وصيانته ، لانهم الزموا انفسهم بتكرار اجزاء القرآن وقراءتها على مر الايام وكر الاعوام . ولا بد ان تجزئة كتاب الله الى اجزاء جاءت مبكرة ، فقد روى عن المغيرة بن شعبة انه قال: « استاذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بين مكة والمدينة فقال : انه قد فاتني الليلة جزئي من القرآن ، فاني لا أؤثر عنه شيئا » . وورد عن الحجاج ابن يوسف الثقفي (ت 95 هـ) انه طلب من الحفاظ والقراء ان يحسبوا له حروف القرآن ففعلوا ؛ وبمقتضى ذلك قسم القرآن الى نصفين ، وثلاث ، وارباع ، واسباع ؛ فجعل في استطاعة القارىء ان يقرا في اليوم كل القرآن ، أو نصفه او ثلثه او ربعه او سبعه على اقل تقدير من الحجاج وصحبه ؛ اما الحجاج نفسه فقد عرف انه كان يختم القرآن كل ليلة وذلك على الرغم من انه كان رجل دولة تأخذ الرسميات الكثير من وقته .

ويوجد من قسم القرآن — تيسيرا للتلاوة — اقساما اخرى اوصلها بعضهم الى عشرة والى عشرين والى ثلاثين قسما . وهذا التقسيم الاخير هو الذي عليه العمل بالمغرب الآن ، لارتباطه بأيام الشهر الثلاثين، حيث يقرا بالمساجد في كل يوم جزء من القرآن اي حزبان احدهما بعد صلاة الصبح ، والآخر بعد صلاة المغرب ؛ فقراءة الحزب (11) على هذا المنوال من اهم الوسائل لحفظ القرءان من الضياع .

وقد اهتم المسلمون في مشارق الارض ومغاربها بالقراءات — السبع والعشر والشاذة — تعلما وتعليما وتاليفا . وقد برز في هذا الميدان علماء من الاندلس والمغرب ؛ فها هو ذا ابن خلدون فيلسوف الاجتماع والمؤرخ المعروف يذكر انه درس بتونس على ابن برال العالم الاندلسي الاصل ، وختم عليه القرآن بالقراءات السبع المشهورة افرادا وجمعا اثنين وعشرين ختمة . وختمه مرة واحدة بقراءة يعقوب الحضرمي — من القراء العشرة — كما قرا القرآن بالجمع الكبير بين القراءات السبع على امام المقرئين بالمغرب ابي العباس احمد الزواوي الذي رافق ابا الحسن المريني الى تونس ، لكنه لم يختمه (12) .

كل هذا والمستشرقون — هداهم الله — لا يملأ اسماعهم ولا أبصارهم هذا التحري من المسلمين منذ اربعة عشر قرنا ؛ ولا يالون جهدا في رمي القرآن بمختلف النقائص ؛ فبعضهم يرى أن القرآن الاصلي تلف واكلته الفئران !! وبعضهم يقول : ان كثيرا من السور قد ضاع ؛ ومنهم من تخرص ان النبي (ص) كان ينسى الآية فاذا اصبح املاها بشكل آخر ... وهكذا دواليك يقولون كل شيء الا الحق ؛ وما ذلك الا بغضا وحسدا من عند انفسهم ، وخدمة لاغراض شريرة . وكأني بهم وقد غاضهم ان الاسلام احدث الاديان واصحها واقربها من عصرنا ، فراحوا يبحثون عن نقائص مزعومة ، واكاذيب لا وجود لها الا في افخاخهم . على ان بعضا منهم رغم تعصبه المعروف قد شهد بهذه الحقيقة الخالدة . « كتب ارنست رنان في مقال له عن: محمد واصول الاسلام ملاحظا ان الاسلام على عكس الديانات الاخرى التي ولدت في السر او الغموض ، قد ولد في ضوء التاريخ الساطع فأصوله توجد في مستوى سطحي Superficial ، وحياة مؤسسه معروفة لدينا جيدا ، كما نعرف حياة مصلحي القرن السادس عشر (13) » .

---

11) تسهيلا للدراسة والحفظ والصلاة قسم الحزب الواحد الى ثمانية اثمان على الشكل التالي : ثمن اول — ربع اول — ثمن ثان — نصف — ثمن ثالث — ربع ثاني — ثمن رابع — حزب

12) ابن خلدون : التعريف ص 17 — 18 — 21 (طبعة دار الكتاب اللبناني) والدكتور وافي : عبد الرحمن بن خلدون ص 271 — 272 .

13) Bernard Lewis : « Los Arabes en la Historia », p. 45, Madrid, 1956

ترتيب القــرآن وســوره :

ان ترتيب آيات القرآن المجيد وترتيب سوره كما هي في المصحف الامام (مصحف عثمان) غير ترتيبها في النزول . فبعض الآيات والسور نزلت متاخرة عن آيات وسور اخرى ، ومع ذلك نجد المتاخرة سابقة للمتقدمة في المصحف الرسمي الذي سار عليه العالم الاسلامي من اقصاه الى ادناه ؛ وبعبارة اخرى نجد كثيرا من السور المكية تحتوي على آيات مدنية والعكس صحيح .

والتفسير المعقول لترتيب التلاوة والكتابة حسب المصحف الامام ، بل الدليل القاطع والحجة الدامغة التي تؤيد هذا الترتيب ، ولا يتطرق اليها الشك ، هو ان ترتيب الآيات – بالاجماع – الهي توقيفي لا اجتهادي ؛ اي انه كان بأمر من رسول الله (ص) الذي كان يحدد لكل آية مكانها من السورة وبين الآيات ، بناء على وحي والهام من ربه . روى الامام احمد باسناد حسن عن عثمان بن ابي العاص قال : كنت جالسا عند رسول الله (ص) اذ شخص ببصره ثم صوبه ، ثم قال: اتاني جبريل فأمرني ان اضع هذه الآية هذا الموضع من هذه السورة : « ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي،يعظكم لعلكم تذكرون (14) » . فهذا الحديث صريح في ان جبريل علمه موضع هذه الآية من سورتها ؛ وكذا كان يفعل معه في سائر الآيات .

واما ترتيب السور ، فكان – على الراجح – توقيفيا (15) ايضا وبأمر من رسول الله (ص) يقول ابو بكر الانباري : « ... فكانت السورة تنزل لامر يحدث ، والآية جوابا لمستخبر ، ويقف جبريل النبي (ص) على موضع الآية والسورة . فاتساق السور كاتساق الآيات والحروف كله من النبي (ص) ، فمن قدم سورة أو اخرها فقد افسد نظم القرآن » .

ويستدل السيوطي – في كتابه الاتقان – على ان ترتيب السور توقيفي كالآيات بأن « الحواميم رتبت ولاء ، وكذا الطواسين ، ولم ترتب المسبحات ولاء ، بل فصل بين سورها ، وفصل بين طسم الشعراء وطسم القصص بطس النمل مع انها اقصر منهما ، فلو كان الترتيب اجتهاديا لذكرت المسبحات ولاء ، واخرت طس النمل عن القصص » .

وهكذا نجد ان الترتيب الحالي للمصحف الشريف هو الذي اجمعت عليه الامة في مختلف الاقطار والاعصار والامصار ، لم يشذ عنه احد منذ البداية الى يومنا هذا ، بل ان مترجمين كثيرين قد تمشوا عليه في ترجماتهم للقرآن الى لغاتهم المختلفة (16) . غير ان خصوم القرآن – باسم التجديد والبحث العلمي – لم يعجبهم هذا الترتيب ، ولم يرقهم حتى ترتيب النزول، بل اعتبروا مسألة الترتيب مشكلة عويصة ، او كما سماها احدهم – مصاعب الترتيب الزمني Dificultades Cronológicas ، واندفعوا منذ القرن التاسع عشر يفتشون – كما قيل – عن طرق جديدة لتذليل تلك الصعوبات ؛ فحاول المستشرق Noldeke وحاول المستشرق Weil وحاول غيرهما .

وها هم اولاء يخبطون خبط عشواء ، ويتمشون بالفعل على تراتيب للسور من صنع عقولهم المريضة ، تراتيب ما انزل الله بها من سلطان ؛ وطبقوا ذلك على ترجماتهم لكتاب الله العزيز ، فها هوذا N. I. Dawood قد تمشى في ترجمته للقرآن على ترتيب آخر غير ترتيب « ويل » وغير ترتيب « نولدكه » . وهنا اتساءل : ماذا كان يضير هؤلاء لو بحثوا القرآن كما هو ، وتمشوا في ترجماتهم على ترتيب المصحف الامام الذي قبلته الامة الاسلامية ، واجمعت عليه منذ اربعة عشر قرنا من الزمان ؟ ؟

طريقة العمل :

وهنا ، وبمناسبات احتفالات العالم الاسلامي بمرور اربعة عشر قرنا على بدء نزول القرآن الكريم،اجد في نفسي حافزا من الجراة يحفزني ويستدرجني من التساؤل الى اقتراح طريقة العمل .

لاشك ان المسلمين منذ ظهور الاسلام قد خدموا القرآن كتابة وحفظا وجمعا وتفسيرا وقراءات ورسما ونقطا وضبطا وشكلا ، وما الى ذلك من الخدمات

---

14) سورة النحل : الآية 90 .

15) تاريخ المصحف الشريف ص 122 . وتاريخ القرآن ص 68

16) مثل ترجمة Librería Bergua الاسبانية التي اشرت اليها سابقا . فقد وردت فيها السور مرتبة ترتيبها المعهود ، فسورة العلق مثلا بهذه الترجمة توجد في ص 507 بينما وردت في ترجمة داوود الانكليزية بصفحة 26 اي في اول الكتاب ، مع ان السورة في الواقع واردة في اواخر المصحف الشريف .

الجليلة التي لايسع المرء انكارها . . . ولا ريب انهم اعتنوا كذلك بكتابهم المقدس فاكثروا من تلاوته على مر العصور ، وكثروا – قبل الطباعة – من نسخه بأيديهم تكثيرا لا يدخل تحت حصر ؛ وزخرفوا حروفه ونسخه التي زاد تكاثرها بعد تيسر وسائل الطبع والنشر في العصور الحديثة .

وحقا ان بعض الكتاب قد قاموا بمجهود في سبيل صد الخصوم الذين ما فتئوا يناصبون القرآن العداء ؛ وان بعض الحكومات العربية – الاسلامية قد اسهمت بنصيب لا ينكر في هذا المجال . فقد اصدرت الجمهورية العربية المتحدة المصحف المرتل وسجلته على « اسطوانات » بحيث لا يبقى معه مجال للتحريف بالزيادة او النقصان ، بالتبديل او التغيير ؛ وقامت بالمغرب اخيرا وزارة عموم الاوقاف والشئون الاسلامية باصدار احدث طبعة انيقة للمصحف ، محررة بخط مغربي جميل .

كل هذا جميل ولكنه لا يكفي لرد دعاية المناوئين الذين يتربصون ببني الاسلام وقرآنه المجيد الدوائر . لهذا ادعو المسلمين – حكومات وشعوبا ، افرادا وجماعات وهيئات – ان يبذلوا مزيدا من الجهد في الميدانين المادي والفكري ، فيعملوا متعاونين على تنفيذ خطة حاسمة للعمل مثل هذه :

اولا – اصدار طبعات من المصحف الشريف باللغات العالمية الهامة من انكليزية وفرنسية واسبانية والمانية وايطالية وروسية واوردية وفارسية وصينية الى جانب العربية ، تحتوي كل طبعة منها على ما يلي :

1 – مقدمة ضافية تتناول تاريخا للقرآن يعرف به وبعلومه المختلفة ، مع الاشارة الى تحديه للعرب واعجازه لهم مع انهم فرسان حلبة البيان .

2 – يكون نص القرآن الكريم على الصفحات اليمنى التي ترقم هكذا : 1 – 2 – 3 – 4 . . . وتكون ترجمته الى احدى تلك اللغات على الصفحات اليسرى ، على ان ترقم هكذا : 1 – 2 – 3 – 4 . . . الخ .

3 – تكون التعليقات في اسفل الصفحة وتتناول :

ا – الاعراب (بالنسبة للنسخة العربية) بطريقة واضحة دقيقة مختصرة تعين على فهم المراد مما عسى ان يكون غامضا من الآيات .

ب – تفسير المفردات الصعبة ، وذكر المعنى الاجمالي للآية او الآيات ، مع التنبيه على بلاغة التعبير القرآني وحسن بيانه .

ج – ذكر اسباب نزول الآيات (ان كان هناك سبب نزول) حتى تعلم الظروف التي نزلت فيها وتستوعب التشريعات المتعلقة بها .

د – ذكر الناسخ والمنسوخ وحكمة النسخ ، مع دحض مزاعم الخصوم .

ه – استخلاص بعض التشريعات والاحكام من الآيات كلما امكن ذلك .

4 – فهارس في آخر المصحف تشمل :

ا – فهرسا للاعلام الواردة في القرآن مع ترجمة دقيقة مختصرة .

ب – فهرسا للامم والملل والطوائف الوارد ذكرها في القرآن مع بيان اهم مبادئها وتحديد المواطن التي سادتها .

ج – فهرسا للقبائل والاماكن مع تحقيق وتحديد دقيق لموقع كل منها .

د – فهرسا للسور بترتيب المصحف الامام وبالترجمة الدقيقة لاسم كل سورة .

5 – خرائط تاريخية موضحة دقيقة .

ثانيا – العمل على تفادي الاساءة الى كتاب الله المقدس باسم البحث العلمي ، وذلك بالاتصال بالدول الاجنبية بالطرق الديبلوماسية او غيرها ، كي يحال دون طبع المصحف الشريف سواء بلغته الاصلية او بلغات العالم المختلفة بطريقة تسيء الى القرآن الكريم ، بتشويش ترتيب السور المتعارف او بغير ذلك من امور .

ثالثا – ان يستشير الافراد او دور النشر الاجنبية الهيآت الاسلامية المختصة ، وتعرض عليها ترجماتها للقرآن قبل الاقدام على طبعها ونشرها .

رابعا – ان تقاطع الدول الاسلامية كل ترجمة وردت بها مخالفة للتعاليم الاسلامية او اساءة للنبي او القرآن بأي شكل من اشكال الاساءة .

خامسا – ان تصادر الدول الاسلامية كل كتاب او مجلة تقدح في نبي المسلمين وكتابهم العزيز .

سادسا – الوقوف في وجه مبشرين اصبحوا في المدة الاخيرة يطرقون الابواب بكثرة ويقلقون راحة السكان ، وذلك بمنعهم من مزاولة التبشير بتعاليم صارت متعارضة مع القرآن الكريم كل التعارض .

سابعا – تقرير مادة تاريخ الاديان فى بعض المدارس العليا والكليات ، يقوم بتدريسها مسلمون موثوق بايمانهم ، ويكون الهدف من تدريسها التعريف بالاديان السماوية والوضعية على السواء ، واجراء مقارنات بينها لتمييز الغث من السمين ، والخبيث من الطيب ، ولتطعيم ابناء المسلمين بالمصل الواقي ضد اي اعتداء مغرض يشن على مقدساتهم ، ولتزويدهم بالحجج المنطقية لمقاومة كل تدليس .

ثامنا – ان يتصدى الكتاب العرب لفضح اقوال الغربيين وترهاتهم بمختلف الوسائل: بالمحاضرات العامة والخاصة ، بالاذاعة والتلفزيون ، وفي الجرائد والمجلات والكتب . كل ذلك ليشعر المتهجمون على القرآن ان النقاد المسلمين لهم بالمرصاد ، فيرعووا عن غيهم ، ويسالموا الاسلام السمح ، ويعايشوا معتنقيه فى وئام وسلام .

عمل ضخم ، ولكنه يتناسب وجلال المهمة المنوطة بالمسلمين فى القرن العشرين ؛ فكتاب الله يستحق كل تضحية : تضحية بالجهد والمال والنفس والنفيس .
فاذا وفق المسلمون للقيام بهذا العمل الايجابي ، وباصدار المصحف الكريم بهذه الكيفية الجديدة المقترحة ، ادوا خدمة جليلة تذكر لهم فتشكر ؛ واسهموا بما هو واجب عليهم فى حق نبي الله وكتابه المقدس ، ودافعوا عن اهم مقوماتهم الروحية ، وما ذلك على هممهم بعزيز .

« ان اريد الا الاصلاح ما استطعت ، وما توفيقي الا بالله ، عليه توكلت ، واليه انيب » . صدق الله العظيم .

(نهاية)

تطوان : عبد الله العمراني

الا انه أسد ...

عير ثعلب لبوءة بانها انما تلد فى عمرها كله شبلا واحدا . فقالت : نعم ، الا انه أسد ! .



للأستاذ الراجي التهامي الهاشمي

- 14 -

15 ـ لهجة قبيلة انمار (1) :

اختلف النسابون في اصلها ؛ فمنهم من يرى انها من كهلان ، ومنهم من يجعلها عدنانية ، ولكنهم اتفقوا جميعهم على أن بعض بني انمار كانوا في تهامة الحجاز ثم تحولوا الى سراة عسير بين اليمن والحجاز .

ويعتقد كثير من المهتمين بانساب العرب أن ابا انمار هو نزار الذي مدحه ملوك العجم واجتباه (تستشف) ملك الفرس وهو الذي يقول فيه محمود شكري الالوسي البغدادي في كتابه بلوغ الارب في معرفة احوال العرب (2) : « وكان اسمه خلدان ، وكان مهزول البدن ، فقال الملك : مالك بانزار ، وتفسيره في لغتهم يامهزول . فغلب عليه هذا الاسم فسمي نزارا ، وفيه يقول قمعة بن الياس ابن مضر بن نزار بن معد ابن عدنان :

جد بنا خلفناه وطمسا بأرضه
فاكرم بنا عند الفخار فخارا

فنحن بنو عدنان خلدان جدنا
فسماه (تستشف) الهمام نزارا

فسمي نزارا بعد ما كان اسمه
لدى العرب (خلدان) بنوه خيارا

وكان لنزار اربعة أولاد : مضر ، وربيعة ، واياد ، وانمار .

ولقد شاركت هذه القبيلة بثلاثة الفاظ وزعت في القرءان الكريم كما ياتي :

ـ لفظة « **طائر** (3) » في قوله تعالى : « وكل انسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا » الاية 13 من سورة الاسراء ؛ ومعناها بلغة انمار العمل . واعتقد انها اتت بنفس المعنى في الايات الاتية (4) :

1) انظر ترجمتها في الاعلام الجزء الاول صفحة 371 من الطبعة الثانية والمراجع التي يذكرها هناك .
2) صفحة 264 من الجزء الثالث المطبوع بالقاهرة سنة 1342 هجرية .
3) قاله ابو القاسم ابن سلام في ذيل تفسير القرءان العظيم للامامية محمد بن احمد المحلي وجلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي صفحة 244 من الجزء الاول من الطبعة القاهرية غير المؤرخة . كما عزا هذه المفردة الى الانمار الامام جلال الدين السيوطي الشافعي في كتابه الاتقان في علوم القرءان الجزء الاول صفحة 136 طبعة القاهرة غير مؤرخة .
4) بل اكد ذلك الزمخشري في كشافه حين تفسيره الاية 13 من سورة الاسراء ، اذ احال القاريء على آية 47 من سورة النمل وذكر معها الاية 19 من سورة يس .

« قالوا طائركم معكم ائن ذكرتم بل انتم قوم مسرفون » الاية 19 من سورة يس ، و « قالوا اطيرنا بك وبمن معك ، قال طائركم عند الله بل انتم قوم تفتنون » الاية 47 من سورة النمل ، ، و « الا انما طائرهم عند الله بل اكثرهم لا يعلمون » الاية 131 من سورة الاعراف . وجدير بالملاحظة ان نشير الى ان جميع هذه الايات مكية ؛ وهو امر يدعو الى التامل .

ولقد اهتم عدد كبير من المفسرين واللغويين والفقهاء بمعنى هذه اللفظة فزعم ابن عيينة انها من قولك صار له سهم اذا خرج وراى الراغب الاصفهاني(5) انها اتتمن تشاؤمهم لما قد اعد الله لهم بسوء اعمالهم .

2 _ المفردة : « **منساته** (6) » في قوله تعالى : « فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الارض تاكل منساته ، فلما خر تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين » ومعناها بهذه اللغة العصا . ولقد سبق ان تعرضت لهذه المفردة حين الحديث عن لهجة قبيلة خثعم (7) وذكرت ثمة الخلاف الحاصل فيها بين المفسرين والقراء واتيت بجل اوجه القراءات المعروفة موضحا بذلك غرابتها . كما انني ذكرتها ايضا حين التعرض للهجة قبيلة حضرموت في الحلقة الثالثة عشرة ؛ اذ يؤكد المهتمون بلغات القرءان انها مستعملة قديما في لهجات القبائل الثلاث معا ، خثعم وحضرموت ، وانمار .

3 _ كلمة : « **اغطش** (8) » الموجودة في سورة النازعات الاية 21 التي يقول الحق سبحانه وتعالى فيها : « واغطش ليلها واخرج ضحاها » ومعناها بلغة انمار اظلم ، بحث الراغب الاصفهاني عن اصل هذه الكلمة فقال (9) : « واصله من الاغطش وهو الذي في عينيه شبه عمش ومنه قيل فلاة غطشى لا يهتدى فيهـا . »

والجدير بالذكر ان هذه المفردة لم تذكر في القرءان الا مرة واحدة وهي قليلة الاستعمال في اللغة العربية ؛ لم اعثر عليها الا مع الليل ، ولا شك ان فضل استعمالها مع هذه الكلمة يعود الى هذه الاية الشريفة ، كما انني وجدتها مستعملة ايضا ، لكن بقلة ، مع الفلاة ؛ ولا شك أن من منحها هذا الاستعمال هو الشاعر الاعشى في قوله :

وبهماء بالليل غطشى الفلا
ة يؤنسني صوت فيادها

وعنه اخذها جل اللغويين فقالوا كلهم : « فلاة غطشى (10) » ونادرا ما تستعمل مع الرجل والمراة .

* * *

16 ـ لهجة قبيلة غسان :

غسان او الغساسنة سلالة عربية يمنية الاصل ، استوطنت بلاد حوران وشرقي الاردن وفنيقية اللبنانية وفلسطين الثانية والثالثة قبل الاسلام . كان لها ملوك اشهرهم الحارث بن جبلة الذي حارب وغلب المنذر الثالث (11) ويخبرنا خير الدين الزركلي عن تاريخ هذه الغلبة (12) التي حدثت في ابريل من سنة 528 ميلادية . كما يخبرنا ايضا ان الحارث الغساني كان عاملا للرومان ورقاه الامبراطور « Justinien 1er » الى رتبة ملك وبسط سلطته على قبائل كثيرة للوقوف بها امام غارات اللخميين (13) . ويخبرنا صاحب الاعلام كذلك ان الحارث هذا زار القسطنطينية (عاصمة الرومان يومئذ) سنة 563 ميلادية لمفاوضة حكومة القيصر في من يخلفه من اولاده (14) . وهذه الاخبار عظيمة الاهمية بالنسبة لبحثنا ان وسعناه فخرج عن نطاق لغة القرءان الى اللغة العربية عموما . اذ لا شك أن من شأن هذا الاتصال الوثيق بامم غير عربية ، كانت

---

5) المفردات في غريب القرءان صفحة 310 .
6) نسبها الى لهجة قبيلة انمار الامام ابو القاسم ابن سلام ـ الجلالين صفحة 125 من الجزء الثاني .
7) انظر دعوة الحق العدد الثاني من السنة الحادية عشرة صفحة 42 و 43 .
8) عدها ابو القاسم ابن سلام من لهجة هذه القبيلة انظر ذيل الجلالين صفحة 274 من الجزء الثاني .
9) المفردات في غريب القرءان صفحة 362 .
10) الجوهري وابن منظور والفيرزبادي والراغب وغيرهم .
11) المنجد في اللغة والادب والعلوم صفحة 370 .
12) الاعلام الجزء الثاني صفحة 154 .
13) نفس المرجع في نفس الصفحة .
14) بلوغ الأرب في معرفة احوال العرب الجزء الاول صفحة 344 .

حضارتها وقت هذا الاتصال حضارة باهرة تفوق بكثير حضارة العرب ؛ وكانت لغتها اكثر استعمالا واعظم انتشارا من لغة غسان ، ان يؤثر تأثيرا بليغا ، لا في السياسة المتبعة في القبيلة وفي نظم حياتها فقط وانما ايضا في لغتها واسلوب حديثها . ولعل الله يطيل العمر ، وييسر الامر ، فنتعرض لهذا الامر نبحثه ان شاء الله .

وكان دين افراد هذه القبيلة النصرانية ؛ قال الاستاذ محمود شكري الالوسي البغدادي ناقلا عن كتاب « اديان العرب » لابن قتيبة : « ان النصرانية كانت في ربيعة وغسان وبعض قضاعة وكانت اليهودية في حمير وبني كنانة وبني الحارث بن كعب وكندة وكانت المجوسية في تميم » .

وكانت تحيتهم في الجاهلية « يا خير الفتيان(15) » ومن المرجح جدا ان افراد قبيلة غسان كانوا يعبدون مناة رغم انهم كانوا نصارى كما سبقت الاشارة الى ذلك او على اصح تقدير عبدوا هذا الصنم في عهد الحارث ابن ابي شمر الذي اهدى لمناة سيفين اخرجهما علي رضي الله عنه بأمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصنم سنة ثمان من الهجرة وهما السيفان المسميان مخذم ورسوب (16) .

ويظهر ان تسميتهم بغسان ألصقت بهم لما نزلوا على ماء بهذا الاسم (17) . ولقد وجدت ان هذه القبيلة شاركت بثلاثة الفاظ في القرءان الكريم هي :

1 ـ اللفظة : « **طفق** (18) » في قوله تعالى « فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما **وطفقا** يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة واقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين » الاية 22 من سورة الاعراف . ولقد كررها الحق سبحانه مرتين في القرءان غير هذه ؛ فقال في سورة ص الاية 33 . « ردوها علي فطفقا مسحا بالسوق والاعناق » . وقال في سور طه الاية 121 « وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة » بنفس الصيغة اعلاه ، ومعنى هذه اللفظة في لغة غسان عمد ؛ وهي مكسورة عين الفعل الا ان ابا السمال قراها بالفتح (19) ، وقال الاخفش معززا هذه القراءة : « وبعضهم يقول طفق بالفتح يطفق طفوقا (20) وهو فعل لا يستعمل الا في الايجاب (21) ، وقال ابو البقاء العكبري « طفقا » في حكم كذا . ومعناها الاخذ في الفعل (22) .

2 ـ الكلمة : « **بئيس** (23) » في قوله تعالى : « فلما نسوا ما ذكروا به انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون » الاية 165 من سورة الاعراف ، ومعناها بلغة غسان شديد . « واصل بئيس بئس وهو من البؤس (24) » .

واعتقد ان هذه اللفظة هي من الكلمات التي ضربت الرقم القياسي في اوجه قراءاتها فقد ذكر لها الامام ابو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري ثلاثة عشر وجها ، وذكر لها الزمخشري في تفسيره ثمانية اوجه واحصى لها A. Jeffery مثل ذلك تقريبا وهذه هي اوجه قراآتها :

---

(15) بلوغ الارب صفحة 193 من الجزء الثاني .
(16) نفس المصدر صفحة 202 .
(17) الصحاح الجزء 6 صفحة 2174 .
(18) نسب هذه الكلمة الى لهجة غسان الامام ابو القاسم بن سلام . ذيل الجلالين صفحة 138 من الجزء الاول . كما عزاها الامام السيوطي الشافعي الى هذه القبيلة ، لكن معتمدا في ذلك على ابي القاسم السابق الذكر : الاتقان في علوم القرءان صفحة 136 من الجزء الاول .
(19) الزمخشري صفحة 58 الجزء الثاني .
(20) الصحاح الجزء الرابع صفحة 1517 .
(21) الراغب الاصفهاني ؛ المفردات في غريب القرءان صفحة 305 .
(22) املاء ما من به الرحمن من وجوه الاعراب والقراءات في جميع القرءان صفحة 270 من الجزء الاول .
(23) ذكر هذه المفردة في لهجة غسان ابو القاسم ابن سلام ، ذيل الجلالين صفحة 152 من الجزء الاول وتبعه في ذلك الامام السيوطي في الاتقان صفحة 136 من الجزء الاول .
(24) الراغب الاصفهاني المفردات في غريب القرءان صفحة 66 .

1) **بئيس** : بفتح الباء وكسر الهمزة وياء ساكنة بعدها (25) وهي قراءة زيد ابن ثابت وبعض قراء البصرة ومكة (26) .

2) **بييس** : بتخفيف الهمزة وتقريبها من الياء (27) .

3) **بئس** : بفتح الباء وهمزة مكسورة لا ياء بعدها (28) وهي قراءة زيد بن ثابت ايضا .

4) **بئس** : بكسر الباء اتباعا (العكبري) .

5) **بئس** : بكسر الباء وسكون الهمزة واصلها فتح الباء وكسر الهمزة (29) .

6) **بيس** : مثل القراءة السادسة بابدال الهمزة ياء ساكنة (العكبري والزمخشري) وهي قراءة طلحة وقتادة والزهري (30) .

7) **بيس** : بفتح الباء وكسر الياء واصلها همزة مكسورة ابدلت ياء (العكبري والزمخشري) .

8) **بييس** : بياءين على فعال .

9) **بيس** : بفتح الباء والياء من غير همزة واصله ياء ساكنة وهمزة مفتوحة الا ان حركة الهمزة القيت على الياء . ولم تقلب الياء الفا لان حركتها عارضة . (العكبري)

10) **بياس** : مثل ضيغم .

11) **بيس** : مثل سيد وميت وهي قراءة ضعيفة وقد قرا بها ابو سمال والاعمش وعكرمة (31) .

12) **بأيس** : بفتح الباء وسكون الهمزة وفتح الياء ، وهو بعيد اذ ليس في الكلام فعيل (العكبري) .

13) **بأس** : مثل السابق ولكنه بكسر الباء .

كل هذه القراءات الضعيفة منها وغير الضعيفة ، النادرة جدا والمستعملة بكثرة تدل على شيء واحد هو الذي يهمنا بالذات في هذا البحث ، ذلك ان هذه المفردة لم تكن معروفة عند القرشيين بالمعنى الذي اتى به القرءان او على اصح تقدير لم يكن الصحابة الذين سمعوا للمرة الاولى ، رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلو هذه الاية الشريفة بمتعودين على سماعها ، فنطق كل واحد منهم بهذه المفردة حسب النطق السائد المستعمل في قبيلته . ونرجح ان تكون القبيلة الام التي احتضنت المفردة في بداية الامر هي غسان .

3 ـ الكلمة : « سيء » الكائنة في سورة هود الاية 77 التي جاء فيها : « ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب » ولقد كرر الحق سبحانه وتعالى هذه الاية بزيادة لفظة : « ان » « بين » « ولما » و « جاءت » فقال في سورة العنكبوت الاية 33 : « ولما ان جاءت رسلنا سيء بهم وضاق بهم ذرعا . . . » ومعنى هذه الكلمة في هذه القبيلة كره .

❊ ❊ ❊

17 ـ لهجة قبيلة بني حنيفة (32) :

وهي قبيلة عربية ، جدها حنيفة بن لجيم بن صعب من بني بكر بن وائل ، من عدنان . كانت منازل بنيه « اليمامة » ومنهم « مسيلمة (33) » لكنها انفصلت عن بطن بكر بن وائل وانضمت الى تغلب اثر حرب البسوس (34) ، ولقد شرفها القرءان الكريم حين اختار منها ثلاثة الفاظ واستعملها فيه بالمعنى المتداول عندها ، والكلمات الثلاثة هي :

1 ـ لفظة « **العقود** (35) » الواردة في الاية الاولى من سورة المائدة التي يقول فيها الحق سبحانه

---

25) العكبري صفحة 287 من الجزء الاول ـ والزمخشري صفحة 101 من الجزء الثاني .
26) A. Jeffery صفحة 225 .
27) العكبري نفس المكان أعلاه ، وقد أهمل هذه القراءة صاحب الكشاف .
28) العكبري في نفس المكان اعلاه والزمخشري في نفس الجزء والصفحة .
29) العكبري صفحة 288 من نفس الجزء وفي الكشاف ايضا .
30) A. Jeffery صحة 256 .
31) نفس المصدر صفحة 270 .
32) الاعلام الجزء الثاني صفحة 324 والمراجع التي ذكرتها هناك .
33) المرجع السابق ، نفس الصفحة .
34) الاب فردنان توتل اليسوعي ـ المنجد في الادب والعلوم ، صفحة 168 .
35) نسب هذه اللفظة الى هذه القبيلة الامام ابو القاسم ابن سلام في ذيل تفسيره الجلالين صفحة 99 من الجزء الاول وتبعه في ذلك الامام السيوطي في الاتقان صفحة 136 من الجزء الاول .

وتعالى : « يا ايها الذين ءامنوا اوفوا بالعقود احلت لكم بهيمة الانعام الا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد وانتم حرم » ومعنى العقود بلغة بني حنيفة العهود .

2 ــ المفردة : « الرهب » في الاية 32 من سورة القصص التي جاء فيها : « اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم اليك جناحك من الرهب فذانك برهانان من ربك الى فرعون وملئه . انهم كانوا قوما فاسقين » .

قال الامام ابو القاسم ابن سلام ان هذه المفردة من لهجة بني حنيفة ومعناها الكم (36) لكن الامام محمود بن عمر الزمخشري يرد على هذا التاويل فيقول (37) : « ومن بدع التفاسير ان الرهب الكم بلغة حمير (38) وانهم يقولون اعطني مما في رهبك . وليت شعري كيف صحته في اللغة وهل سمع من الاثبات الثقات الذين ترتضي عربيتهم ثم ليت شعري كيف موقعه في الاية وكيف تطبيقه المفصل كسائر كلمات التنزيل على ان موسى عليه السلام ما كان عليه ليلة المناجاة الا زرمانقة من صوف لا كمي لها (39) » هو رد كما ترى مفيد جدا . اعتمد على حجة دقيقة وهو لباس موسى وقت المناجاة . اذا صحت . تكون بليغة في الموضوع . واحب ان اثير الانتباه الى ان هذه هي المرة الاولى التي ارى فيها الزمخشري يرد بهذه القوة على اصل اقوى نظنه فاسدا .

ولقد اجهد كثير من المفسرين غيره في البحث عن معنى هذه الكلمة ، فقال ابو القاسم الراغب الاصفهاني : « قال مقاتل : خرجت التمس تفسير الرهب فلقيت اعرابية وانا آكل فقالت : يا عبد الله ، تصدق علي ؛ فملات كفي لادفع اليها فقالت ههنا في رهبي اي كمي (40) » ولكن الراغب مثل الزمخشري لا يطمئن الى هذا التفسير فيقول : « والاول اصح (41) » ويقصد بالاول التفسير الذي اعطاه اولا لكلمة الرهب وهو الفزع .

3 ــ الكلمة : « **تحبرون** » الموجودة في الاية 70 من سورة الزخرف التي جاء فيها : « ادخلوا الجنة انتم وازواجكم تحبرون » ولقد اورد الحق سبحانه وتعالى هذه المفردة في الاية 15 من سورة الروم حيث قال : « فاما الذين ءامنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون » .

والجدير بالذكر أن الاثنين مكيتان معا ، وان المفردة في لهجة بني حنيفة هو « تنعمون » .

وأحسن كلام يمكن أن يختم به المؤمن الثائب حلقة بحثه ، تيمنا وتفاؤلا ، هو هذه الاية الشريفة : « ادخلوا الجنة انتم وازواجكم تحبرون » راجيا ان اسمعها موجهة لي يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم .

اكادير : الراجي التهامي الهاشمي

---

(36) ذيل تفسير الجلالين الجزء الثاني صفحة 93 وتبعه ، كما هي عادته الامام السيوطي الشافعي في الاتقان الجزء الاول صفحة 136 .
(37) الكشاف الجزء الثالث صفحة 166 .
(38) يرد بذلك على من يجعلها من اصل حميري دون سواه .
(39) الكشاف الجزء الثالث صفحة 166 .
(40) المفردات في غريب القرءان صفحة 204 .
(41) نفس المصدر ونفس الصفحة .



للأستاذ الحاج أحمد التيجاني

\- 2 -

جاء في المثل : « سبب بسيط يتولد عنه اثر عظيم » من باب التشبيه هو بمنزلة حجر اذا القيته في مستنقع أخذت الدوائر تنداح على وجه الماء الدائرة تلو الدائرة الى ان تنتهي الى الشاطىء . من هذا القبيل فيما نحن فيه ما وقع في آية « والله خلقكم وما تعملون » تواطأ الجمهور على الاستشهاد بها مقتصرين عليها من غير القاء بال الى السياق الذي هو بمنزلة المقدمة من النتيجة فعمد الناس الى قطع صلة الرحم التي بينهما واخذوا الآية مقتضبة منتوفة كأنها آية مستقلة والى القارىء الكريم السياق الذي تندرج فيه آية : « والله خلقكم وما تعملون » هذا السياق جاء في صورة حوار وقع بين نبي الله ابراهيم عليه السلام من جهة وابيه وقومه المشركين من الجهة الاخرى . (وان من شيعته لابراهيم اذ جاء ربه بقلب سليم اذ قال لابيه وقومه : ماذا تعبدون ؟ أئفكا آلهة دون الله تريدون فما ظنكم برب العالمين واسترسل الكلام الى قوله جل ذكره : **أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون »** يقول ابراهيم لابيه وقومه : اليس من الغباوة ان يعبد الناس صنما ينحته بيده ؟ اتجهلون ان الخالق سبحانه هو الخالق للناحت والمنحوت هو الخالق لكم انتم والخالق لمعبودكم اذا كان من ذهب او فضة او خشب أو غير ذلك فهو سبحانه الخالق للجميع وبهذا التخريج للاية يستقيم احتجاج ابراهيم بخلاف حمل ما في قوله وما تنحتون على انها مصدرية وعلى ان المعنى خلقهم وخلق عملهم والمانع الجلي للعيان من حمل ما على انها مصدرية هو انه يصح في هذه الحالة لخصوم ابراهيم ان يجيبوه : يا ابراهيم اذا كان الله هو الخالق لنا ولاعمالنا فان عبادتنا لالهتنا **هي من جملة أعمالنا** فماذا تنقم منا اذن ؟ ويصبح ابراهيم محجوجا وحاشاه وحاشاه وهو من قال سبحانه فيه : « وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه ! »

والحاصل ان القصة لمن تأمل فيها بتمامها تغني عن كل شرح الى حد يجعل الكلام فيها ضربا من اللغو على اني اجهل ان هناك من يعمد الى التماس وجه من وجوه التأويل والاستدلال بالآثار هيهات هيهات :

الله اكبر ان دين محمد
وكتابه اقوى واقوم قيلا
لا تذكروا الكتب السوالف بعده
طلع الصباح فاطفئ القنديلا

ودعني من توجيهات وتأويلات أصحاب علم الكلام. جاء في سورة النساء : « وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله » ثم قال سبحانه بعدها : « ما اصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك » .

الاشكال في وجه الجمع بين قوله تعالى في الآية الاولى : وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك **قل كل من عند الله »** وبين قوله بعدها : « ما اصابك من حسنة فمن الله **وما أصابك من سيئة فمن نفسك »** حل الاشكال يلتمس في سورة الشورى في قوله تعالى: « **وما أصابكم من مصيبة بما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير »** .

الشرح : اقترفت ق يومي عشر سيئات فعفا لي سبحانه عن سبع تصديقا لقوله وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات فالعفو عن السبع سيئات صدر من عند الله نصا وهو قوله : ويعفو عن كثير . بقيت ثلاث سيئات تمام العشرة لم يغطها ستر العفو . بعدم العفو عنها مفهومه الاذن من الله في ان يصيبني عقابها فتكون النتيجة سبع سيئات محيت بعفو الله الذي وسعت رحمته كل شيء فمحوها وقع عند الله نصا . والثلاث الباقية اصابتني عقوبتها كذلك من الله لان عدم العفو عنها اذن منه سبحانه في ان اعاتب عليها . فالقارىء الكريم يرى ان ما جاء في سورة النساء « قل كل من عند الله » يتجاوب مع نظيره في سورة الشورى : « وما اصابكم من مصيبة بما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير » وبهذا التاويل نخرج بحمد الله من باب واسع ونبدأ من عهدة قوله جل ذكره : ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا . وبما ان القرآن تراث مشاع بين جميع المسلمين فلكل من فيه الكفاءة وعنده ما ينفع المجتمع الاسلامي ان يجود بما عنده .

يجري على الالسنة مجرى الامثال السيارة الاستشهاد بقوله تعالى : « فاسالوا **اهل الذكر** ان كنتم لا تعلمون » يعنون باهل الذكر اهل العلم بالشيء الذي توقفتم عليه كيفما كان هذا الشيء . الجواب ان السياق الذي جاءت فيه هذه الآية الكلام فيه صريح على ان المراد باهل الذكر في الآية اهل الكتاب اليهود والنصارى المعنى لا يتوقف الا على شيء قليل من التدبر الذي كان منع المشركين من تصديق النبي عليه السلام ما حكاه الله عنهم في آيات شتى : « وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا — قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا — وقالوا ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا او يلقى اليه كنز — فكان الجواب لهم : وما أرسلنا من قبلك الا رجالا يوحى اليهم **فاسالوا آهل الذكر ان كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر »** في سورة النحل ومثله في سورة الانبياء : « وما ارسلنا قبلك الا رجالا يوحى اليهم فاسالوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون » الآيتان تواردتا على معنى واحد لاسيما وكلمة الذكر لا تطلق في عرف القرآن الا على الكتب السماوية : « وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسالون المراد بالذكر هنا كما لا يخفى القرآن فان اول الآية صريح فيه ; وذلك قوله تعالى : « فاستمسك بالذي اوحي اليك انك على صراط مستقيم وانه لذكر لك ولقومك . ص والقرآن ذي الذكر — ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون »

جاء في سورة ص : « وقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار اتخذناهم سخريا ام زاغت عنهم الابصار 62 — 63 » قرأ حفص اتخذناهم سخريا على ان الهمزة همزة وصل لا همزة استفهام على ان المعنى ان الفوج الذي سيق الى النار قالوا لما وردوها : ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار اتخذناهم في الدنيا سخريا يغلب على الظن انهم هنا وانما زاغت عنهم الابصار — يشهد لقراءة حفص قوله تعالى في آخر سورة المومنون « انه كان فريق من عبادي يقولون ربنا اننا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين فاتخذتموه سخريا حتى انسوكم ذكرى وكنتم منهم تضحكون اني جزيتهم اليوم بما صبروا انهم هم الفائزون » ولا يعكر على هذا المعنى ما اعتاده الناس من ان أم تكون في جواب استفهام قبلها وهذا من الخطا فان لفظ أم تكرر ذكرها في القرآن من غير سبق استفهام : « وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام نجعل المتقين كالفجار — ام آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون . ام حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من آيتنا عجبا !

تواطا الناس على الاستشهاد بقوله تعالى: « وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى » على ان المراد به ان كل ما ينطق به عليه الصلاة والسلام هو وحي يتلقاه من ربه. وهذا الفهم يعكر عليه آيات لا تساعد عليه منها قوله تعالى : « عفا الله عنك لم اذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين — يا ايها النبيء لم تحرم ما احل الله لك تبتغي مرضات ازواجك والله غفور رحيم — بل المراد في الآية التي نحن فيها : وما ينطق عن الهوى القرآن والكلام تحدر من السورة قبلها وهي سورة والطور ختمت بردع المشركين عن تقولاتهم وتوجيه انواع الطعن في ما جاء به عليه الصلاة والسلام فانهال عليهم القرآن بالتحدي والتبكيت بقوله: فذكر فما انت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون ، ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون قل تربصوا فاني معكم من المتربصين . ام تامرهم احلامهم بهذا ام هم قوم طاغون — ام يقولون تقوله بل لا يومنون فلياتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين — الخ الخ . بعد تدفق هذا السيل العرم من انواع التبكيت انفجر الجواب من بين شفتي جبريل : والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما

غوى كما تقولتم وما ينطق عن الهوى ان هـــو اي القرآن الا وحي يوحى من عند حكيم عليم .. وبـــين السورتين سورة والطور وسورة والنجم صلة رحمهاسة كما هو الحال بين سورة الفيل وسورة قريش فان سورة قريش اذا أخذتها مستقلة لا يظهر معناها وانما يتضح المعنى اذا وصلتها بسورة الفيل ويصير المعنى جعل سبحانه كيد أصحاب الفيل في تضليل حتـــى جعلهم كعصف ماكول لتبقى قريش جوار بيت الله على ما الفته من رحلتي الشتاء والصيف : رحلة الى الشام لجلب الميرة ورحلة الى اليمن فأمن لهم الطرق باهلاك عدوهم فرد على هذا ان السورتين كتبتا سورة واحدة في مصحف أبي أحد كتاب الوحي على عهد رسول الله صلوات الله عليه جاءتها هكذا على شكل سورة الانفال وسورة التوبة فلا بسملة بينهما ومن هنا جاء القول بان البسملة ليست آية من القرآن فان الصحابة رضي الله عنهم ومن قبلهم من العرب المجاورين في المدينة لاهل الكتاب يقولون : باسمك اللهم .. ثم لما نزل قوله تعالى : قل ادعو الله او ادعو الرحمان قالوا : باسم الرحمن الى ان نزل قوله تعالى انه من سليمان وانه باسم الله الرحمان فساروا عند ذلك يقولون باسم الله الرحمن الرحيم .

وفي الختام اقول : يكفي لاقناعك أيها القـــارىء الكريم هذا الدليل البسيط فيما نحن فيه اثرى وتسمع الى ما وصل اليه مجتمعنا من عدم التدبر في كتاب الله: تعود طلبة القرآن الترحم على الميت عند الدفن بالآيات التي ذكرت فيها الرحمة : وبشر الصابرين الذيـــن اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة الى ان يختموا بقوله تعالى : وان عليكم لحافظين على ان كلمة لحافظين من الحفظ والرحمة والعطف والحال ان معناها ها هنـــا بمعنى الرقابة والحراسة فان قبلها : كلا بل تكذبون بالدين .

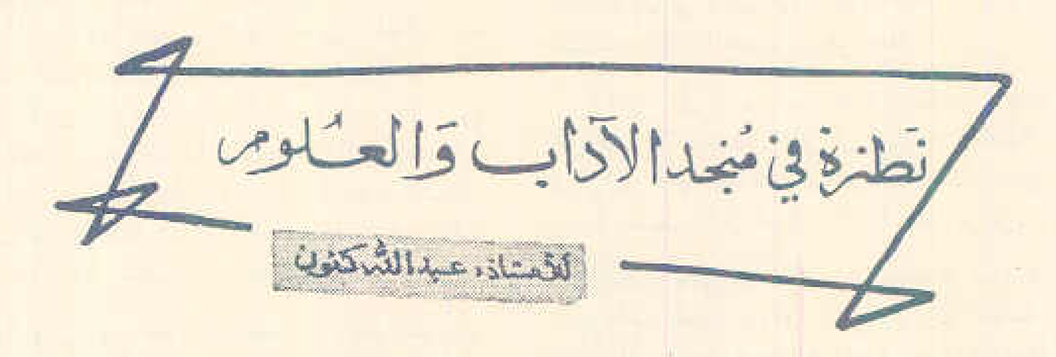
وفي الختام اقول ان ما ذكرته من الايات المتجاوبة انما هو كنموذج الفت به انظار السادة العلماء والقول الفصل يكون للجنة من الاختصاصيين يتولى تعيينهـــا حامي الحمى ورمز الوطن جلالة الملك الحسن الثاني حفظه الله للوطن وحفظ لسانه للاسلام .

الرباط : أحمد التيجاني

كلكم يبكـــي .. ! !

جلس الحسن البصري يوما يعظ الناس ، ويذكرهم بالله واليوم الآخر ، حتى أبكاهم . فلما انتهى من درســه ، وأخذ يستعد للانصـراف ، بحث عن مصحفه الذي كان بجواره ، فوجده قد سرق ، فتغيظ الرجل الناسك مما حدث ، ولم يستطع السكوت ، والتفت الى هؤلاء الذين لم تجف دموعهم ، وقال لهم في الم مر : كلكم يبكي ، فمن سرق المصحف ؟ ؟ ! !

أبحاث ودراسات



- 21 -

حــرف النــون :

597) فى ص 528 ، ع ني كلمــة عن الناصــر الموحدي قال فيها : لقب شرف لرابع امراء بني المومن او الموحدين فى المغرب ، والصواب ان يقول بني عبــد المومن ، ثم قال : وهو ابو عبد الله محمد بن عبد المومن ، والصواب محمد بن يعقوب بن يوسـف بن عبد المومــن فهو حفيد هذا الاخير لا ابنــه .

598) فى نفس العمود ترجمــة للناصر بن علناس من ملوك بني حماد ، ضبط علناس بسكون اللام وهــو بفتحها لان أصله علا الناس فادغــم فصــار علناس . وقال : فى ايامه ارتفعت دولة بني حمــاد على انقاض دولة بني الزير ، وصوابه بني زيري بياء ءاخــرة دون ال . ثم قال : كانت عاصمته اشيــر وقاعداته مليانــا والجزائر وهمزة ونجاوس والصواب مليانة بتاء وحمزة بحــاء وتقاوس بقاف كما درج المؤرخون على كتابتهــا

599) فى ص 529 ، ع ل اثناء كلامه على الامــراء الزيديين فى بلاد اليمن ذكر الناصر بن الهادي فقــال قاوم القرمط وتوفى فى صعدى ، والصواب القرامطــة وصعــدة بتــاء .

600) فى ع ني من الصفحة ذاتها بعنوان الناصري الســلاوي كلمة عن مؤرخ المغــرب احمد بن خالــد الناصري ذكر فيها تاريخ وفاته وقال انه الف تاريــخ مراكش ، وكان سبق له أن ترجمه فى حرف السيــن تحت عنوان الســلاوي وذكر اسم تاريخه الكامل اعتــي الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى . كما ذكر الكتاب باسمه هذا فى حرف الالف ، فياليته نسق بين هــذه التراجم او على الاقل لم يقل هنا : الف تاريخ مراكش ، بدون ذكر اسمه مما يجعل الامــر يلتبس على طالب العلم فيظن ان الشخص ليس واحدا .

601) وفى هذا العمود ايضا ترجمة لناظم مصطفى ابن اسماعيل قال فيها : له ديوان مفحم بروح التصوف ، ونظن ان مراده مفعم بالعين لا بالحاء ، فكلمة مفحــم هنــا خطــا فى التعبيــر .

602) فى ص 530 ، ع ني ترجمة للشيــخ يوسف النبهاني ، جعل وفاته فيها سنة 1926 وهي كمــا فى قاموس الاعلام سنة 1932 ثم انه لم يزد على ان وصفه برئيس محكمة الحقوق ببيروت وانــه زار استنبــول وعدة مدن اخرى ، والشخص مهما يكن من امره فانــه كان شاعرا واديبا ومؤلفا مكثرا فعلى الاقل كان عليــه ان يذكر انه من اهل العلم وخلف ءاثارا عديدة تمثــل نزعــة مــا

603) فى ص 531 ، ع ل ترجمة للشاعر المصــري ابن النبيه دعاه فيها النبيه بدون ابن وهو لم يعرف الا بهــا . وجعل ولادته سنة 1210 ووفاته سنة 1282 والذي فى ترجمته باول ديوانه نقلا عن ذيل ابن خلكان وغيره انه توفى عام 619 وعمره تقديرا نحــو ستين سنة ، فيكون موافق ذلك بالتاريخ الميلادي (1162 – 1222) وهذا هو الذي فى قاموس الاعلام بالنسبة الى

الوفاة لان هذا القاموس لم يذكر تاريخ الولادة . وزاد المنجد قائلا له ديوان الخليفيات ، ولا ندري من اين اتى بهذه التسمية فالذي ذكره صاحب فوات الوفيات انه جمع ديوانه ولم يذكر له تسمية ، والديوان المطبوع الذي بين ايدينا هو كذلك ليس له تسمية ولا في مقدمته تعريج عليها . نعم فيه تقسيم لامداحه بين الخليفة الناصر والملك العادل والملك الاشرف من بني ايوب ، فجعل للباب الاول عنوان الخليفيات وللباب الثاني عنوان العادليات وللباب الثالث عنوان الاشرفيات ؛ ونعتقد ان ذلك من عمل ناشر الديوان الاديب الشهير عبد الله باشا فكري لانه اضاف اليه بعض الزيادات وقال في ءاخره : « قال جامعه على هذا الترتيب . . » الخ

604) في ع ني من هذه الصفحة ترجمة لنجم الدين كبري جاء فيها انه من اعلام الصوفية في فاس وهو خطأ صوابه فارس

605) في ص 533 ، ع ل كلمة عن بلدة ندرومة المعروفة في الجزائر ، كتبها ندروما بألف ءاخرها وهي بالتاء

606) في ع ني من الصفحة تعريف بنزار بن معد بن عدنان قال عنه انه الجد الاعلى لقبائل شمالي الجزيرة العربية الذي يفاخرون به عرب الجنوب ولكنه لم يكن الشخصية التاريخية التي ارادوها . . ويعلم الله ما تحت هذا الكلام من خبيء ومن اين اتى به !

607) وفيه ايضا تعريف بالامام النسفي صاحب التفسير وغيره قال فيه : له عمدة عقيدة اهل السنة والجماعة ، وهي عقائد النسفي المشهورة تعرف بعمدة العقائد لا بما ذكره المنجد ، ثم قال وكشف الاسرار وشرح المصنف على المنار ، وصواب هذا الكلام ان يقال والمنار وهو مختصر له في اصول الفقه ، وشرح عليه هو المسمى بكشف الاسرار

608) في ص 534 ، ع ني كلمة عن مدينة نصيبين المشهورة ، ضبطها بكسر النون وتشديد الصاد وهي بفتح النون وتخفيف الصاد المكسورة بعدها ياء فباء موحدة ثم ياء على صورة جمع السلامة في حالة نصبه وجره ، وبعضهم يلحقها الواو في حالة الرفع فيقول نصيبون ، ولكن الجميع على فتح النون وعدم تشديد الصاد . وذكر المنجد بعدها ترجمة لايليا المنصوري النصيبيني فضبطه بكسر النون وتشديد الصاد تبعا لضبط اسم المدينة عنده وقد علمت ما فيه

609) في ص 535 ، ع ل كلمة عن يهود بني النضير الذين اجلاهم النبي (ص) عن المدينة ، جعلهم بني نضير بدون ال وهم لايعرفون الا بها

610) في ص 536 ، ع ل تعريف بالنعمان بن بشير الانصاري من اصحاب رسول الله (ص) ، ذكره بصيغة النسب هكذا النعماني وهو خطأ

611) في ع ني من هذه الصفحة وتتمة لترجمة ابي نعيم الاصبهاني ذكر ان كتابه (الحلية) مخطوط في برلين وهو قد طبع بمصر منذ زمان ، على انه كان يوجد مخطوطا في اماكن كثيرة غير برلين

612) وفي هذا العمود كذلك ترجمة لابن ابي زيد القيرواني تحت عنوان النفزاوي ابو محمد عبد الله القيرواني ، جاء فيها انه ولد في نفزاوة وتوفي في فاس، وكونه توفي بفاس امر غير معروف ولم يقل به احد فان وفاته ببلده القيروان وبها يوجد قبره وقد ذكر له من تاليفه (الرسالة) وهي حقيقة من اشهر كتبه ولكن اكبرها واهمها كالنوادر والزيادات على المدونة التي بها عد من اعلام الفقه المالكي حتى قيل فيه مالك الصغير ، لم يذكره

613) ص 538 ، ع ل بعنوان النفوسة تعريف بنفوسة القبيلة المغربية الشهيرة ، وهي معرفة بدون ال بل بالعلمية فيجب حذف الاداة منها .

614) في ص 540 ، ع ني كلمة عن مدينة نمور بالجزائر جعلها نمورس بسين في ءاخرها تبعا لرسمها الفرنسي ، وهي في العربية بدونها ، وكذلك في نطقها الفرنسي ، وقال : سماها الرومان الاخوان والاتراك جمع نمروات وهو يعني جامع الغزوات الذي بعد اسمها الاصلي

615) في ص 541 ، ع ل ذكر كتاب نهاية الارب في معرفة انساب العرب للقلقشندي ، ولكنه سماه نهاية الارب في معرفة قبائل العرب ، والفرق وان كان بسيطا الا ان موضوع الكتاب انما يحققه لفظ انساب لا قبائل، اذ يمكن ان يتكلم على القبائل بدون ذكر انسابها المتفرعة

616) في نفس العمود ذكر كتاب نهج البلاغة وتعرض لشروحه فذكر منها شرح المدائني يعني ابن ابي الحديد وشرح قاضي بغداد والبحراني ولكنه سماه الهجراني . ثم ذكر انه طبع في بيروت مع شرح الشيخ محمد عبده وفاته ان يذكر ان شرح ابن ابي الحديد مطبوع قديما في طهران وفي مصر ، وبعد طبعه في بيروت الان

617) في ع ني من الصفحة نفسها ذكر كتاب نوابغ الكلم للزمخشري ، فسماه نوابغ العلم وهو خطأ ان لم يكن غلطا مطبعيا

618) في ص 542) ع ني ترجمة لنور الدين زنكي الملك العادل المجاهد الشهير ، وقد كتب فيها اسم زنكي بالجيم وضبط الزاي بالكسر فصارت قراءته زنجي وبذلك يتوهم من لايعرفه انه واحد الزنوج ، وهكذا فسد المعنى بسوء التصرف ، ولو كتبه كما يكتبه جميع المؤرخين بكاف لتجنب ذلك التوهم ووافق غيره من المؤرخين

619) في ص 546 ، ع ل كلمة عن مدينة نينوى تعرض فيها لذكر النبي يونس عليه السلام ولكنه سماه بيونان ، ولا يعرفه العرب الا باسم يونس فكان من حقه ان يذكره بهذا الاسم

عبد الله كنون

- معذرة وبراءة -

معذرة الى قراء مجلة دعوة الحق ،وبراءة مما حلاني به فيها اخي وصديقي الاستاذ الدكتور زكي المحاسني من اوصاف لا اراها تتحقق في احد ممن مضى أو غبر ، فاحرى في انا العاجز الذي اقول في ابيات متحدثا عن نفسه :

قاصر او مقصر ، بل هما ، فالشأن فيه القصور والتقصير

وعتبي لصديقي القديم Mon Vieux الذي اوقعني في حرج عظيم من حيث اراد ان يعبر لي عن تقديره العظيم ، واستغفر الله لي وله على كل حال ، شاكرا ومقدرا نبل عواطفه وكرم شمائله التي املت عليه ذلك التقريظ الجميل اللطيف لديواني اللوحات ، الذي لا انكر بل اعترف اني سررت به وابتهجت كثيرا ، كما يسر كل الناس بالمدح والثناء ، وانما الذي لم اقبله ، هو تلك التحلية المبالغ فيها جدا ، فان قلت ان صديقي لا يعرف المغرب وعلماءه الاعلام ، ولذلك قال ما قال ، فلا شك انه يعرف اعلام المشرق ، وهم من الكثرة وسعة المعرفة بحيث لا يطاولون ، وعليه فهي هفوة ولكن تداركها بالتنصل والاعتذار هو من واجباتي انا قبل كل ، وعفوا .

طنجة : عبد الله كنون

تقويم اللسانين مستقيم :
وقد عدلت في تعديلك عن العدالة

للدكتور تقي الدين الهلالي

(5)

كلمة اقدمها بين يدي المقال

لم اقدم على الكتابة فى هذا الموضوع حتى ايقنت ان قراء اللغة العربية وكتابها والمتكلمين بها فى اشد الحاجة اليه ، وانهم يتلقونه بغاية الترحيب كما يتلقى الظمآن العذب الفرات البارد ، وقد صدق ظني فى ذلك ، فجاءتني رسائل عديدة من الاقطار البعيدة والقريبة تصدق ما ظننت .

ولما وصلت الى مدينة النبي (ص) ، ثم الى مكة اجتمعت بوفود بيت الله من جميع اقطار العالم ، وجدت قراء مقالاتي من العلماء والاساتذة والتلاميذ فوق ما كنت اقدر ، ووجدت كثيرا منهم متلهفين الى هذا الموضوع الجديد (تقويم اللسانين) فزادني ذلك نشاطا واغتباطا ، وجعلت قول الحسود والقالي والمتعسف فى الموضع اللائق به من الاهمال والاعراض، فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله .

26 ــ استعمال (حيث) للتعليل

يقال مثلا : لم ينجح فلان فى الامتحان حيث لم يكن مواظبا على حضور الدروس ، والصحيح ان يقال: لانه لم يكن مواظبا الخ .

ومن ذلك (حيثيات الحكم المستعملة فى المحاكم ، اذا اراد الحاكم ان يصدر حكمه يعلله بقوله : وحيث ان المدعى عليه ثبتت براءته بشهادة الشهود ، وحيث ان المدعي بالكسر لم يات ببينة تشهد له ، ثم يستمر على هذا الشكل يعطف (حيث) على مثلها حتى يمل القارىء والسامع .

وصواب ذلك ان يقال : ولما ثبتت براءة المدعى عليه بشهادة العدول ، ولم يات المدعي بالكسر ببينة تثبت دعواه ، ثم يعطف ما شاء بعد ذلك على هذا النمط ، ثم يقول : حكمنا ببراءته بعد انتهاء تعليل الحكم .

وبيان ذلك ان (حيث) ظرف مكان يقال : اجلس حيث يليق بك ان تجلس ، اي فى الموضع الذي يليق بك ان تجلس فيه .

قال الراغب : (حيث) عبارة عن مكان مبهم يشرح بالجملة التي بعده نحو قوله تعالى : (وحيث ما كنتم) (ومن حيث خرجت) اهـ .

قال البيضاوي فى تفسير قوله تعالى فى سورة البقرة 149 : (ومن حيث خرجت) ومن اي مكان خرجت للسفر (فول وجهك شطر المسجد الحرام) اذا صليت . اهـ

وقوله تعالى : (وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره) اي موضع كنتم من ارض الله الواسعة توجهوا بوجوهكم نحو البيت فى صلاتكم .

وقال البيضاوي فى قوله تعالى فى سورة الاعراف 192 : (والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون) اي سنستدنيهم الى الهلاك قليلا قليلا ،

واصل الاستدراج الاستصعاد او الاستنزال درجة بعد درجة (من حيث لا يعلمون) ما نريد بهم ، وذلك ان تتواتر عليهم النعم ، فيظنوا انها لطف من الله تعالى بهم فيزدادوا بطرا وانهماكا في الغي حتى يحق عليهم كلمة العذاب . ا ه

اقول : يقول الله تعالى : سنقربهم من العذاب ، ونأخذهم به من الجهة التي لا يتوقعونه منها بتكثير النعم عليهم ، وتأخير العذاب عنهم حتى يزدادوا بطرا وطغيانا ويغتروا ، ويظنوا ان الله ما اكثر عليهم تلك النعم الا وهو راض عنهم ، كما قال تعالى في سورة المؤمنين 55 ــ 56 : (ايحسبون ان ما نمدهم به من مال وبنين . نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون) .

وقال تعالى في سورة سبا 37 : (وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى الا من آمن وعمل صالحا ، فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا ، وهم في الغرفات آمنون) .

يعني أن كثرة الاموال والاولاد عند المرء لا تدل على انه من المقربين عند الله ، لان ذلك قد يكون استدراجا ومكرا ، والذي يدل على رضوان الله هو الايمان والعمل الصالح ، فصاحبه هو الذي يضاعف الله اجر عمله ، ويكون يوم القيامة منعما في الغرفات ، آمنا من عذاب الله .

وتجيء (حيث) مجرورة بالباء فلا تخرج عن سنتها ، وهي الدلالة على ظرف المكان ، قال شاعر يحث بني العباس على الفتك ببني امية بعد أن اظفرهم الله عليهم :

انزلوها بحيث انزلها اللـــ
ـــه بدار الهوان والافلاس

والضمير في انزلوها يعود على امية بمعنى القبيلة، اي انزلوا بني امية بالمكان الذي انزلهم الله به من الذل.

وتجيء ايضا مجرورة بالى كذلك كقول الادباء : اذ سمعوا بهلاك انسان يكرهونه : الى حيث القت رحلها ام قشعم ، وذلك اشارة الى قول زهير بن ابي سلمى في المعلقة :

فشد ولم يفزع بيوتا كثيرة
لدى حيث القت رحلها ام قشعم

فحمل حصين بن ضمضم على خصمه ، ولم يخف بيوتا كثيرة ، اي لم يتعرض لها في الموضع الذي القت فيه رحلها اي نزلت فيه ام قشعم ، وهي المنية اي الموت ، اي هجم على خصمه في الموضع الذي حان فيه هلاكه ، فارداه قتيلا . وهنا جرت (حيث) باضافة لدى اليها ، وهي مبنية على الضم في اللغة الفصحى ، وبعض العرب يفتحونها ، وبعضهم يكسرون ثاءها .

ولا تضاف الا الى جملة فعلية نحو قوله تعالى في سورة الانعام 124 : (الله اعلم حيث يجعل رسالاته)، وقوله تعالى في سورة الطلاق 2 ــ 3 : (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب) اي من الجهة التي لا يظن ان الرزق يأتيه منها .

او الى الجملة الاسمية نحو : اقم حيث المقام طيب ، واظعن حيث الظعن سهل ، وحيث في ذلك مضافة الى الجملة الفعلية او الاسمية ، وقد يحذف خبر المبتدا في الجملة الاسمية نحو : هذا المنزل طيب من حيث الكلأ ، والبعد عن طريق القوافل . اما من حيث الماء فليس بجيد ، وتقدير الخبر فيهما موجود.

وقد تضاف (حيث) الى مفرد شذوذا كقول الشاعر :

اما ترى حيث سهيل طالعا
نجم يضيء كالشهاب لامعا

بجر سهيل .

قال العيني وتبعه الصبان : ترى بصرية ، وطالعا مفعولها ، وحيث ظرف ، ثم قال الصبان : وقيل : مفعولها حيث ، وطالعا حال من سهيل . ا ه

وهذا الذي حكاه بصيغة التمريض هو الصواب الذي يستحق التصدير ، اي اما ترى مكان سهيل حال كونه طالعا ، وقد قلد الصبان العيني ، وقلده كذلك الخضري في حاشيته على ابن عقيل ، والعيني امام محقق في علوم العربية ، لا في علوم الدين ، ولكنه غير معصوم ، وخطؤه في هذه المسألة ظاهر ، وقيل سهيل مرفوع على الابتداء ، وخبره محذوف تقديره موجود ، فلا شاهد فيه ، على اضافة حيث الى المفرد . وهناك شاهد آخر على اضافتها الى المفرد لا اريد أن اطيل بذكره .

وجزم ابن هشام في المغني أن حيث قد تدل على الزمان ، واحتج على ذلك بقول الشاعر :

حيثما تستقم يقدر لك اللـــ
ـــه نجاحا في غابر الازمان

اما ائمة اللغة فقد جعلوا استعمالها للزمان خطأ، وخصصوها بالمكان . قال في القاموس : (حيث) كلمة دالة على المكان كحين الزمان ، ويثلث آخره .اه وقد تقدم ذلك مبسوطا .

27 ـ قولهم علمانـي وعقلانـي خطـا والصواب : علمي وعقلي

وجهال هذا العصر يطلقون العلماني على بني على العلم من العقائد والافكار المضادة للدين ، فيقولـون : دولة علمانية ، اي لا تنتسب الى اي دين ، بل تعتمد في شؤونها على العلم ، وهي جديرة بان تسمى جهليـة ، لان الدين هو المبني على العلم اليقيني ، ولسنا بصدد انتقاد هذا اللفظ من حيث المعنى ، فانه ساقط ، وقد تبين في مقالات دواء الشاكين وقامـع المشككيـن أن السواد الاعظم من العقلاء الاحرار الذين يستطيعون أن يعبروا عما يعتقدون بلا خوف يؤمنون بالله وبالدين .

اما الشعوب المغلوبة على امرها فلا يحكم عليهـا بشيء حتى تعود لها حريتها في اعتقادها ، وانما ننتقد هذه العبارة ونبين براءة اللغة العربية منها ، فالنسبة الى العلم علمي .

قال ابن هشام في كتابه (اوضح المسالـك الـى الفية ابن مالك) ما نصه : بـاب النسـب . اذا اردت النسب الى شيء فلا بـد لـك من عملين في آخـره : احدهما أن تزيد عليه ياء مشددة تصير حرف اعرابه ، والثاني ان تكسره فتقول في النسـب الـى دمشـق : دمشقي . ا هـ وهكذا فعلنا في النسب الى العلم ، فقد كسرنا آخر الكلمة ليناسب الياء وزدناه ياء مشدودة . فزيادة الالف والنون في قولهم : علماني لاوجه لها ، وانما جاءت من الجهل بقاعدة النسب ولا يمكنهم ان يقولوا : ان هذه نسبة على غير قياس ؛ لان ما جـاء من ذلـك يقتصر فيه على السماع ولا يقاس عليـه . قـال ابن مالك في آخر النسب من الفيته :

وغيـر مـا اسلفتـه مقـررا
على الذي ينقل منـه اقتصـرا

قال الاشموني في شرحه لالفية ابن مالك : يعني أن ما جاء من النسب مخالفا لما تقدم من الضوابـط شاذ ، يحفظ ولا يقاس عليه ، وبعضه اشذ من بعض . فمن ذلك قولهم في النسـب الى البصـرة : بصـري ـ بكسر الباء ـ والى الدهر : دهري ـ بضم الدال ـ والى مرو : مـروزي ، والـى الـري : رازي ، والـى خراسان : خرسي وخرسي ، والى جلولاء وحـروراء ـ موضعين ـ جلولـي وحـروري ، والى البحريـن : بحراني ، والى امية : اموي ـ بفتح الهمـزة ـ ، والى السهل : سهلي ـ بضم السين ـ والى بني الحبلى ـ وهم حي من الانصار ، منهم عبـد الله بن ابي سلـول المنافق ، وسمي ابو هم الحبلى لعظم بطنه ـ حبلي ـ بضم الحاء وفتح البـاء ـ ومنـه قولهـم : رقبانـي ، وشعرانـي ، وجمانـي ، ولحيانـي ، للعظيـم الرقبة والشعر والجمة واللحية . وقولهم في النسـب الـى الشام واليمن وتهامة : رجل شام ويمان وتهام ، وكلها مفتوحة الاول . ا هـ

قال في لسان العرب : والربي والرباني : الحبر ، ورب العلم ؛ وقيل الرباني الذي يعبد الـرب ، زيدت الالف والنون للمبالغة في النسب . وقال سيبويـه : زادوا الفا ونونا في الرباني اذا ارادوا تخصيصـا بعلـم الرب دون غيره ، كأن معناه : صاحب علم بالرب دون غيره من العلوم .

وهو كما يقال : رجل شعراني ولحياني ورقباني ، اذا خص بكثرة الشعر ، وطول اللحية ، وغلظ الرقبة ، فاذا نسبوا الى الشعر قالوا : شعري ، والى الرقبـة قالوا : رقبي ، والى اللحية : لحيي .

والربي منسوب الى الرب ، والرباني : الموصوف بعلم الرب . ابن الاعرابي : الرباني العالم المعلم الـذي يغذو الناس بصغار العلم قبل كباره . وقال محمد بن علي بن الحنفية لما مات عبد الله بن عباس : اليوم مات رباني هذه الامة . وروي عن علـي انه قال : النـاس ثلاثة : عالم رباني ، ومتعلم على سبيل نجاة ، وهمـج رعاع اتباع كل ناعق .

قال ابن الاثير : هو منسـوب الى الـرب بزيـادة الالف والنون للمبالغة ، قال : وقيل : هو من الرب ، بمعنى التربية ، كانوا يربون المتعلمين بصغار العلـوم قبل كبارها . والرباني : العالم الراسخ في العلم والدين ، او الذي يطلب بعلمه وجه الله . وقيل : العالم : العامل المعلم . وقيل : الرباني : العالي الدرجة في العلم .

قال ابو عبيد : سمعت رجلا عالما بالكتب يقول : الربانيون : العلماء بالحلال والحرام ، والامر والنهي . قال : والاحبار : اهل المعرفة بأنبـاء الامم وبمـا كان ويكون . قال ابو عبيد : واحسب الكلمة ليست بعربية ، انما هي عبرانية او سريانية ، وذلك ان ابا عبيدة زعم ان العرب لا تعرف الربانيين ، قال ابو عبيـد ، وانمـا عرفها الفقهاء ، واهل العلم . ا هـ

اقول لله در ابي عبيد وابي عبيدة فقد اصابـا شاكلـه الصـواب . قـال كروسمـن Grossmann في مجمعه العبراني الانكليزي في تفسير الرباني ما معناه : هو العالم المتقي ؛ لكن كل ما جاء في القرآن فهو عربي

سواء اكان عربيا غير مشترك ، اي خاصا باللغة العربية، ام كان لفظا مشتركا بين العربية واخواتها الساميات ، ام كان لفظا غير عربي في الاصل ، ولكن العرب تكلمت به فصار عربيا بالاستعمال ككلمتي جبريل وميكائيل ، فكل ما بين دفتي المصحف فهو عربي ، الا ان عامة العرب لا تعرف الالفاظ العلمية ، وانما يعرفها علماؤها كورقة بن نوفل ، وامية بن ابي الصلت .

ومن ذلك تعلم ان قولهم : علماني هو امر عدواني على اللغة العربية ، وما اشبهه من السخافات كالعقلاني والشخصاني فهو مثله ، فاين المجامع العلمية في بغداد ودمشق والقاهرة ؟ لماذا لا تذب عن اللغة العربية ، وتسعى في تطهيرها ، واخراج القذى من طرقها ، وترويق شرابها ، ليكون عذبا سائغا للشاربين .

28 ـ كم هو جميل وكم انا مسرور وما اشبه ذلك

وهذا من التراكيب الاعجمية الخالصة ، فان الذي تستعمله العرب في هذا المعنى هو : ما اجمله ، واجمل به ، وهما صيغتا التعجب ، ولا مكان لاستعمال (كم) هنا ، سواء اكانت خبرية ام استفهامية . ويحسن هنا أن أتكلم باختصار في الاستعمال الصحيح (لكم) ، وانما اترك الاطناب ، لانه يستلزم ذكر اختلاف النحويين ، وذلك يشوش على كثير من القراء ، ويعسر عليهم الاستفادة . واسهل العبارات في ذلك واجملها عبارة أبي محمد القاسم بن علي الحريري رحمه الله في الملحة :

باب كم الخبرية :

واجرر بكم ما كنت عنه مخبرا
معظما لقدره مكثرا
تقول كم مال افادته يدي
وكم اماء ملكت واعبد

قال الحريري في الشرح : اعلم ان (كم) اسم موضوع للعدد المبهم جنسا ومقدارا ، ولها موضعان : الاستفهام والخبر المقترن بالتكثير . ولما كان العدد نوعين : احدهما مجرور ، والاخر منصوب ، شبه كل واحد من موضعيها باحد من نوعي العدد ، فنصبوا ما بعدها على التمييز في الاستفهام ، على ما نبينه في شرح نوع التمييز ، وجروا ما بعدها بالاضافة في الاخبار .

ويجوز ان يقع الاسم الذي بعد (كم) الخبرية واحدا وجمعا ، كقولك : كم عبد ملكت ، وكم عبيد ملكت ؟ كما ان العدد المجرور قد يكون واحدا في مثل قولك : مائة ثوب ، ويكون جمعا في مثل قولك : ثلاثة اثواب ، الا ان من شرط جرها الاسم ان يكون الاسم يليها ، فان فصل بينهما فاصل انتصب على التمييز كما ينتصب في الاستفهام ، فتقول في الخبر : كم لي عبدا ، كما تقول في الاستخبار : كم عبدا لك ؟

وقال في المنصوبات : باب كم الاستفهامية :

وكم اذا جئت بها مستفهما
فانصب وقل كم كوكبا تحوي السما

قد ذكرنا في شرح باب الاضافة ان كم الخبرية تجر ما بعدها ، وكم الاستفهامية ينصب ما بعدها على التمييز ، تشبيها لها بالعدد المنصوب على التمييز ، ولهذا جاء مفسرها واحدا ، ولم يجيء جمعا ، كما ان المنصوب بعد العدد الذي هو احد عشر الى تسعة وتسعين لا يكون الا واحدا ، وكم الاستفهامية قد تقع موقع المبتدا في مثل قولك : كم عبدا لك ؟ فكم مبتدا ، ولك الخبر ، ونصبت عبدا على التمييز . وقد تقع موقع المفعول به في مثل قولك : كم رجلا رايت ؟ ، وتقع موقع الجار والمجرور تارة بحرف الجر في مثل قولك : بكم درهما بعت ؟ ، وتارة بالاضافة في مثل قولك : ابن كم سنة انت ؟ . اهـ

وقد راجعت الترجمة الانكليزية لقوله تعالى في سورة البقرة 175 : (فما أصبرهم على النار) وترجمة قوله تعالى في سورة مريم 38 : (اسمع بهم وابصر يوم يأتوننا) ، وترجمة قوله تعالى في سورة الكهف 26 : (أبصر به واسمع ما لهم من دونه من ولي) وهذه صيغ تعجب ، وهي من الله تعالى للتعجيب ، فوجدت المترجم ترجمها كلها بأدوات الاستفهام ، اذ لا يوجد في الانكليزية صيغة تعجب ، ومن هنا جاء معظم البلاء ، فان لغة المستعمر الغالب استعمرت اللغة العربية ، كما استعمرت اهلها ، فغيرت تراكيبها ، وشوهت محاسنها ، وتركتها جسدا بلا روح ، فالمفردات عربية ، والتراكيب اعجمية .

29 ـ تعبيرهم بالتمني عن الدعاء وارادة الخير

لم يزل المسلمون ، والعرب الجاهليون قبلهم يدعون الله بالخير لمن يحبون ، ويدعون بالشر على من يبغضون الى زمان الدولة العثمانية ، فان الكلمة التي كانت تكتب قبل التوقيع في آخر الرسالة (داعيكم) يعنون الداعي لكم ، ولما جاء الاستعمار ، وتغلبت لغاته ترجموا اللفظ الانكليزي (I wish you)

بقولهم : اتمنى لكم ، وهي ترجمة فاسدة ، لان الفعل الانكليزي المذكور يعبر عن الارادة والرغبة الشديدة .

اما التمني فهو طلب المستحيل او ما فيه عسر ، والاكثر استعماله في طلب المستحيل ، قاله الاشموني. قالوا : ولا يستعمل التمني فيما هو واجب الوقوع . فمثال المستحيل قول الشيخ :

الا ليت الشباب يعود يوما
فاخبره بما فعل المشيب

وقوله تعالى في سورة النساء 73 : (ولئن اصابكم فضل من الله ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودة : يا ليتني كنت معهم فافوز فوزا عظيما) ، وقول الشاعر :

ليت وهل ينفع شيئا ليت
ليت شبابا بوع فاشتريت

قال الاشموني : واما قوله تعالى : (فتمنوا الموت) مع انه واجب ، فالمراد : تمنيه قبل وقته .اه يعني قبل الاجل المحدود ، وهو مستحيل .

وقال تعالى في سورة البقرة 26 : (ولتجدنهم احرص الناس على حياة ، ومن الذين اشركوا يود احدهم لو يعمر الف سنة) يعني ولتجدنهم ، أي اليهود – مع زعمهم انهم ابناء الله واحباؤه – احرص الناس على طول حياة ، واحرص من الذين اشركوا ؛ وهم المجوس ، فان احدهم يهنيء صاحبه بقوله : (هزارنو روز ومهرجان) يعني تعيش الف سنة ، وتشهد الف عيد واحتفال . ولو هنا للتمني قاله البيضاوي ، وهذا ايضا من المستحيل .

قال البيضاوي في تفسير قوله تعالى في سورة النساء 32 : (ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض) من الامور الدنيوية ، كالجاه والمال ، فلعل عدمه خير . والمقتضي للمنع كونه ذريعة الى التحاسد والتعادي ، معربة عن عدم الرضا بما قسم الله له ، وانه تشه لحصول الشيء له من غير طلب،وهو مذموم، لان تمني ما لم يقدر له معارضة لحكمة القدر ، وتمني ما قدر له بكسب بطالة وتضييع حظ ، وتمني ما قدر له بغير كسب ضائع ومحال . ا ه

وروى احمد والترمذي وابن ماجه والحاكم من حديث شداد بن أوس أن النبي (ص) قال : الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من اتبع نفسه هواها ، وتمنى على الله الاماني .

وقال الشاعر :

تمنوا لي الموت الذي يشعب الفتى
وكل امريء والموت يلتقيان

وقال آخر :

تمنى ابنتاي ان يعيش ابوهما
وهل انا الا من ربيعة أو مضر
فان حان يوما ان يموت ابوكما
فلا تخمشا وجها ولا تحلقا شعر
وقولا هو المرء الذي لا خليله
اضاع ولا خان الصديق ولا غدر
الى الحول ثم اسم السلام عليكما
ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

وكانت المرأة في الجاهلية تلتزم الحداد والبكاء على الميت سنة كاملة . وهذا كله في استعمال التمني بمعنى طلب المستحيل . واما استعماله بمعنى طلب الامر العسير فكقول الشاعر :

ليت هندا انجزتنا ما تعد
وشفت انفسنا مما نجد
واستبدت مرة واحدة
انما العاجز من لا يستبد

قال في لسان العرب : التمني : حديث النفس بما يكون وما لا يكون ، والتمني : السؤال للرب في الحوائج. وفي الحديث : اذا تمنى احدكم فليستكثر ، فانما يسأل ربه ، وفي رواية : فليكثر .

قال ابن الاثير : التمني تشهي حصول الامر المرغوب فيه ، وحديث النفس بما يكون وبما لا يكون . والمعنى اذا سأل الله حوائجه وفضله فليكثر ، فان فضل الله كثير ، وخزائنه واسعة . اه

ويجمع بين الحديث المشار اليه – على فرض ثبوته – وبين الحديث المتقدم ، على أن التمني الذي في هذا الحديث هو سؤال الله ، مع محاسبة النفس والعمل الصالح ، فيرجع الى الدعاء وهو المطلوب . فالصواب أن يقال مثلا : ارجو ان تكونوا بخير وعافية ، وارجو لكم سفرا سعيدا .

ويقال للمريض : ارجو لك شفاء عاجلا ، او اسأل الله لك .

مكناس : محمد تقي الدين الهلالي



كنا ونحن طلبة بالقرويين نسمع عن السيد عمر المسكين الذي كانت له مطبعة اخرج بها نسخة من القرءان الكريم ، فكانت بذلك المصحف أخطاء طباعية أثارت عليه العلماء الافاضل وعلى راسهم والده والراي العام ، متهمينه بقصد التحريف لجهة من الجهات العدوة للاسلام ، وان اباه ـ رحم الله الجميع ـ افتى فيه بحكم الشرع ، بناء على ذلك التدليس ، وهو القتل

نعم ، كنا نسمع هذه القصة ، وكنت في قرار نفسي ، ابرىء صاحبها الرجل الطيب الشيخ آنذاك ، وفي نفس الظرف كنا ندرس كتابا مقررا علينا ، هو عظة الناشئين للشيخ مصطفى الغلاييني ، واشهد الله انه ما كان قد سحرني كتاب وتعلق من نفسي ، تعلق عظة الناشئين ، لدرجة اني كنت في بغداد بمناسبة مهرجانها سنة 1962 ، فقدم الي عالم ، تهافت عليه لاني ظننته الغلاييني صاحب عظة الناشئين ، فكانت خجلتي شديدة ، برهنت للمقدم والمقدم على جهلي بالناس واقدارهم .

وفي هذه السنة ، اشير علي وزملاء ثلاثة ، بتدريس النحو ، فتركت لاولئك الزملاء لهم اختيار الكتاب ، فكان كتاب الغلاييني ـ الذي لم اكن اعرفه ـ « جامع الدروس العربية » .

بدات في قراءة الكتاب ، وصرت اجد في الفينة بعد الاخرى شواهد من القرءان محرفة فاصلحها عن حسن نية فيه واعتقاد بانها وقعت كذلك خطأ مطبعيا . ولكن لكرر التحريف ، وصرت أجده في الشواهد التي ينص عليها انها قرءانية . اما الشواهد التي هي قرءانية بالفعل ولكن لم ينص عليها كذلك ، فلا تحريف فيها . ثم اني ما وجدت من شواهد النظم والنثر ، فيما عدا القرءان المنصوص عليه ، لا تحريفا ولا تصحيفا ، بل وجدت الاعتناء بالشواهد الشعرية بلغ غايته ، في الفهرس الذي ضم نصوصها كلها آخر الجزء الثالث . وما وجدت لشواهد القرءان شيئا من ذلك ، وكان يرجى ان تصحح تلك الشواهد في الفهرس الذي لو عمل لها مماثلا لفهرس الاشعار المذكورة .

ازاء كل هذا وقفت مرتابا في القضية ، هل هذا التحريف موجود في اصل الكتاب ؟

لا اظن ، فالشيخ الغلاييني متعلم في الازهر ، مدرس العربية مدة طويلة ، متول للقضاء الاسلامي مدة كذلك ، مشتغل بدراسة النصوص الادبية ، ومؤلف في رجال المعلقات من شعراء الجاهلية . فالغالب ان يكون التصحيف والتحريف وقعا بعد وفاته ـ رحمه الله ـ في الطبعات التي اعيدت (وهي عندي التاسعة) .

وكيف وقع ذلك ؟ اني لا ابرىء المشرف على هذه الطبعة ، ولا اقول فيه ما قلت آنفا مما اعتقدت في السيد عمر المسكين ، فالمكتبة العصرية ، صيدا ـ بيروت لا شك انها وقعت في نسخ الصهيونية وهي مطبع هذا الكتاب فذهبت ضحية في هذه الطبعة على الاقل ، وللصهاينة لعنهم الله أساليب عجيبة في محاربة الاسلام والمسلمين . ومن تلك افساد وتحريف آي قراءتهم ، في هذه الكتب التي تطبع منها الآلاف وتوزع

على مدارسهم في مشارق الارض ومغاربها ، فيتلقاها اولاد المسلمين ، ويلقيها عليهم اساتذة العربية من المسلمين ، وهم في منتهى الثقة بالكتاب وصاحبه الذي هو جديد بتلك الثقة لولا شياطين صهيون ، ولا اظن زملائي الاساتذة ، تنبهوا لهذا الخطر المحدق .

وبيروت سوق يروج فيها كل شيء ، ما دامت التجارة تستفيد من ذلك الرواج ، وفي الحق ان هذا ما كان ليقع في غير هذه البلاد من عالم يعرب ومحمد عليه السلام .

والان هذه بلادنا بلاد الاسلام والعروبة ، تربأ ان تجد بين جدرانها هذا الكتاب الممسوخ ، وهذه وزارة الشؤون الاسلامية ، قد ناداها الواجب واستصرخها لتعمل عملها ، في حزم وعزم وقوة وصرامة لا هوادة فيها ، فتصادر الكتاب مصادرة تامة ، وتعطي بذلك العمل درسا مفيدا ، لاولئك المتهاونين في دينهم وقوميتهم ، العابثين بمقدساتهم ومقدسات غيرهم ، وما انا مبالغ في تجسيم خطر هذا الكتاب او تضخيمه، بل استطيع ان ادلل على هذا الخطر ، بهذه الامثلة التي اعرضها على القارىء الكريم ، ولا شك انها مجرد امثلة لعدد آخر منها ، ففي الجزء الاول نجد ما يلي :

الصفحة	الآية المحرفة	صوابها
11	فلولا اذ بلغت الروح الحلقوم	فلولا اذا بلغت الحلقوم
41	وظنوا انهم ملاقو ربهم	الذين يظنون انهم ملاقو ربهم
61	تالله لأكيدن	وتالله لأكيدن (فلابد من الاتيان بالواو التي هي كالجزء من الكلمة ، ولهذا وردت في آيات اخر بالكتـــاب)
92	فاما ينزغنك من الشيطان نزغ	واما ينزغنك من الشيطان نزغ
137	ويسبح لله ما في السموات وما في الارض	يسبح لله (بدون واو ، عكس ما سبق)
148	يسال ايان يوم الدين	يسألون ايان يوم الدين

وفي الجزء الثاني نجد ما يلي :

الصفحة	الآية المحرفة	صوابها
176	واذا لا يوتون (الناس نفيرا)	فاذا لا يوتون
205	من كان يريد زينة الدنيا نوف اليهم	من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم
234	الكم البنات وله البنون	ام له البنات ولكم البنون
241	لئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله	ولئن سألتهم (بالواو وكما تقدم)
311	لقد كان لكم في يوسف واخوته	لقد كان في يوسف واخوته
324	صـــل عليهـــم	وصل عليهم (بالواو ايضا)

وفي الجزء الثالث نجد ما يلي :

الصفحة	الآية المحرفة	صوابها
7	وابتلى ابراهيم ربه	واذ ابتلى ابراهيم ربه
32	فاجلدوا كل واحد منهما ثمانين	فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة
63	اذ بلغت الروح الحلقوم	اذا بلغت الحلقوم (وقد تقدم مثله)
80	فتم ميقات ربك اربعين ليلة	فتم ميقات ربه اربعين ليلة
99	اياكله الذئب ونحن عصبة	لئن اكله الذئب ونحن عصبة
103	قلنـــا اهبطــوا	وقلنـــا اهبطــوا
158	قال يا ابن ام ان القوم استضعفوني	قال ابن ام (بدون ياء النداء)
124	فلبث في قومه الف سنة	فلبث فيهم الف سنة
171	ياويلنا لقد كنا في غفلة من هذا	ياويلنا قد كنا في غفلة من هذا
176	وفضلنا بعضهم على بعض	فضلنـــا (بـــدون واو)
177	على ان لا اقول الا الحق	على ان لا اقول على الله الا الحق
179	ولكم في رسول الله اسوة حسنة	لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة

الصفحة	الآيــة المحرفــة	صــوابهــا
179	لاصلبنكم فى جذوع النخل	ولاصلبنكم (وقد حوفظ على الواو فى عدة آى بالصفح بعد
183	الذين هم لربهم يرهبون	للذين هم لربهم يرهبون
184	ان اساتم فلها	وان اساتم فلهــا
185	وان اساتم فعليهــا	(لا يوجد لما ادعاه هكذا فى القرءان حيث قال كما قال فى آية اخرى : وان اساتم فعليهــا)
196	واختار موسى قومه اربعين	واختار موسى قومه سبعين
198	الذين هم لربهم يرهبون	للذين هم (وقد سبق مثله)
219	وفضلنا بعض النبيين على بعض	ولقــد فضلنــا
259	ولو نشاء جعلناه أجاجا	لو نشاء جعلناه اجاجا
261	قرنــاءا آلهــة	قربانــا آلهــة
266	فما ينزغنك من الشيطان	واما ينزغنك (وقد تقدم مثله)
267	قد يعلم الله ما انتم عليه	قد يعلم ما انتم عليــه
287	انفسهم كانوا يظلمون	وانفسهم كانوا يظلمون
287	جاءوا اباهم عشاء يبكون	وجاءوا اباهم عشاء يبكون

وزيادة على المحافظة على الواو فيمــا سبقــت الاشارة اليه من الصفحات ، فاننا نجد ذلك ايضــا من المؤلف فى الصفحة 199 ، ولهــذا فليس سقوط الواو مما ورد بدونها من قبيل الاستغناء عنها ــ وهذا خطأ لو كان ــ بل ذلك من قبيل التحريف .

فان كان كل ما ورد منه صادرا عن المؤلف نفســه، فهذا منتهى الاستهتار بالقرءان الكريم ، الذي اصبح باولئك المستهترين غريبا بيننا ، وصار الطالب ، تملى عليه الآية ، وكانما يملى عليــه نصوص من اللاتينيــة القديمة ، نعوذ بالله من شرور انفسنــا .

تطوان : محمد بن تاويت



وهل الشعر في حاجة الى تعريف ؟ أليس هو هذه العواطف والخواطر والفكر ، انتظمت في فن من القول، يجمع بين الجمال والنظام ؟ ألم تتسع صفحات الكتب لتعريف الشعر مرارا حتى لم تبق زيادة لمستزيد ؟ ألم تبلغ تعاريف الشعر من التنوع الى حد انها قسمت الى تعاريف فلسفية ، وتعاريف منطقية ، واخرى فنية خالصة ، ورابعة نفسيه ؟ ألم نجدها تتنوع ما بين ضيقة شديدة الضيق ، تنحصر في القصيدة ، ومتسعة قليلا تشمل جميع فنون الادب ، وفضفاضة تمتد الى جميع الفنون الجميلة ، وبالغة السعة ، تشمل كل الخواطر والتأملات الجميلة بقطع النظر عن شكلها وقالبها ؛ فيدخل في الشعر بهذا المعنى مناغاة الام لرضيعها لينام ، وترنم الخادمة لتذب عنها عناء العمل، ومناجاة العبد ربه في لحظات الاشراف والخشوع ، وما الى ذلك من كل لفظ عذب يصدر عنا في حالات الاهتياج العاطفي ، والتأثر النفسي ، والصفاء الفكري ؟ ولكن أواثقون نحن من اننا استفدنا حاجتنا الى تعريف الشعر ؟ الا نرى أن كل تلك التعاريف تنصب على الاعمال الشعرية نفسها ، قصيدة كانت او غيرها ، متهيبة ان تمس الشعر في صميمه وجوهره الخالد ؟ والا فلماذا نجد عددا كبيرا من نقاد الشعر ، يعترفون بعجزهم عن تعريف الشعر الا عن طريق نظرهم في القوالب الشعرية وصورها الفنية ؟ الا ان الشعر في حاجة الى محاولة اخرى للتعريف به ، لعلها ان تستفيد من تعاريفه السابقة ، مضيفة اليها ما يدفع بها نحو التكامل .

ولعل اسلم طريق للوصول الى تحديد معنى الشعر ، ان نعود الى اصل القضية ، فنقول ببساطة وموضوعية ، ان هذا الشيء المدعو شعرا ، يبدأ حالة نفسية خاصة ... حالة فيها شيء من دهشة ، وتساؤل ، وحيرة ، بين الخيال والحقيقة ، بين اللذة والالم ، وفيها تفتح على زاوية جديدة ، او اطلالة على دنيا عجيبة ، مما يجعل النفس تمر بدورة من دورات تجاربها مع الحياة والكون . فعند ما انتهي من مشاهدة شريط سينمائي يتناول ببراعة موضوع قصة اجتماعية او عاطفية مؤثرة ، واخرج من قاعة العرض ، موزع النفس والفكر ، بين شتى الخواطر والتأملات ، تتولد عندي حالة شعر ... وعندما القي درسا على طلبتي ، وارى في عيونهم المتطلعة ، نور المعرفة يتلألأ ، تتولد عندي حالة شعر ... وعند ما استطيع مديد المساعدة الى فقير ، لاخفف من احزانه ، واعيد اليه شيئا من ثقة بالحياة والانسان ، اكون في صميم الشعر ... وعند ما اشاهد نملة تبذل جهودا جبارة ، لتحمل حبة قمح الى ماواها ، فتفلت منها ، لتعاود أخذها من جديد، غير وانية ولا يائسة ، اجدني في حالة شعر ... والامثلة على ذلك كثيرة مما يقع لي ولسائر الناس ، في كل ناحية من نواحي حياتهم .

ونحن لو تأملنا حالة الشعر هذه ، التي تتفاوت بتفاوت نفوس الناس سموا وانحطاطا ، وقوة وضعفا ، لالفيناها تتميز بعدة مميزات ، جدير بنا ان نتبينها ونجليها بشيء من الوضوح .

هي حالة تحمل دائما عنصر الجدة ، وليس معنى ذلك ان صاحبها لم يسبق له ان احس حالة من هذا النوع ، او حالة تماثلها ، فقد تكون عدة تجارب وحالات نفسية مر بها ، لها صلة بحالته النفسية الحاضرة ، وانما المراد بالجدة ان تكون طريفة بالنسبة الى لحظتها ، والى الملابسات التي احاطت بها . فقد تشاهد ــ مثلا ــ منظرا طبيعيا اخاذا يبعث فيك الشوع لله عز وجل ، مبدع الكون الاعظم ، ثم تقرا آية قرءانية تبعث فى نفسك نفس الخشوع ، فالخشوع واحد فى كلتا الحالتين ، الا انه في احداهما يختلف عنه فى الاخرى ، نظرا للابسات الزمان والمكان ، وطبيعة الاستجابة ، وقس على ذلك . وعلى هذا فالشعور الواحد قد يخامرني عشرات المرات او مئات المرات ، ولكنه يكون فى كل مرة ذا لون خاص . وليس معنى الجدة ايضا الا يكون قد سبق لاحد الاحساس بتلك الحالة من قبل ، فالمشاعر هي فى الحقيقة مشاعر عامة ، وكل ما يشعر به الفرد ، ان هو الا من تجارب الانسانية فى تاريخها الطويل ، بعد اسقاط الاختلافات الفردية التي يقتضيها تنوع الامزجة والطبائع . ولا قيمة للجدة اذا كان كل ما اشعر به مخالفا لكل ما يشعر به الاخرون ، وانما الجدة كل الجدة ان اشعر بنفس ما يشعرون به ، مضيفا الى ذلك نوعا من الخصوصية النابعة من كياني ، جريا على قانون الوحدة ، والتنوع . لاني بذلك اتمكن من الجمع بين الطابع الانساني العام ، الذي يصلني بملايين البشر ، وبين الطابع الخاص ، الذي لا يجعلني اضيع فى زحام الملايين الزاحفة على هذه الارض . وبذلك اكون متفردا داخل انسانيتي فى غرائزها وميولها وطبائعها العامة ، بل اني لا اتصور الجدة الا بهذا المعنى فى كل مظاهرها . فملكة الجمال التي تبهر العالم بشيات حسنها الرائع ، لها نفس الملامح والاعضاء الفاتنة التي لمنافساتها فى السحر والفتنة ، ولكنها تنفرد عنهن بشيء خاص ، يوكل تقديره لارباب الذوق ، وجهابذة الفن . والزهرة الساحرة بين مثيلاتها من الزهور ، لها نفس الاوراق والاكمام والعطر ، مما للاخريات ، الا انها تمتاز عنهن بشية من شيات الحسن ، وهكذا . على انه ليس من الضروري ان تكون حالتنا الشعرية تمتاز على حالات الشعر عند الاخرين ، او تمتاز على حالاتنا الشخصية ، اذ الجدة ليست جدة سمو دائما ، ولكنها ايضا جدة تفرد ، وليس من الضروري ان يكون ما تفردت به ، اسمى مما عند الاخرين ، او اسمى من تجاربي الشعرية نفسها .

وهي حالة متفتحة ، اى قوية الاستقبال لشتى المؤثرات ، قابلة للتكيف ، فاتحة صدرها لشتى المعاني

والخواطر الاتية من هنا وهناك ، من اكبر كبير ، الى الى اصغر صغير قادرة على تجاوز حدود الزمان والمكان ، متهيئة لضم شتى المتناقضات ، لصهرها في بوتقة واحدة ، مرنة طيعة للتكيف بالف لون والف صورة ، فى لحظات خاطفة . وما كل حالاتنا النفسية متسمة بهذا النوع من التفتح ، فهناك حالات يصح ان يقال عنها انها جامدة مغلقة ، مستعصية على كل مرونة ، مما يجعلها بعيدة كل البعد عن جو الشعر . ولا يكون التفتح دائما على خارج الذات ، فنحن نمر ببعض الحالات التي نهيم فيها بما يحيطنا من مظاهر الحياة والطبيعة ، فنقبل الحجر والنبت ، ونشرئب الى الاغصان ومسابح الطير ، وننظر فى صفحة الغدير محملقين من نشوة ومراح ، ولكننا نمر ايضا بحالات اخرى ، تغلق اثناءها تلك النوافذ التي تصلنا بالعالم من حولنا ، لنغوص فى اعماقنا ، باحثين عما قد يكون فيها من الجواهر واللآلىء ، وهذا هو التفتح على الذات ، والذات كائن معقد شد التعقيد ، ولا حصر لمخبآته من الاسرار والمفاجآت . وليس التفتح مرادف الانشراح والانبساط ، فمن التفتح ما يكون على دنيا ليس فيها الا الظلام والوحشة والكآبة ، وليست العوالم التي تتفتح عليها كلها مسرات وافراح ، ولا كلها مآتم ومناحات ، وانما هي مقتسمة بين هذه وتلك .

وكمثال للتفتح الذي هو احد مميزات حالة الشعر ، نتامل فى هذه الحالة : هب انك قضيت يوما كله اتعاب ومشاق ، ثم ابت اخيرا الى منزلك ، فاستقبلك ابناؤك فرحين مسرورين ، فهذا يتسلق ذراعك ، والاخر يعانقك ، والثالث يجرك من يدك ، ورابع يحبو فلا يقوى على ان يصنع بك مثل ما صنعه اخوته ، فيلجأ الى التلويح ، واحداث نوع من الصخب الساذج البريء تعبيرا عن فرحه بمقدمك ، فهاهنا تشعر بان اتعاب العمل انزاحت عن كاهلك ، وان كثيرا من الحيوية والنشاط والحبور قد رد اليك ، وتنظر فاذا السعادة تغمرك من كل جانب ، واذا بك تصير نهبا لمشاعر منها السار ومنها المؤلم ، فلا تلبث ان تتبين وراء عملك المضني ضربا رائعا من الفداء والتضحية ، وان الحياة بدونهما ليست لها اية قيمة ، وتستيقظ فى ابوتك اجل نواحيها خطرا ، فينقلب هؤلاء الابناء امام ناظريك ملائكة اطهارا يستحقون ان يبذل من اجل اسعادهم وحمايتهم من كل مكروه كل غال ونفيس ،

وعبثا نحاول اعطاء نظرة واسعة دقيقة عن الجو الروحي الذي يشتمل عليك في هذه الحالة البالغة منتهى الروعة .

ومن مميزات الحالة الشعرية ، التوتر ، واعني به الصراع بين مختلف الخواطر التي تكون نفس الانسان مسرحا لها في حالتها تلك ، وقد تبدو هذه الصفة بعيدة عن حالة الشعر ، عند النظر اليها لاول وهلة ، ولكن مع شيء من التامل يتضح ان حالة الشعر اذا هي افتقرت الى التوتر ، تكون قد فقدت اكبر مميزاتها ، وعلينا اقامة الدليل على ما نقول . والدليل سهل وواضح ، وما علينا الا ان نأتي بمثال او امثلة للحالات الشعرية ، ونحاول تبين التوتر الذي تحمله في طياتها . خذ لذلك مثلا حالة ذلك الاب العائد من عمله المتعب ، والذي استشهدنا به منذ قليل . فانت تجد نفس الاب موزعة بين ضغوط الحياة واعبائها ، وبين الجو العائلي الدافيء الجميل ، الذي تهون امامه كل المصاعب ، بين ذلك الالم الدفين ، المتواري تحت مباهج الفرح الحاصل وبين الآمال الذاوية المنزوية في جنبات النفس بين صراع الحياة ، وما يتركه في الفكر والنفس من آثار قاسية ، وصور قد تكون كالحة بشعة ، وبين عذب الخواطر التي تثيرها الطفولة بمرحها وطهارتها . وكل حالة شعر لابد ان تحمل شيئا من توتر ، يخف حينا ، ويشتد احيانا ، حسب الاستعداد الخاص ، وملابسات الزمان والمكان . ولو انتفى التوتر ، لما كان هناك حالة شعر على الاطلاق . ذلك انها — اي حالة الشعر — ان هي الا اهتزاز النفس ، وشعورها بانها موزعة بين تناقضات من نوع ما ، ووقوفها في مفترق الطرق ، بين شتى الاتجاهات ، الامر الذي يخرجها من طور الركود والخمول ، ليلج بها طور الاهتزاز والاضطراب ، مما يكسبها خصوبة ليس الى وصفها من سبيل . فاروع ما في انفعال شخص امام منظر اخاذ من مناظر الطبيعة ، ما قد يكون فيه من الذكريات العذاب ، التي تترك في النفس شيئا من كآبة وانقباض ، ومن تعشق المجهول الذي لا يعرف له كنه ، ولا تدرك له صورة محددة . واروع ما في افتنان ذي الهوى بمن يهوى ، انه يخشى الفراق اذا امكن اللقاء في غفلة من عوادي الزمن ، وهكذا دواليك . دائما نجد التوتر يهيمن على الحالات الشعرية ، حتى عندما يخيل الينا ان تلك الحالات يكون البعض منها كله لذة وانشراحا وامنا من اكدار الحياة ومنغصاتها . فالقطعة الشعرية التي نقراها او نسمعها فلا نجد فيها ظاهريا اثرا للتوتر ، شبيهة بصفحة الماء التي يخيم عليها الهدوء ، ولكن من تحتها تتدافع عوامل الحياة ، او هي كالوجه الباسم البشوش ، تختفي تحت قناعه شتى الانفعالات المتضاربة .

ثم لابد لحالة الشعر تلك ، ان تكون حركية ، بمعنى انها سريعة التبدل والتطور والتلون ، تتجاذبها عوامل الجذب والدفع ، فهي تملك القدرة على الرجوع الى الزمن البعيد ، وعلى التطلع الى المستقبل الغامض ، وعلى الغوص في اعماق الحاضر المعاش . ويعظم حظها — اي حالة الشعر — من هذه الامور ، كلما شفت روح صاحبها ، وسما حظه من الخيال القوي ، والفكر الواسع . ورب زهرة يتأملها انسان مأخوذا بروعتها ، تصله بما لا يحصى من معاني الحياة وآفاق الكون . فقد تصله بمعنى من معاني الدين ، ومعنى من معاني الفن ، ومعنى من معاني الحب ، ومعنى من معاني الصداقة ، ومعنى من معاني الخلود ، ومعنى من معاني الفناء ، وربما تصله بما لا يخطر على بالنا من مغازي الحياة ومعانيها الكثيرة . ذلك ان حالة الشعر حركية ، لا تفتأ متلونة متغيرة متجهة هنا ، ومتجهة هناك ، تجيل النظر في مختلف الجهات ، يتجه بها الفكر ناحية ويقطع بها شوطا ، ولكن لا تلبث ان تجذبها العاطفة لتذهب شوطا آخر ، ويرتفع بها الخيال لتستردها الحقيقة بعد حين . ومن ثم يكون لها هذا الخصب وهذا الغنى الذي ليس الى وصفه من سبيل . وكل حالات النفس الانسانية متحركة متطورة بطبيعتها ، ولكنها لا تكون جميعها على هذه الحركة الخصبة الفعالة التي تمتاز بها حالة الشعر تلك ، الا ان حركية هذه الحالة لا تقاس بما فيها من قوة واندفاع فقط . ولكن حتى بما فيها من شفوف وسعة في مدى الرؤيا . والا فاننا نجد من حالات النفس ، ما يضرب الرقم القياسي في القوة والاندفاع والتوثب ، ومع ذلك فليس من اللازم ان يكون من حالات الشعر ، تأمل ذلك الانسان الغاضب الثائر الهائج ، تجد نفسه مرجلا يغلي بشتى المشاعر الحادة المتضاربة ، ولكن اين هي من الاحساس الشعري؟ والفرق بين الحالتين ، هو ان الحالة الاولى تجعل الاشياء امام الغاضب يختلط بعضها ببعض ، حيث تغشى البصيرة حجب سميكة ، ويفقد الفكر والخيال قدرتهما على تمثل المعاني والصور . اما في الحالة الشعرية فحيويتها وحركيتها لا تحولان دون تكشفها عن روائع المعاني وغريب الاسرار ، بل انها لا تكون قادرة على تفجير ينابيع البيان والالهام ، الا اذا فارقتها حدتها وفورتها ، ورد اليها شيء من هدوء ودعة ، لا يتنافيان مع انطلاقتها الوئيدة ، بحيث في

ظلها تطفو اسرار النفس ، وتظهر رواسبها البعيدة ، واحسن حالات الشعر ، تلك التي تجمع لها الحركية القوية ، وانضباط النفس وهدوء الانفعالات ، الامر الذي يساعدها على الايحاء ، ويفسح المجال لوضوح الرؤيا .

الجدة ، والتفتح ، والتوتر ، والحركية ، هي صفات الحالة الشعرية ، فاذا هي فقدت واحدة منها ، فقدت طابعها الشعري ، وانضمت الى بقية الحالات العادية . ولكن اذا نحن وقفنا عند هذه الحالة ، كنا قاصرين عن جمع خيوط الشعر من هنا وهناك ، وامسكنا بخيط واحد لا يجدي الا بانضمامه الى الخيوط الاخرى ، التي يتألف منها نسيج الشعر العجيب الصنع .

فماذا بعد الحالة الشعرية ؟

ان الحالة الشعرية هي استعداد خاص ، ونقطة انطلاق نحو آفاق الحياة ومجالاتها الواسعة ، او قل بتعبير اوضح ، انها مجرد جهاز نفسي ، قيمته في استعماله على نحو او آخر ، كالعين والاذن والانف ، اجهزة جعلت لاستعمالها في مشاهدة الكائنات ، وسماع اصواتها واستنشاق روائحها . فماذا تعني الحالة الشعرية بالنسبة الى الحياة الخارجية ؟ يجب ان نعرف اولا ان الصلة بينهما وطيدة وعميقة ، ذلك ان الحالة الشعرية هي في الحقيقة صدى لمظاهر الحياة واحداثها القريبة والبعيدة ، الكبيرة والصغيرة ، الهادئة والصاخبة ، مضافا اليها ما تستطيع الذات ان تهبه من ضروب الفاعليات ، مما يلقح آثار الحياة ، ويخرج بها عن شكلها العام ، ليستقر بها على وضع خاص . واذا قلنا : الحياة ، فنحن نطلقها لنريد بها معناها الواسع الشامل ، وعلى هذا فالكتب والموسيقى والآثار المادية والمعنوية والاشخاص ، وسائر الازمنة والامكنة تدخل في هذا النطاق . واذا كانت الحالة الشعرية كسائر الحالات النفسية ، في كونها تاخذ ما هي في حاجة اليه ، لتفاعلها مع الظروف المحيطة بها ، فهي تنفرد دون الحالات الاخرى بكونها قادرة على ان تهب الحياة شيئا في مقابل ما اخذت ، اذا هي توفرت لها الوسائل والاسباب ، وحتى اذا لم تتوفر لها ، فهي تغني نفس صاحبها ، وتخلق منه انسانا ممتازا عندما يكون لها سلطان على نفسه وفكره وحسه . وليس في مقدورنا حصر الاساليب المختلفة التي تتناول بها الحالة الشعرية الحياة في مختلف نواحيها ، لان هذا مستحيل ، طالما كان قائما في اساسه على اختلاف الطبائع والاستعدادات الفردية التي ليس لاختلافها حصر . واذا لم يكن ذلك في الامكان ، فعلى الاقل ، يجدر بنا ان نضع اصابعنا على بعض الخطوط العامة ، التي تتسع لكل الملابسات الخاصة الراجعة الى الذات .

واول ما يطالعنا من ذلك ، ان حالة الشعر تلك ، بمجموع جدتها وتفتحها وتوترها وحركيتها ، تنقل هذه الخصائص الى ما تتصل به من مظاهر الحياة واحداثها ، فتبرز امام العين الشعرية جديدة ، متفتحة ، متوترة ، لكونها تنضو عنها اثوابها المعتادة ، لترتدي ثيابا كلها جدة وطرافة . واذا شئنا ان نكون اكثر وضوحا قلنا انما تتشكل بأشكال منتزعة من الواقع النفسي للرائي، في حالة مروره بحالة من حالات الانفعال القوى العميق . وليس الامر مقصورا على الظواهر ، ولكنه يمتد الى البواطن ، حيث نجدها متجددة في ايحاءاتها ، وما تثيره في صاحب الحالة الشعرية من مشاعر طريفة ، تبهره وتبسط سلطانها عليه . وهكذا تكون الاشياء امام الرائي المفتون وكأنما خلقت للتو واللحظة ، مع انها قد تكون قديمة بعيدة العهد بالقدم ، ولكن اللحظة النفسية بددت عنها صفات القدم ، لتهبها للحياة مرة اخرى فريدة مشعة وكأن يد الله لم تفرغ من تكوينها الا بعد حين .

وهي متفتحة ، لكونها — اى المظاهر والاحداث — تخرج عن نطاقها المادي الضيق ، وما حدد لها من حدود مرسومة ، ولا تبقى سجينة قيود الزمان والمكان، حيث يمسها تيار من العين الشعرية اللاقطة ، فتشي بكثير من الروائع ، وتتكشف عن العلاقات الفنية الدقيقة التي تربط بعضها ببعض . فالوردة لها قرابة من الياسمينة ، والغدير له صلة بالدوحة العظيمة ، والاطفال المرحون لهم نسب في البلابل الفريدة ، ومجموع ذلك يتصل بعين الرائي التي تخلع على الاشياء روابطها العائلية في رحاب الحياة والكون .

وهي متوترة ، لكونها والحالة هذه ، تتصارع فيها مفاهيم الحياة ومقاربها الكبيرة ، وتتنازعها عوامل اللذة وعوامل الالم ، وتتسع للمتناقضات والمفارقات ، وتغمرها موجات من الكآبة ، وتنبعث عنها فنون من الخفة والمرح ، تراها مظلمة كئيبة ، اذا بك تراها مشرقة باسمة .

وهو قوية الحركة ، لكونها تكتسب من عين الرائي القدرة على الحديث والاشارة ، ومسابقة الخواطر المترددة في الصدور ، فغدير تقوم من حوله باسقات الاشجار ، وتمرح من حوله عشرات الاطيار، ينقلب الى حركة ممتدة في نطاق الزمان والمكان ، حتى

لتتمثل فيها احيانا تواريخ من حياة الانسان، وتتجمع فيها أطياف واطياف من اعماق الماضي ، وبارقات من آمال المستقبل . حتى الاشياء الجامدة تطرح عنها طابع الجمود ، وتتحول الى كائنات حية ، متحدثة ، فاعلة ، منفعلة ، مؤثرة ، متأثرة ، تعظ الغافل ، وتنبه النائم ، وتلهم النابغة ، تطامن من غلواء العظيم ليصغر، وترفع من معنوية الصغير ليعظم ، وتمد الى الرائي الف يد ، وتخاطبه بالف لسان . وهكذا نرى ان الحالة الشعرية عند اتصالها بمظاهر الحياة الخارجية تجعلها ينابيع للفن والالهام ، وتخلع عليها حياة لم تكن فيها ، وتلبسها حللا قشيبة تتباهى بها بين رحاب الطبيعة . ويستحيل على الشيء اذا امتزج بحالة الشعر ، ان يبقى محتفظا لما له من كيان ومطابع ، فهو يصيبه من التبدل ما يعيده خلقا جديدا . وهكذا نجد ان هذا الكون العجيب الذي نعيش فيه ، يكون له من الاصداء الشعرية في نفوس بعض افراد البشر الممتازين ، ما يعيد خلقه ملايين المرات ، حتى ليصبح عبارة عن اكوان عديدة وعوالم رحيبة ، تتضاعف فيها معاني الخلق والتكوين ، كلما خفق قلب شاعر ، او رفت عين مفتونة، او تحركت روح خاشعة ، او اصغت اذن موسيقية ، لالتقاط نغم آت من هنا او هناك .

ولكن مع ذلك لسنا نزعم ان حالة الشعر ، في طبيعة تكوينها ، وفي صلتها بالحياة هي الشعر نفسه ، وانما هي لبنة في بنائه الخالد . والان هيا لننطلق من هذه المقدمة ، الى ما نحن بصدده من ايضاح مفهوم الشعر ، قدر ما نستطيع ، وعلى نحو ما نراه من وسائل ناجعة ومفيدة . ونكون قادرين على تبين معنى الشعر، اذا نحن احتفظنا في ذاكرتنا بكل ما مر بنا من هذا الحديث الذي نريده مقتضبا ، ولكن طبيعة الموضوع لا تريده الا مستفيضا متسع الجوانب .

فماذا بعد اتصال حالة الشعر بالحياة الخارجية؟ ها هنا اجدني منطلقا من الاساس الاول الذي يقوم الشعر عليه ، فسواء ضيقنا الدائرة ففهمنا الشعر على انه هذا الكلام الموزون المقفى المعبر عن العاطفة ، او وسعنا الدائرة قليلا ، لنفهمه على انه جميع فنون القول والكتابة ، او زدناها سعة لنفهمه على انه كل آثار الروح الانساني العظيم ، فدائما نعود به الى تلك الحالة الشعرية في صلتها بالعالم الخارجي ، لنجدها اساس كل ما تقدم . شيء آخر نحن في حاجة اليه ، ليستقيم لنا فهم الشعر بمعناه الكامل ، وهو التعبير ، ولكن ماذا نقصد بكلمة (تعبير) ؟ اننا في الواقع نضيق من معنى هذه الكلمة ، ونقف بها عند مفهومها المتداول، عندما نفهمها على انها مجرد هذه الاشكال والقوالب المتعارف عليها بين الناس ، ولو اطلقنا الكلمة على معناها الواسع الشامل ، لانتصب التعبير امامنا واسع الدلالة ، متنوع المناحي ، ولما بقي مقصورا على الاساليب المادية المقروءة او المسموعة ، فشمل حتى الصور المرتسمة في النفس الشاعرة ، للشيء في الطبيعة فكل ما انطبع في انفسنا في حالاتها الشعرية من آثار الحياة والكون ، هو في الحقيقة تعبير . ويزداد هذا وضوحا اذا نحن وقفنا قليلا عند (التعبير) لنضع له تعريفا دقيقا . فما هو التعبير ؟ التعبير ببساطة ، هو ترجمة لغة الى لغة اخرى اكثر وضوحا . فانت عندما تعبر عن حقيقة الشجرة فتقول : انها نبات له جذور وساق واغصان واوراق ، لم تزد في الحقيقة على ان ترجمت كلمة (شجرة) الى : نبات ، جذور ، ساق ، اغصان ، اوراق ، وكذلك نفعل عند ما تكون صورة شعرية عن الشيء في الطبيعة ، بحيث لو افترضنا اننا كونا صورة عن القمر ، لكانت هذه الصورة الشعرية تعبيرا بلغة النفس عن القمر الحقيقي ، ولو حللنا تلك الصورة لوجدناها مكونة من العناصر الاتية او ما يشبهها : احلام ، ارواح ، روعة ، جمال ، خيوط ، فضة الخ . . . خصوصا اذا نحن تذكرنا تلك القاعدة المشهورة التي حللها علماء اللغة ، وهي ان الانسان يفكر بالالفاظ . وبناء عليها فالانسان هو مترجم الكون، وهو المعبر عنه فنونا من الترجمة ، والوانا من التعبير، حسب الزاوية التي ينظر منها اليه . وهو ــ اي الانسان ــ كما يعبر بالصورة النفسية والخيالية المجردة عن القوالب المادية المعروفة ، فهو يعبر ايضا بالنظرات واللفتات والملابس والهدايا والتحف ، وكل ما يتناوله من الوان القول او الفعل . ونخلص من ذلك الى ان حالة الشعر التي سلف الحديث عنها لا يمكن ان تكون بمعزل عن تعبيرها النفسي ، اي انها لا بد ان تتبلور في اشكال وصور تنطبع على صفحة الخيال ، وتملأ الواقع النفسي ، قبل خروجها الى حيز اللغة المشتركة بين الناس . فكل اهتزاز عاطفي ، تصحبه عادة صور ذهنية ، واخرى خيالية عن الشيء الذي اثار الانفعال عند الانسان المنفعل ، صاحب الحالة الشعرية . هب ان المؤثر كان جبلا مثلا ، فالتأثر به يقترن بأمور متصلة به ، كالعظمة والمصابة والقوة والخلود ، ومقاومة الزمن ، وغيرها مما يمكن ان يوحيه للذهن والخيال . وهذه الامور كما انها معاني فهي كذلك الفاظ ، لانه لا يوجد معنى بدون لفظ ، اذا لم نقل ان الالفاظ هي التي تخلق المعاني وتحددها احيانا كثيرة . ومن هنا قولنا ان حالة الشعر لا توجد بدون ما يصاحبها عادة

من تعبير نغمي ، وهذا التعبير لا بد ان ينعكس على اصحابه حركات في الجوارح والاعضاء وارتساما على صفحات الوجوه ، فنحن قد نمر بحالة شعرية لا تخلو من حدة وعنف ، فترى عيونا قوية النظرات ، وجباها تملؤها التجاعيد ، وشفاها يصيبها شيء من اضطراب، وقد نمر بحالة شعر رقيقة ناعمة، فترى ملامح وجوهنا منبسطة مشرقة ، يشيع فيها الحبور ، وتكسوها الغبطة ، وهكذا في جميع مواقفنا العاطفية الموسومة بسمة الشعر . وهذا تعبير آخر يصحب حالة الشعر ويعلن عنها . ولكن هذين الضرفين من التعبير ، يأتيان بحكم الطبيعة ، وبفعل التكوين الطبيعي للكائن البشري ، الامر الذي لا يد له في وجوده ، ولا دخل لارادته فيه ، ومن لم كان عاما يشمل جميع افراد البشر . ولئن كان هناك اختلاف ، فهو في الدرجة لا في النوع ، اذ هناك سمو وانحطاط حسب الاستعدادات والطبائع ، ولكن ما من انسان الا وقد اخذ بحظه من الاحساس الشعري ، ومن القدرة الفطرية على اعطائه تعبيرا نفسيا ، يرتسم في الذهن ، وينطبع على الخيال، وتعبيرا حسيا يظهر على الحواس والاعضاء والملامح . ومعنى ذلك اننا والحالة هذه ، نكون اداة في يد الطبيعة، لتحقق بواسطتها اغراضها الحيوية ، او قل هي الطبيعة تعبر عن نفسها بطرقها العفوية التلقائية ، وهل نحن الا جزء من هذه الطبيعة ، في كل ما يصدر عنا من اعمال او اقوال غريزية لا دخل للارادة الخاصة فيها وحتى الارادية منها اذا شئنا الدقة ؟ انما هي المشيئة الكونية تمضي الى غرضها المقصود المرسوم .

ولكن الحاجات العاطفية والفكرية والخيالية للانسان قد تكبر وتعظم عن ان تكتفي بذلك الضرب من التعبير الطبيعي الغريزي الخالي من عنصر الارادة ، لذلك فهي قد تكون مضطرة الى البحث عن وسائل اخرى اكثر فعالية واستنفاذا للطاقة العصبية والروحية والفكرية ، ويمكن ان نجمل الاسباب الدافعة الى ذلك في الامور الاتية :

1) ان المشاعر العاطفية تخلق في صاحبها نوعا من (الشهية) لايصالها الى الاخرين ، اذ يجد في ذلك تنفيسا عن ذاته الجياشة القوية الانفعال .

2) ان تضخم الطاقة النفسية ورصيدها من التجارب الروحية ، يجعل عمل الطبيعة الخالي من عنصر الارادة غير قادر على استنفاذها ، او بالاحرى ، على التعبير عنها بصورة تكافئها حيوية وفعالية وقوة .

3) ان مرور الانسان بعدة تجارب غريزية تلقائية في التعبير عن نفسه ، لا بد ان يسلمه يوما الى البحث عن وسائل جديدة كمرحلة تطور لا بد منها ، بحيث حتى الوسائل التي اهتدى اليها منذ عصور من التاريخ ، وداب على استعمالها الى اليوم ، ان هي الا مرحلة من مراحل التطور ، ولسنا ندري ما يخبئه مستقبل الانسان من مراحل اخرى لا نستطيع التكهن بحقيقتها .

4) ان المجتمع الذي نعيش فيه ، لا يتركنا نبحث طويلا عن وسائل التعبير الارادي ، بمحض اختياراتنا الشخصية ، بل هو يقدم الينا احدث وسائل التعبير المختلفة ، المستخلصة من تجارب الماضين ، في شتى ميادين الفن والمعرفة .

5) ان تلك الوسائل التعبيرية اللاارادية ، لها صلة بالوسائل الفنية الاصطناعية الاخرى ، حتى لنستطيع القول بانها امتداد لها ، وناتجة عنها ، واكاد اجزم بانها هي ايضا وسائل غريزية ، لا يخفف من غريزتها الا تدخل هذا العنصر الارادي ، الذي يهيمن عليها . وهذا يسلمنا الى هذه الحقيقة ، وهي ان الاساليب الفنية المستخدمة حتى اليوم ، ضرورية لحياة الانسان ، الى ان تتبدل انماط حياته ، فيكتشف من الوسائل والاساليب ما يساير تبدلها ، طالما كانت مستمدة من غرائزه وطبائعه الاساسية .

ويهمنا ونحن بهذا الصدد ، اسلوب التعبير اللغوي فقط ، ما دمنا بسبيل الحديث عن ماهية الشعر ، ولذلك نبعد الطرق الفنية الاخرى عن موضوعنا وان كانت صلتها بالموضوع لا تنكر ، اذ اننا لا نريد توسيع دائرة البحث ، وانما نريد قصره على الشعر وحده ، بمعناه الضيق ، الشائع بين الناس .

ونتساءل الان . ما ضرورة التعبير اللغوي ؟ او بعبارة اكثر وضوحا ، ما هو الامر الذي يجعل الجنوح الى اللغة احيانا عند التعبير عن مشاعر النفس وحالاتها الشعرية امرا لا محيد عنه ، ولا يمكن للصخر او الخشب او الالوان او الانغام ان تقوم مقامها حينئذ؟ لا نريد في هذا الصدد ان نرجع بالقارىء الى ما فصله علماء اللغة ، لما تطرقوا الى وظيفة التعبير اللغوي ، فذلك بحث آخر اظن اننا في حاجة اليه في موضوعنا ، لاننا بصدد الحديث عن اللغة بوصفها لغة شعرية ، لا بوصفها مجرد اداة للتفاهم ، ولا بوصفها اداة لنقل العلوم والمعارف العقلية الصرفة .

وعندي ان هناك عوامل شتى تفرض اللغة الشعرية احيانا ، حيث لا يقوم مقامها اى قالب فني آخر . وفي طليعتها ان الالفاظ هي التي تحتل مكان الصدارة في معاش الانسان وحياته الفردية والاجتماعية، ماديا ومعنويا ، فالناس يعيشون ويتبادلون المصالح ويتفاهمون عن طريقها ، وهي سبيلهم الى تحديد اغراضهم ومقاصدهم ، ومعولهم في تنظيم اعمالهم كبيرها وصغيرها ، بحيث يستحيل ان يعيشوا بدونها ، فهي وثيقة الصلة بكل ما يزاولونه من الوان النشاط الفردي والاجتماعي ، وهي لذلك لاصقة بحياتهم المادية والروحية . وما لغة الشعر الا تسام للغة الحياة اليومية وامتداد لها ، وانطلاق منها ، الامر الذي اعطاها مقام الظواهر الطبيعية ، اما وسائل الفن الاخرى ، فبالرغم من كونها تعبيرا عن حاجات الانسان الروحية ، وبالرغم من ضرورتها لحياته ، فهي لا ترقى الى مستوى اللغة في هذا المضمار ، فالناس لا يتعاملون بالموسيقى ، ولا يتبادلون المنافع بالرقصات ، ولا يحددون اهدافهم واضحة بالالوان ، وانما يفعلون ذلك بالالفاظ ، وبالالفاظ فقط . ويفهم من هذا اننا لا نكون مفهومين واضحين ، وقادرين على تحديد ما نريد ايصاله الى الاخرين ، الا عن طريق اللغة ، اى الالفاظ . وبناء على هذا ، فالانسان عند ما يعمد الى اللغة الشعرية يصوغ بها ماتيه الروحية وحالاته الشعرية ، يتسامى في الحقيقة بلغة الناس العادية ، ويتناولها بضروب من التهذيب والتطرية ، حتى تكون قادرة على استنفاذ ما في نفسه ، لايصاله الى الاخرين بطريقة اقرب الى الوضوح والبيان .

وليس هذا فقط ، فالالفاظ في الشعر كما انها امتداد للغة الحياة اليومية ، فهي امتداد للغة الحياة النفسية ايضا ، السنا نفكر بالالفاظ ؟ اليست الالفاظ هي قوالب صورنا الذهنية ، ومجتلى لخواطرنا النفسية ؟ الا نحاكي بالشعر واقعنا الباطني ، متفننين في ذلك ما شاء لنا شيطان الفن ؟ واذن فهما منبعان للغة الشعر : منبع الحياة العملية ، ومنبع الفكر والنفس . فليس غريبا اذن ان نقول ان الالفاظ تحتل مكان الصدارة ، كاداة للتعبير ، ولا يغني غيرها غناءها ، ولا يسد مسدها . هذا علاوة على كون اللغة – كما قال احد النقاد بحق – هي التي يتحقق فيها معنى الخلق اكثر من غيرها ، فالفاظ وحدها هي التي من خلق الانسان ، اما سائر ادوات الفنون الجميلة الاخرى ، فماخوذة من الطبيعة . فالرسام ياخذ الوانه من مادة موجودة في الطبيعة ، والنحات ياخذ مادته من احجارها، والموسيقار ياخذ مادته من أصواتها ، وهكذا .

ولا يفوتنا ان نذكر ان اللغة هي القادرة وحدها على بلورة عصور من تاريخ الانسان المادي والروحي والفكري ، تحمل هذه العصور محتفظة بها ، ناطقة بفنون ابداعها ، مسجلة لكل ما عرفته من مهارات ، وما ازدانت به من عبقريات ، وهي لا تنقل ذلك كله الى الناس في كل عصر بمجرد انتظامها في سياق خاص لتدل على حقيقة معينة ، بل تنقله ايضا بما يحيطها من ملابسات ، وما يشملها من جو ، وما ينبعث عنها من ايحاء ، في نسقها البياني الجميل ، وهي تنقله بجرسها وظلالها وتنوع دلالاتها من عصر الى عصر ، ومن جيل الى جيل ، الامر الذي يكسبها ثروة تكون في عون الشاعر عندما يجنح اليها في حالة امتلائه بعاطفة لا طاقة له بحبسها عن الانطلاق .

بين ايدينا الان الحقائق التالية : حالة شعرية لها مميزاتها من جدة وتفتح وتوتر وحركية ، تتكفل الطبيعة باعطائها تعبيرها الملائم . وجود عوامل متعددة تجعل الانسان غير مكتفي بعمل الطبيعة ، لانه لا يستنفذ طاقته الروحية ، فيبحث عن وسائل اخرى للتعبير . كون اللغة انجع تلك الوسائل لاسباب فصلنا القول فيها على قدر الامكان .

فماذا تفعل اللغة بعواطفنا وحالاتنا الشعرية عندما نستودعها اياها ؟ يلاحظ ان للغة نظاما خاصا بها، يفرض على كل من استعملها ان يخضع له ، شان كل فنان بالنسبة للمادة التي يستخدمها . ومن خصائص اللغة انها متجددة الدلالة دائما ، وذلك لارتباطها بالحياة الجارية المتبدلة ، واستخدامها المستمر في نقل الافكار والمشاعر ، وليس معنى تجدد الدلالة كونها ما تنفك متقلبة متحولة فيما تعنيه ، بين كل فترة واخرى ، فمما لا شك فيه ان لو كان الامر كذلك ، لما صلحت بتاتا لائتمانها على افكار الناس ومشاعرهم . وانما المقصود انها بعد مرور عقود من السنين يصيبها ذلك التحول ، ولكن دون ان تفارقها بالمرة مدلولاتها السابقة. فهي لا بد ان تبقى متصلة بها من قريب او بعيد . وليس يعنينا هنا ان نسهب في ايضاح هذه القضية ، لانها مشروحة في كتب عديدة ، وانما يعنينا منها ما يتصل بموضوعنا فقط . فقابلية اللغة للتجدد تجعل عمل الشاعر صعبا للغاية ، دقيقا كل الدقة ، اذ يلزمه ان يتخذ من الاحتياطات الفنية ما يساعد على استقرار ما يريد ايصاله الى الاخرين ، لتبقى له قيمته ووجوده دائما . واحسب ان اختلاف الناس في استخدام الكلمات وفهم مقاصدها يفرض على الشاعر العمل على اعطاء لغته شخصيتها الخاصة .

واللغة ايضا تهب حالاتنا الشعرية مظهرا حسيا ، لانها ــ اى اللغة ــ حسية فى دلالاتها الاصلية ، وحتى عند ما تطورت وعلقت بها الوان من المجاز ، بقيت حسيتها الاساسية متصلة بها ، لا تنفصل عنها ابدا . فلو اخذنا اشد الالفاظ اغراقا فى الروحية والتجريد ، لوجدناها متصلة بالمادة ، خذ لذلك مثلا (روح) ولعلها ابلغ الكلمات فى الدلالة على الروحيات ، لانها من صلب ما تدل عليه ، فمادة : ر ، و ، ح ، تدل على اشياء مادية . قالوا : روح الشمال (بسكون الواو وفتح الراء) برد نسيمها ، وغصن مروح انشد المبرد :

لعينك يوم البين اسرع واكفا
من الفنن المطور وهو مروح

وكلمة (الارواح) عند الحكماء الاقدمين تطلق على قسم من المعدنيات كالزئبق . ويقال : قعد فلان بالمروحة ، وهي مهب الريح ، وغير هذا كثير .

فاذا نحن تركنا الاصول والاشتقاقات اللغوية ، وذهبنا نستقرىء اللغة فى حيزها الاجتماعي والنفسي والتاريخي ، نجدها مرتبطة دائما بالمحسوس . فاللغة اصوات ، وهذه ظاهرة حسية ، وهي تستغرق جزءا من الزمان ، وتنبه الحواس وتحدث فيها آثارا حسنة او سيئة ، وترتبط بالاحداث والاشخاص والاماكن ، وتدل على انواع من السلوك الفردي والاجتماعي ، وتشي بمظاهر الجمال والبشاعة فى اشياء الطبيعة ، وهذه كلها امور حسية . واذن فنحن عندما نستخدم اللغة استخداما شعريا نكون فى الحقيقة قد اعطينا ماتينا الروحية قيمة حسية ، واكسبناها وجودا له هيكله البارز ، الآخذ حظا من المادية المحاطة بسياج الفن . فالعاشق ــ مثلا ــ عند ما يملا الدنيا تفننا في وصف حيرته وعذابه وصبابته ، يذكر عادة الوصال ، الفراق ، والانين ، وحرقة الاشواق ، وبرد اللقاء ، والم الفراق ، ويكثر من ترديد كلمات : الضنى ، والسهر ، والوجوم ، وطيف الحبيب ، وما الى ذلك مما يدير عليه شعراء الحب كلامهم . ولو انا تاملنا مجموع تلك الكلمات ، لوجدناها تشير الى الازمنة ، وتتصل باعضاء البدن ، واحداث حسية . فاللقاء والفراق ماديان ، وطيف الحبيب يتخذ شكلا معينا هو شكل الحبيب الموجود فعلا او المتخيل ، بقامته وعينه ووجنته ، وما آتاه الله من لطائف الحس ، ومحاسن الصورة ، وهكذا دواليك .

واذا كانت اللغة بهذه المثابة ، كان معنى ذلك ان تمكننا اذا كنا منتجين للشعر ، قبل ان تمكن قراءنا ، من ان ننظر الى حالاتنا الشعرية وقد خرجت من طورها المجرد ، كواقع نفسي ، الى حيز الحس ، حيث اتخذت كيانا لغويا وضع لها ابعادا وجعلها خاضعة لمقاييس يرجع اكثرها الى اللغة نفسها بوصفها مجموعة من الاصوات الحسية التي تختلف ارتفاعا وانخفاضا ، عنفا ، ودعة ، بطئا وسرعة ، الى غير ذلك من نسب مادية منتزعة من صميم الحس ، وبوصفها مجموعة من الكلمات الدالة على اشياء فى الحياة والطبيعة . هذا بالنسبة الينا ، اما بالنسبة لاولئك الذين ياخذون عنا ، فهي تعني عندهم طائفة من العواطف التي تتخذ شكلا (معقولا) فاذا هي فقدت هذا الشكل اعرضوا عنها تماما ، لانهم لا يتصورون الشعر الاعلى هذا الشكل ، اى نظام وتناسق وانسجام بينه وبين النظام الطبيعي والاجتماعي والفكري الذي يعيشون فى مناخه . ذلك اننا ــ كمنتجين ــ نريد ان يشاركنا الاخرون ما نجد من الوان الحس والعاطفة ، وهذا لا يتحقق الا اذا امكننا ارضاؤهم عن طريق هذه القوالب اللغوية التي نجتهد لجعلها ذات (شكل) خاص يناسب الصورة المادية التي كونوها عن الافكار والمعاني والاشياء .

واللغة من جهة اخرى تحاول اثناء تناولها للحالات الشعرية ــ بمقتضى طبيعتها ــ ان (تقولب) المشاعر التي تتصدى للتعبير عنها . يعني ان هذه المشاعر تكون قبل التعبير عنها مطلقة من كل قيد الا قيد الصورة النفسية المصاحبة لها ، لها كامل الحرية فى الامتداد داخل الحياة النفسية الى ما لا نهاية ، بحيث ما تفتا متقلبة متحولة متعرضة بين كل آونة واخرى للتأرجح بين القوة والضعف ، والوضوح والغموض ، والارتفاع والانخفاض ، ولكنها اذ يحتويها قالب اللغة تاخذ وضعا خاصا ، اى انها تلتقط فى وضع من اوضاعها النفسية المتنوعة . نعم قد يبذل الشاعر جهدا كبيرا ليجعل عواطفه داخل العمل الشعري مسايرة لتطورها ، وهي داخل الحياة النفسية ، ولكن بالرغم من ذلك ، لا يمكن ابدا ان يعطينا صورة طبق الاصل ، ولا ان يساير الحياة النفسية فى شتى تقلباتها .

هذا التعبير اللغوي بمميزاته التي ذكرنا البعض منها ، هو الشكل الذي يتخذه الشعر ، استغفر الله ، فما التعبير الا الشكل الخارجي للشعر ، وليس الشعر شيئا مستقلا عنه . فنحن عندما نطلق كلمة (شعر) نقصد بها مجموع العناصر التي تحدد مفهوم الشعر ، بما فى ذلك الحالة الشعرية بسائر مقوماتها ، واسلوب بحثها عن صورها النفسية التي تتولى الطبيعة

تشخيصها فيها ، ثم تجاوزها هذا الطور لتلتمس لها لغة أوفى بمتطلبات التعبير الفعالة ، وما تستطيع هذه اللغة تحقيقه من تلك المتطلبات ، مع ما تضيفه اللغة الى الحالة الشعرية من عناصر فنية مستمدة من طبيعة تكوينها ، ومن تنوع اصواتها ودلالاتها .

والان يبقى علينا ان نعرف ان اللجوء الى اللغة كاداة للتعبير عن الحالة الشعرية بكل مقوماتها السابقة، وبكل ما تملكه اللغة من امكانيات ومميزات ، يثير عدة قضايا ومشاكل ، لا بد من الحديث عنها بشيء من الاقتضاب .

فمما لا شك فيه ان اللغة اذ تتخذ اداة شعرية ، تعتبر تبريرا لموقف انساني معين ، ودفاعا عن قضية انسانية عميقة الاصول . ذلك ان حالة الشعر تلك التي شرحناها ، تحمل في تضاعيفها اشعارا بأن هناك شيئا من خصام بين صاحبها وبين بعض نواحي الحياة واوضاعها المختلفة ، فهو ضيق بها ، عزوف عنها ، يسعى لاغراقها في اوضاع واشكال من ابداعه وابتكاره ، او هو يحاول ان يفضحها ويشهر بها ، ليجعل النفوس تعافها ، وتزور عنها ، ولعل الخصومة ان تكون احيانا ليست خصومة عداء ونفور ، وانما هي خصومة الملكات والمواهب مع الغاز الوجود التي لا تريد ان تبوح بأسرارها ، فتخلق عند المتصدين لها نوعا من التوتر والعناد الذي يأبى الا الصمود ، ولو كان على حساب الاعصاب والراحة النفسية والفكرية . ونحن لو تاملنا قليلا ، لوجدنا ان هذا الموقف العاطفي والفكري تجاه اوضاع الحياة ، ان هو في الحقيقة الا نوع من الشذوذ ، باعتبار انه يناقض منطق الحياة الذي لا يتخلف ابدا . فالحياة هي الحياة بكل نقائصها وانواع بشاعتها ، وفنون جمالها وما ظهر منها وما استتر ، فكان من المعقول ان تقبل على شكلها الواقعي، الا ان من تناقضات الحياة العجيبة ، انساعها لبعض الطبائع التي لا تقبلها كما هي ، فتثور عليها وتتهمها في صحة كثير من اوضاعها ، واحسب ان اختيار الانسان مجالا لتلك الطبائع ، كان آية عظمته وسيادته على سائر الكائنات الارضية . اذ هو وحده الذي يتعشق المثل العليا ، ويحن الى الكمال ، ويود ان يجنح بالموجودات الى الصورة المثالية التي رسمها لها في خياله وفكره .

ولا تحسبن الشعر الثائر وحده ، هو الذي يعبر عن هذا الموقف الانساني الحي الخالد ، فحتى الشعر الذي لا يبدو عليه اثر من آثار الثورة تتحقق فيه هذه الصفة ، الا انها تكون فيه مقنعة ، على حين انها تبدو في الشعر الثوري سافرة . فما وقوف شاعر امام وردة ليتغنى بجمالها وروعتها الا ثورة ضد انواع البشاعة الموجودة في هذا العالم ماديا ومعنويا . وما وقوفه ازاء الفضيلة مشيدا بها ، الا تعبير عن سخطه على الرذيلة بكيفية غير مباشرة . واذن فاللجوء الى اللغة كاداة للشعر ، هو كما قلنا منذ قليل تبرير لموقف انساني معين ، ودفاع عن قضية انسانية عميقة الاصول . فكأن الشاعر اذ يستعين بضروب المجاز ، وصور الخيال ، وحيل الفن الكثيرة ، يحاول جاهدا استمالتنا اليه لننظر الى الاشياء نظرته ، ونتقبلها بكل شذوذها وما قد يكون فيها من انحراف عن نواميس الحياة الجارية من جهة ، ويحاول اقناع نفسه بصحة نظرته ، ملتمسا لها المبررات عن طريق الخيال والفكر الجوال ، وحاسة الفن الدقيقة . وما اخال كل عمل شعري الا دفاعا عن موقف انساني معين ، مهما اختلفت صيغ الدفاع بين صاخبة صارخة ، وهادئة متانية ، وعنيفة مندفعة .

ولكن لماذا كانت المواقف الشعرية في حاجة الى دفاع ؟ الامر بسيط ، لانها — اي تلك المواقف — بمثاليتها وتمردها وتوترها وضيقها بكثير من تفاهات الحياة ، تصطدم بالاخرين الذين يتقبلون الحياة كما هي . وعلى علاتها ، وحتى عندما يكونون من عشاق الشعر وهواته ، يحتاجون الى مبرر قوي يأتيهم من طرف الشاعر ، فيقوى على نقلهم من الجو العادي المحيط بهم الى عالم الشاعر مشوقين مفتونين . فليس كل متعشق للشعر بقادر على ان ينسى ما يحيط به ، الا اذا كان عند الشاعر استعداد خاص ، لجعله مستطيعا التفوق على نفسه وتصديق كل ما يلقى اليه ، حتى يندمج فيه بكل ما يملك من قدرة على ذلك . وتعتبر مهمة اللغة دقيقة حينئذ ، اذ انها ينتظر منها ان تقوم بمهمة الاقناع ، ولكن بغير طرقه ووسائله المعروفة . فعلى الشاعر الا يعمد الى طريق الاحتجاج ، ولكن عليه في الوقت نفسه ان يكون مقنعا بصحة موقفه العاطفي . سواء بالنسبة الى نفسه ، او بالنسبة الى قرائه ومستمعيه .

قد يقول قائل ها هنا : وما دخل الاقناع في الشعر ؟ الم يقرر من قديم ان مهمة الشعر الاولى هي التاثير ؟ اما الاقناع فلا شأن له به ، لانه من اختصاص النثر العلمي المؤدب ؟ وانا لا انفي هذا ، ولكن اضيف اليه امرا لعله يزيده وضوحا وبيانا : وهو ان الشعر هو ايضا مقنع ، ولكن بطريقته الخاصة . فاذا كانت الحجة المبنية على اساس من الدقة الموضوعية ، هي

وسيلة النثر العلمي المؤدي الى الاقناع ، فالشعر يسلك طريقا آخر ، يتلاءم وطبيعته . فهو يمزج بين عنصري الفكر والشعور ، ويهب الفكر اجنحة ليستطيع مسايرة السبحات الروحية ، ويهب العواطف قبسا من الفكر يجنح بها نحو شيء من الاعتدال والتوازن . فهو لا يقنع الفكر في غيبة العاطفة ، ولا يؤثر على العاطفة في غيبة الفكر ، وانما يضع الناحيتين والطريقتين في وضع واحد متناسق . تأمل هذه الابيات لابن الرومي لترى مصداق ما اقول :

واولادنا مثل الجوارح ايها
فقدناه كان الفاجع البين الفقد
لكل مكان لا يسد اختلاله
مكان اخيه من جزوع ولا جلد
هل العين بعد السمع تكفي مكانه
ام السمع بعد العين يهدي كما تهدي؟

فالابيات زاخرة بالطاقة الانفعالية ، ولكنها في الوقت نفسه تتضمن نوعا من التعليل والاقناع ، اقناع القارئين والسامعين بفداحة الخطب الذي نزل بالشاعر لما فقد ابنه الاوسط . ولو اننا نثرنا تلك الابيات لجاءت هكذا : لا يسد احد اولادنا مسد الاخر ، لان اولادنا مثل الجوارح التي لا يغني بعضها عن بعض ، فالعين لا تقوم مقام الاذن ، وكذلك العكس . وبناء على ذلك فلا تلومني لفجيعتي بموت ابني ، بالرغم من وجود اخوة له . تعليل واقناع لا يخطئهما النظر المتأمل ، ولكن الشاعر لم يسق تعليله واقناعه باردين مجردين، وانما ساقهما خلال جو انفعالي مؤثر ، اعطاهما طابعا شعريا ، وابتعد بهما عن البرود والتقرير .

فللشعر منطقه الخاص المؤثر المقنع في وقت واحد ، وهو من اجل ذلك منطق مرن ، ليست فيه تلك الصرامة التي نجدها في البحوث العلمية او الادبية الرصينة (منطق مفتوح) ان صح التعبير ، يحاول اقناعك ولكن لا يلزمك بشيء بل هو يترك المجال امامك واسعا للظنون والتخمينات . واذن فلا أساس لتلك القاعدة التي نجدها في جميع كتب الادب ، وهي ان الشعر لا شأن له بالاقناع ، مهما كانت طريقته ، وانما تنحصر مهمته في التأثير ، ولعل الباعث على الايمان بهذه القاعدة وتقريرها ، تلك الصبغة العاطفية التي تكسو قطع الشعر ، حتى لتتوارى خلفها قيود المنطق وومضات الفكر .

واحيانا نجد انفسنا ازاء شعر لا يظهر فيه اثر للاقناع مطلقا ، فلا يعني ذلك انه خال تماما من هذا العنصر ، فهو قد يكون كامنا فيه ، ملفوفا في لفافات عاطفية تحجبه وتجعل الوصول اليه من الامور المستعصية ، والنقاد عندما يقررون ان الخيال يعتمد على الحقيقة ، يؤكدون هذه المسألة دون قصد منهم الى ذلك .

ونعود على بدئنا لنكرر القول بان الشعر تبرير لموقف انساني معين ، ودفاع عن قضية بعيدة الاصول. ولكي ازيل كل التباس قد يحيط بهذه المسألة بوجه خاص ، أود ان اقول اني لا اريد بـ (القضية) ما قد يتخذه الشاعر من مواقف خاصة ، ازاء بعض مشاكل الحياة والمجتمع ، فبالرغم من تسليمنا بما لمثل هذه المواقف من قيمة انسانية احيانا ، فاننا نكون خارجين عن الموضوع ، اذا نحن قصدنا بالقضية هذه المواقف ، في الوقت الذي نحاول فيه ربط الشعر بالقضية من حيث انه شعر ، بقطع النظر عن المواقف والقضايا الفلسفية او الاجتماعية او السياسية التي قد يتخذ اداة للتعبير عنها . فانا هنا اريد النص على ان الشاعر عندما يتخذ اللغة الشعرية اداة للتعبير ، يكون هذا في حد ذاته قضية خاصة ، هي غير القضايا الاخرى التي تأتي قصدا ، وبسابق تفكير واعداد . ولئن كانت هذه القضايا متنوعة مختلفة باختلاف الازمنة والامكنة ، فان تلك القضية قضية عامة ، توجد حيث يوجد الشعر ، لكونها تنطلق من صميم الشعر نفسه ، كلفتة وجدانية تمثل حالة نفسية انسانية في عمقها ، فردية في ملابساتها والجو النفسي المحيط بها .

والآن هل لنا ان نرى في الشعر من حيث مفهومه العاطفي والفني نوعا من الاحتجاج غير المباشر على انظمة الحياة وما جرياتها ، وكثير من اوضاعها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها ؟ انه لكذلك . فليس من داع يدعوني الى قول الشعر ، اذا لم اكن بيني وبين نفسي غير راض عن شيء ما ، تتجاذبني عوامل القنوط من بعض ما ارى وما اسمع ، جانحا الى الصور المثالية التي كونتها عن الاشياء ، لاقتبس منها ما يهبني شيئا من الاطمئنان الى قدرتي على التخلص من ابغض الاشياء الى نفسي . وحتى الشعر الباسم المتفائل ، الذي لا يبدو عليه ظل من سخط او قنوط ، لا يخلو من هذا ، اذ ان فيه رد فعل، ضد بعض النواحي البشعة والمظاهر البغيضة ، التي تزيد من قدرة الشاعر على التماس مواطن الجمال في كثير من الاشياء . وقد تعلو نغمة الشعر في هذا الاحتجاج ، الى ان تصير ضربا من الرفض السافر

مع الاصرار عليه في غير لف ولا دوران ، ودون ملاينة أو هوادة ، وما هذا الرفض الا امتداد وتطوير لذلك الاحتجاج الكامن في طبيعة الشعر ، والذي صحب الشعر منذ ظهوره الى اليوم ، والى ما شاء الله ، ما بقيت نفس تحس بانها على خصام مع بعض اوضاع الحياة ، وعلى وفاق مع بعضها الاخر .

ولا يفهم ذلك الاحتجاج على انه موجه ضد ما يراه الشاعر من نقائص الحياة وضروب بشاعتها فقط، بل هو احتجاج ضد ما يحمله الوجود الانساني نفسه من استعداد للانحلال والفناء ايضا ، فليس غريبا ان يكون اشد الناس توقا الى البقاء ، اشدهم احساسا ببشاعة الفناء ، ومن غير الشعراء تتحقق فيه هذه المفارقة في اقوى معانيها ؟ .

ولكن من يواجه بهذا الاحتجاج ؟ اهو احتجاج الانسان في مواجهة الطبيعة ؟ ام هو احتجاجه في مواجهة الناس ؟ ام هو احتجاجه في مواجهة نفسه ؟ ام هو احتجاج في مواجهة اولئك جميعا ؟ ؟ ؟

احسب ان الشاعر عندما يقول الشعر لا يضع في اعتباره شيئا من هذه الاهداف ، وانما هو انسان مدفوع بما ركب فيه من طبع قوي ، ومن عجز عن الصمت ، ومن شهية عارمة للحديث الشاعر ، يجد في الكلمة تنفيسا عن طاقته الضخمة ، ومنطلقا لاخيلته الجوالة ، يصوغها قصيدا ليتخفف من بعض ما يجد من شؤون النفس والوجدان والضمير ، وحسبه ذلك راحة للنفس من قلقها الحائر ، وشفاء للضمير من هزاته العنيفة . فهو اذن احتجاج يعرف صاحبه مقدما ولو في غير وضوح انه سيكون دون جدوى ، ولكنه مع ذلك يحتج ، ويستمر في الاحتجاج ، لانه جزء من طبيعته كشاعر .

ولا يكون الشعر دفاعا عن قضية واحتجاجا على اخرى ، الا اذا كان في مفهومه العميق ، ليس استسلاما ولا تخاذلا ، وانما هو جهاد ونضال من اجل المثل العليا والقيم العالية . فالاستسلام والتخاذل ليسا من خصال الشعر الحق ، وانما تعرضان له في عصور انحطاطه ، ويعاب بهما عند انعدام الشخصية ، شخصية الشاعر، في انطلاقتها نحو الآفاق المشرقة البعيدة المدى . وغني عن البيان ان للشعر خصائص تنبع من طبيعته الاصيلة، وله صفات ليست من صميم طبيعته ، ولكنها تصيبه في مراحل من تطوره ، ومنها تلك الصفات البغيضة التي تعلق به في مراحل انحطاطه ، ومن ثم فهي لا يعتد بها ، عند الحديث عن مميزاته الاصيلة .

ولا يكون الشعر دفاعا عن قضية واحتجاجا على اخرى ، الا اذا كان معبرا عن تحد للطبيعة ، واذا كان الانسان الشاعر يتحدى الطبيعة ، يكون معنى ذلك ان الطبيعة تتحدى نفسها ، لان الانسان ان هو الا جزء من الطبيعة . وقد وقفت طويلا عند هذا اللغز المحير ، ولم اهتد الى وجه الصواب فيه ، وكل ما استطعت الوصول اليه ، ان الطبيعة لا تعترف بشيء اسمه التحدي ، او الاحتجاج او الدفاع ، وانما الانسان هو الذي يضع هذه المعاني ، ويلتمس الوسائل المختلفة للتعبير عنها لا اقل ولا اكثر ، بدليل انها ـ أي الطبيعة ـ ماضية لطيتها ، محققة اهدافها الابدية ، غير ملقية بالا الى هذا الانسان ، الذي ملأ الدنيا بصياحه وصخبه ، منذ بدء الخليقة الى اليوم ، وسيبقى كذلك دائما .

وقد يعتبر من الغريب ان تقول عن شاعر يعبد الطبيعة انه يتحداها ، ولكن لو تاملنا لوجدنا ان من التحدي ما يكون حبا وهياما وافتتانا بالشيء ، فالعاشق يتفانى في التضحية من اجل من يهوى ، فيكون من معاني تضحيته ، تحديها ان تاتي بآية من آيات وفائه واخلاصه ، والمرؤوس الذي يحب رئيسه ، يقوم بعمله بكل اخلاص ، فيكون من معاني اخلاصه ، تحديه للرئيس ، ان يجد له هفوة او غلطة ، والفنان الذي يهوى فنه ، ويقبل عليه باذلا كل ما يستطيع من جهد ، متحديا بذلك مصاعب الفن الذي يزاوله ، يجمع بين حب الشيء وتحديه في وقت واحد . والشاعر هو الاخر قد يحب الطبيعة الى درجة الشغف دون ان يمنعه ذلك من تحديها ومحاولة التفوق عليها ، ومنافستها في الابداع والخلق .

والتحدي هو في حقيقته تعبير عن اثبات الذات ، والاعلان عن كيانها المستقل ، وتأكيد لحقها في البقاء . ومن التحدي ما يكون ناشئا عن الشعور بالضعف ، ازاء قوة عاتية طاغية ، وما الانسان الا كائن ضعيف امام القدر ، وامام الطبيعة ، وامام نفسه ، وامام الغاز الوجود . وبالرغم مما حققه من تقدم علمي كبير ، فهو ما زال عرضة لبطش الزلازل ، والاعاصير ، والامطار الطوفانية ، وما زال امام امر يقف ازاءه عاجزا كل العجز ، وهو الموت .

ولعل التحدي الشعري ناتج عن شعور الانسان اكثر من غيره بهذا الضعف ، تجاه قدره ومصيره ، ومن طبيعة التحدي ان يستفز اعمق المشاعر ، واحد الاحاسيس ، وان يستفز المشاعر والاحاسيس بنفس القوة في الطرف المقابل ، فتقع المغالبة ، والمنافسة .

ويتكشف الامر عن تجاذب وتجاوب ، وعن غالب ومغلوب ، أو عن توازن القوى وتماثل الملكات ، ولكن الانسان الشاعر في تحديه للطبيعة ولنفسه وقدره ومصيره ، ليس عنده مجال للامل في الانتصار والغلبة، وانما هو عارف مقدما انه مغلوب لا محالة . فهو يصارع صراع اليائس ، ويصاول وهو يتأرجح في كف القدر ، ورب شاعر تقرا له ، فتجد شعره يفيض بالمرارة واحر الشكوى ، من اندحاره المأساوي امام الغاز الكون ، وحروف الدهر ، ومراوغات الحياة .

ولكن سواء أكان الشاعر غالبا او مغلوبا ، فمجرد شعوره بالتحدي ثم تعبيره عنه ، ليس شيئا سهلا ولا هينا ، اذا نحن وضعنا في اعتبارنا خطورة الموقف الذي يقفه امام نفسه وقدره ومصيره والطبيعة والعالم . فالسجين المتمرد في سجنه ، دون ان يلتمس من وراء تمرده نجاة مما هو فيه ، وما ينتظره ، يعتبر بطولة لرفعه في الاعين عاليا ، لانه على الاقل اعلن عن رفضه للوضع الذي هو فيه .

وهو اذ يتحدى لا يتكافؤ والطرف الاخر ، لا من حيث فرص القوى فقط ، ولكن من حيث تنوع الاسلحة أيضا . فوسيلة الشاعر هي الكلمات ، ولكن وسائل الطرف المقابل ، هي الاشياء التي وجدت تلك الكلمات للدلالة عليها . فاذا تفنن الشاعر في تكوين صورة رائعة بارعة عن الشمس وقت المغيب ، يتافس بها الطبيعة ، كان جواب الطبيعة اظهارها الشمس نفسها ، في موكبها الجليل المهيب الخالد . واذا وصف الشاعر بركانا محاولا التفوق على الطبيعة ، كان ردها انها بالفعل تفجر براكينها وتسلط نيرانها على الانسان والحيوان والنبات . وهكذا فنحن ناخذ معاني الاشياء على اعتبار انها صور ذهنية ، ولكن فرق كبير بين صورة الشيء ، والشيء نفسه في حقيقته وواقعه . وكشان الضعيف دائما ، فالشاعر يلجا الى عدد كبير من الحيل الفنية ، يستمدها من اداته التي هي اللغة ، ليجعل من فنونها ما يقابل التسلط والجبروت في الطرف الاخر . فهو يشتق منها من الصور والتشبيات والالوان ، طرائف ومحاسن ، استطاع البعض منها مقاومة الزمن ، والتربع على عرش الخلود .

وهكذا نفهم الشعر على انه **تمرد ، ودفاع ، واحتجاج . وتحدي . ومغالبة** ، بكل ما يدخل ضمن هذه الكلمات من قوة واصرار ، ولا نغتر بما يظهر على بعض نصوصه من وداعة ورقة وهدوء ، فنظن بها انها خالية من هذه الامور، فقد يكون من تحت الماء الهادىء السائر الهويني ، اعماق مضطربة جياشة بدوافع الحياة . واذا كان من الشعر ما يثير ويستفز ويرمي بالشرر ، فان منه ما يناجي ، ويهمس ، ويناغي ، ولكن في الهمس والمناجاة والمناغاة ، شؤونا تتهادى الى الفكر والقلب والخيال ، باعثة من حولها جوا من الشكوك والوساوس والظنون ، وويل للناس من هذه الشؤون ، اذا هي صادفت فيهم نفوسا مرهفة الاحساس ، كثيرة الدروب ، عميقة القرار ! !

ولسنا مغالين اذا قلنا ان اللحظة التي يحس اثناءها الانسان الفنان ، بحاجة الى التعبير الشعري ، تعتبر بحق من اخطر لحظاته النفسية على الاطلاق . وهنا يجب الا نظن بالشاعر انه مجرد انسان يدهور ويعبث باللغة ما شاء له شيطانه ، كما ينظر اليه فعلا كثير من الغافلين عما للشعر من خطر في حياة الانسان . فما احس انسان بالحاجة الى التعبير الشعري ، الا كان ذلك اشعارا بتوق نفسه الى التحرر من عبودية الاوضاع الجامدة ، وانماط الحياة الرتيبة . ومن هنا كان الشعر في مبناه ومعناه ، تعبيرا عن حب التحرر ، ولا يمكن ان يفهم بدون هذا المعنى ، كيفما كانت اشكاله واتجاهاته . واذا كنا قد فهمنا الشعر في السطور الماضية على انه دفاع ، واحتجاج ، وتمرد ، وتحدي ، ومغالبة ، فنحن لا نتصور هذه الامور ، بدون رغبة اكيدة في الانعتاق من ربقة العبودية للغرائز، وحدود الازمنة والامكنة ، ومتاريس الاعراف والعادات وضيق الافق ، ورقابة الراي العام الصارمة ، وقوة الحياة في نظامها المطرد ، وطغيان الشكليات على نواحي الحياة المختلفة ، وتصلب الافكار وجمودها ، وامتناعها عن التعرض للهواء الطلق ، لدى الاكثرية من الناس ، وباختصار ، التحرر من جميع القيود التي تعوق عن الرؤيا الحرة الجميلة ، وتقيم السدود امام الخيال المحلق ، وتعكر الصفو على الفكر البعيد مطامح النظر . هذه الرغبة في التحرر ، تطالعنا في كل بيت شعري صادق ، وكل قصيدة صادقة . فالشاعر اذ يتغنى بالجدوال والخمائل وشتى مظاهر الطبيعة ، يجنح في الاساس الى الخروج بهذه الاشياء عن مداها المحدود في عالم الزمان وعالم المكان ، وينشيء لها كيانا تزداد به خطرا وجمالا ، وتتحول الى اشياء عظيمة ، لا حصر لمعانيها . والشاعر عندما يترنم حبه وهواه ، او اى عاطفة اخرى من عواطفه، يرتفع عن ان يبقى ذلك الجرم الصغير ، الذي يشغل حيزا صغيرا من الفراغ ، ويتحول الى عالم قد يضيق وقد يتسع ، ولكنه على كل حال ، تتحقق فيه الحرية او التحرر من قيود الضرورة

التي قضت بها الطبيعة . قد يحتج بعضهم فيقول : مهلا يا هذا ، فما كل شاعر بقادر على ان يكون هذا العالم الذي تتحدث عنه ، وجوابي ان ليس من الضروري ان يكون العالم هو عالم العباقرة والعظماء ، فقد يكون عالم الصغار ، وللصغار عوالمهم التي يذهبون في بنائها مذاهب مختلفة .

وليس من الضروري ان تكون رغبة التحرر قضية فكرية عند الشاعر ، بحيث يتخذ لها الاهبة اللازمة ، ويضع لها اطارا فلسفيا ، فهي قد تكون مجرد حاجة نفسية واضحة او مبهمة ، تعمل عملها في نفس الشاعر وفنه .

فاس : **عبد العلي الوزاني**

– ذكاء معاوية –

يروى ان عبد الرحمن بن حسان الشاعر شبب بابنة معاوية ، وبلغ ذلك ابنه يزيد ، فغضب ، وطلب من ابيه ان يقتله ، فقال له معاوية: لا، ولكن اداويه بغير ذلك.

ثم دخل عبد الرحمن على معاوية ، فاكرمه واستقبله احسن استقبال ، وقال له : « ان ابنتي الاخرى عاتبة عليك ، قال:في أي شيء ؟ » قال : « في مدحك اختها ، وتركك اياها ، قال : فلها العتبى وكرامة ،انا ذاكرها » . ولم يكن لمعاوية غير بنت واحدة ، فخرج عبد الرحمن واخذ يشبب بالبنت الثانية ، وبلغ شعره الناس ، فعرفوا كذبه !! .



موضوع اللقاء بين الادب والفلسفة فى الفكر المعاصر موضوع هام جدا ، فاذا كانت خيوط الالتقاء بين الادب والفلسفة متنوعة وعديدة ، ما الذي يميز هذا اللقاء ؟ وما هي ضرورته ؟

ان العصر الحاضر فاجأنا بكثير من **المبادرات** التي زعزعت كيان الانسان ، وبالتالي غيرت وضعه فى الكون ونظرته وايمانه وهواياته وكل صغيرة او كبيرة تتعلق به . ان أهم مبادرة من مبادرات العصر هي **التقنية** اعتمادا على اجتهادات العلم المعاصر ومكتشفاته ، وان العقل البشري يكاد يرهق من جراء ما تفاجئنا به التقنيات ، بل حدث ما لم يكن بالحسبان ذلك ان ايمان الانسان بكل ما هو معنوي وروحي قد تزعزع وظهر فى عالم الفكر معسكرات متصارعة اهمها معسكر المعنويات ومعسكر التقنيات ، معسكر الدين والفلسفة والادب والشعر .. الخ ، ومعسكر الصناعة والاقتصاد والاختراع . فهل بامكان هذا التقابل ان يقضي على معسكر من المعسكرين المذكورين ؟ ثم ما هي الوحدة التي تجمع بين ميادين المعسكر المعنوي وخاصة بين ميدانيه الرئيسيين الادب والفلسفة ؟ وهل بامكان هذه الوحدة ان تقوي صف الناحية الروحية من الانسان ؟ بل هل بامكان هذه الوحدة ان تقضي على كل ما يؤثر فى كيان الانسان ، من يأس وقنوط وشعور بالتفاهة وعدم الجدوى ؟ .

هذه هي الاسئلة التي تتردد فى اعماقنا ، ولا نستطيع لها جوابا ، وان المستقبل غامض جدا ، لان كثيرا من معنويات الانسان قد اعلنت الافلاس ، هناك افلاس فى اللغة ، فى الروح ، فى الفلسفة ، فى الاخلاق.

واذا اردنا ان نكون واضحين نوحد كل هذه التوخوفات فى سؤال واحد ، هل باستطاعة التقنية المعاصرة ان تعوض الكلمة بالمخترع والرمز العلمي معلنة بذلك موت الفكر ؟

بادىء ذي بدء ، ابادر فاجيب : لئن كانت التقنية طمعتنا بحياة تتوفر لنا فيها امكانيات الفعل بعيد المدى فانها لا تستطيع ولن تستطيع ، ان تقضي على **«الكلمة»** شعرية او ادبية او فلسفية ، لان قوام الانسان وقوام الوجود نفسه لا يكون الا بالكلمة وهذه فكرة سنعود اليها بالبحث والدرس . فاللقاء اليوم بين الادب والفلسفة ، يمكن ان نصفه منذ الآن بأنه لقاء من اجل تأكيد اهمية الانسان بالنسبة للكون ، وهذا اللقاء لم يتخذ هذا المبدأ منذ القديم بل اخذ اشكالا عديدة لابد من ان نستعرضها ليتضح الموضوع فى ذهننا .

ان كلا من الادب والفلسفة وغيرهما من الانتاجات المعرفية النظرية تشترك فى قاسم رئيسي هو الذي اطلقنا عليه « الكلمة » او « المصدر » بالمعنى اللغوي او النحوي . والكلمة أو المصدر مصونان فى وجودهما لانه « فى البدء كانت الكلمة » .

« في البدء كانت الكلمة » بمعنى ان الامر بالوجود كان عن طريق الكلمة ، ذات المعنى الواضح، والصيغة المحددة ، الكلمة المفهومة ، الكلمة (الرامزة) ولا يمكن أن يصدر أمر الخلق في كلمة عادية ، ان كلام الأمر بالخلق ، لا يكون الا **معجزا** لا يكون الا جميلا ، بليغا ، « انه في البدء كانت الكلمة الحاسمة » التي اعطت الوجود ، وصيغته . والوجود كظاهرة جميل يعكس الكلمة الجميلة .. لا علينا الآن في مضامينه ومشاكله التي جعلت الحياة شاقة في العصور الحديثة . فاذن مكانة الكلمة راسخة ولا يمكن ان تزعزعها التقنية أو العلم . والكلمة بالطبع عندما تدخل في الاستعمال الانساني على مستوى الفكر تأخذ غالبا صيغة الادب أو الفلسفة بفروعها كافة .

فحتى لا نكون على اختلاف في المفاهيم الاساسية سأحاول ، جهد المستطاع ، ان اعطي تعريفات للادب والفلسفة .

ان تعريفات الادب شهدت تطورات كبيرة انطلقت اولا من مفهوم حسي عفوي . الادب من الجذر (أ . د . ب) في مقابل هذب السلوك بالكلام الجميل الطيب ، أو من مأدبة اي ما يقدم من اطباق شهية في مجلس انس ومودة ، فهو مادة للاستهلاك لتلبي رغباتنا في تزويد حواسنا بما هو جميل للمشاهدة أو السمع او القراءة أو الذوق ... الخ . ثم اخذ الادب معنى انتاجات لغوية يعتبر فيها جمال الصيغة التعبيرية ويكون هذا الانتاج نثرا أو شعرا والنثر اما تأملا او قصة او مسرحا ... الخ .

لكن معظم المفكرين في عصرنا الحالي واجهوا هذه التعريفات العفوية بالاستفهامات العميقة هل يعني الادب مجرد انتاج الفاظ جميلة منسقة ؟ هل الادب مجرد تعبير لا يستطيع شيئا اكثر من نقل احاسيس شخصية ؟ ولماذا نكتب الادب ؟ ولمن نكتب وقد اهتم بهذا الموضوع خاصة جان بول سارتر واتجاهه ، وجماعة الوضوح Clarté الذين نظموا سنة 1965 ندوة تحت شعار ماذا يستطيع الادب ؟ Que peut la littérature بمشاركة سيمون دي بوفوار ، ييف بيرجي ، جون بيير فاي وجون ريكاردون وجان بول سارتر وجورج سمبرن كما ان المدرسة المعاصرة المعروفة تحت اسم « البنيوية » اهتمت بهذه القضية .

فما هي خلاصة هذه المراجعات والاستفهامات في شأن مفهوم الادب ؟

ان الادب نشاط يقوم به الانسان من انس بغية كشف العالم . فالعالم « كلية مجزاة » يعني اني اتخذ مواقف تجاه كل وضع وكلما واجهت وضعا الا ودخل في نطاق معرفتي ، حتى ما اجهله من اوضاع هو معرفة بالنسبة لي كفرد ما يعيش في بلد ما من العالم . تقول سيمون « ان جهلي لما يحدث في بلد ما كالهند مثلا داخل في كينونتي كبارسية » ان معرفتنا للعالم هي اختصار له . فما حصل عليه الاديب يحاول أن يقوم بتضمينه داخل نتاج يقدمه الى آخرين ليكاشفهم ما يجهلونه من عوالم ، وعن طريق هذه المكاشفة يتحد الاديب والقراء فيكون باستطاعة الادب ان يجعلنا نتصل ونتقارب بما هو يفرقنا ، انني داخل انتاج ادبي اتنازل عن كينونتي في اللحظة الحاضرة لادخل في عالم الاديب ، من مضامين واشكال. فعوالم سارتر وكافكا ودوستويفسكي عوالم توحد القراء في مستوى شعوري واحد وبالاضافة الى ذلك انها تعطي معاني لكثير من الوقائع والحالات حتى اليائسة منها .

ان الادب تواصل وتكاشف عن طريق فاعلية فكرية ولغوية نعطي بها نتاجا يقنعنا بقبوله والتأثر به.

ونجد جان بول سارتر يتعرض في مواقفه لمحاولة تحديد دور ومفهوم الادب فيؤكد ان الادب واقع اجتماعي لان فيه يتمازج شخص الاديب مع اشخاص القراء الفعليين او الامكانيين من ذوي الارادات الطيبة. ونظرا لهذه السلطة التي يتوفر عليه الادب فيجب ان لا يكون الاديب انانيا سلبيا ، بل عليه أن ينفتح على عالم الآخرين ويتخذ منه مواقف يلتزمها ويدافع عما هو خير وطيب ، وبذلك يترك المجال للقارىء ليقارن ويحكم ويخلق ، لان هناك خلقا في القراءة كذلك . تعتمد على **الحرية** . ان الاديبيشتغل بمواد خام هي الافكار والشخصيات ومصدر هذه الافكار والشخصيات اجتماعي محض .

ومختصر القول ، ان مفهوم الادب لم يعد مقتصرا على التعبير الجميل الذي يخلق به الاديب عالما خاصا منعزلا او اسطوريا لتفسير بعض غوامض الكون تفسيرا احتماليا بل اصبح الادب تفتحا على كل ما هو اكيد في حياة الناس . انه يقودهم لمباشرة حريتهم ويدفعهم الى ان يخلقوا في اعماقهمجدلا عنيفا بين الخير والشر .

اما الفلسفة ، فلو حاولنا استقصاء مفاهيمها لامضينا اتفاقية تمكث بمقتضاها سنة او يزيد ولا نصل الى مفهوم مضبوط . انها الفضول الذي يتعلق بكل صغيرة وكبيرة في العالم غايتها لا معرفة الاشياء

المادية كما تبدو لنا بل ما وراء المادة ، الفلسفة لا تريد ان تعرف الزمن بل ما تحت الزمن وما وراءه وماهو ليس بزمان (فكرة اللازمان) وقد جاء في تعبير لجاك ماريتان ان الفيلسوف « الميتافزيقي » هو (ذاك المفكر الذي يؤمن بأن عقل الانسان يعلو على الانسان) الفلسفة ليست تعبيرا ، بل نقدا عقليا لمواضيع قد تكون عقلية وقد لا تكون عقلية ومن هنا جاءت صعوبتها ، فنجد من ميادينها الميتافزيقا بما تشمل عليه من مشاكل الوجود والانسان والحرية والحقيقة والمنطق كوسيلة للتفكير الصحيح والاخلاق والنفس والمجتمع ، ان مختلف الفلسفات هي مواقف ووجهات تأمل من هذه القضايا التي دوخت الانسان منذ ان جاء الى هذا العالم ومنذ ان اعطاه « بروميتيوس » سر النار اي سر المعرفة كما تقول الاسطورة ، فقضايا الفلسفة تكاد تكون محددة واضحة المعالم تتناولها بمناهج نقدية خاصة قصد الوصول الى استنتاجات عقلية نسبية .

فكيف يمكن ان يتحقق اللقاء بين هذه الفلسفة وذلك الادب ؟ كيف يمكن ان يتحقق اللقاء بين عالم التعبير وعالم النقد ؟ بين الواقع الاجتماعي والمطلق العقلي ؟

ولنسهل تناول الموضوع ، نحلل اسئلتنا الرئيسية ونقول : ما اللقاء الممكن بين الادب الشعري والفلسفة من جهة والادب النثري والفلسفة من جهة ثانية ؟

هناك حادثة طريفة تعتبر مدخلا لتحليلاتنا لابد من ذكرها ، أقبل الرسام دوكا Dugas على مالارميه بعد أن حرر قصيدة شعرية ، كانت مبعث افتخار كاتبها الرسام ، وفي معرض تقديم القصيدة الى مالارميه قال له : « لقد أتعبتني هذه القصيدة كثيرا لاني كنت شارد الذهن ، فلم استطع استجماع أفكاري » فأجابه مالارميه بكل استغراب « ان القصيدة لا تصنع من افكار بل من الفاظ » فالفهم البسيط للحوار الذي جرى بين دوكا ومالارميه هو أن الشعر مجرد الفاظ رامزة تعطي صورا خيالية جميلة متناسقة ، لكن ما عناه مالارميه عكس هذا تماما ، ان الشعر الفاظ وكلمات تؤدي بنا في النهاية الى اغوار الموجودات فتتحول هناك الى مواجهة صريحة للكينونة ، فمن طريق اللفظ نصل الى الاعماق اي الى الافكار الشعرية المطلقة ، وهذه الميزة مشتركة بين الشعر والموسيقى ولا عجب ان كان الشعر يهدف الى بلوغ مرتبة الموسيقى تعبيرا او جمالا ، وقد ذكر هنري دولاكروا في كتابه « علم نفس الفن » La psychologie de l'art (ليست هناك فكرة شعرية في حد ذاتها **وانما هي** تصير كذلك موصوفة بأنها مغلفة بصور الخيال الرمزي) ان الشعر غناء الوجود ، وفي الغناء تحقق **غبطتنا الروحية** عن طريق الكشف عن الانسان والكون والعالم بل نحاول تفسير المعميات تفسيرات تدخل علينا بعض الطمأنينة ، فمن منا لم يتراقص لسماع قصيدة لانها تجعلنا نلمس بأيدينا مناطق روحية من الكون فالشعر اكثر التصاقا بالفلسفة انه لم يفارق قط الفلسفة بل كان يتعقبها ليجلي غوامضها ، « ويصل الى قرارة الاشياء » معبرا عن حاجة بني العصر في الانطلاق ، وكما قال احدهم بحق « الفيلسوف شاعر اخطأ موهبته » فعوضا عن ان يذهب بعيدا في تصور قضاياه اكتفى بمرحلة السؤال ، والفيلسوف يسأل اما الشاعر فيغني ، وفي الغناء من العمق ما ليس في السؤال . ويكاد بعض النقاد يقولون ان اصل الفلسفة صادر عن الشعر لانه في البدء كان الشعر الذي هو تعبير عن اكثر ما في الانسان اصالة انه حسب تعريف شلنج « اتحاد الشعور واللاشعور او اتحاد الموضوعي بالذاتي » بين الشعر والفلسفة لا اللقاء فقط بل انهما يترافدان فأحدهما يصب في الآخر ويتفاعلان تفاعلا . الشعر والفلسفة يتميزان بفضيلة الصمت ينتقل الانسان من احدهما الى الآخر كل ما يشعر برغبة في تجديد شكل نظرته الى العالم ، فعندما (تصير الفلسفة عبارة عن عالم جذب ، نحن نتوحل عنها الى الشعر ، وعندما لا يفي الشعر بحاجتنا للمعرفة . نتلاقى مع الفلسفة) الشعراء أنفسهم يقبلون ذلك الم يقبل بودلير في «زهرات الالم» عالم الحقائق الموضوعية وانطلاقا اتضحت امامه الكثير من الاشياء ، ولكن لكي نتعمق في الاشياء بدل فهمها فقط ، لابد من الشعر ، في « مذكرات رايسا » لجاك ماريتان نجد هذه الكلمة البديعة « ان الذي يريد ان يعرف اعماق الروح او روحانية الوجود ، يبدأ بالدخول الى ذاته نفسها ، وفي داخل الحياة والروح والذات نتلاقى مع الشعر » .

وإذا تصفحنا كتاب تاريخ الشعر نجد ان كل الشعراء تلمسوا طريقهم الا بداعي من الاساس الفلسفي لان القصيدة بصفة عامة تتحول عندالشعراء الاصيلين الى صدمة ميتافزيقية Choc métaphysique تنبهنا الى ما في الكون من غموض ، نعثر لدى مالارميه على نغمة تتضمن يأسا من العالم فيفقد ثقته بكل شيء

وبدفع « الفعل الشعري الى التعالى على الزمان والمكان والى تخطى الشاعر والتفوق عليه » وهو لذلك نجح فى ان يجعل التعبير الشعري يفوق فى تجريده التجريد الرياضي ، ويفوق فى عنفه عنف أخطر سلاح يمكن تصوره .

ورلكه وريث فلسفة شوبنهور ونيتشه لم يكن فى يأسه شديدا كما هو الامر لدى مالارميه فهو يقول مع نيتشه « ان تكن الحياة ألما فليس المها شهادة ضد الحياة » فقبل رلكه الحياة وأحبها لدرجة التصوف لكن هذا التصوف كان ملحدا الحادا متشكا Ambigu والاكثر من ذلك حاول فى شعره ان يعطي لعالمنا شرحا (اورفيا) لقد خلق الاها اسطوريا اطلق عليه « ارفيوس ابن ابولو ، قام ببعث الموتى وسحر الآلهة الآخرين بنغمه وصوته العذب ، وحين مات أرفيوس توزعت اعضاؤه فى الكون . فشاع الغناء فى جميع أشيائه . واصبح الوجود غناء . والغناء وجودا يشتمل على الوعي وما فوقه وما دونه « فارفيوس » رمز لكمال الانسان فى كلية عناصر ذاته ، ورمز للعنصر الالاهي فى الانسان » .

ورامبو الظلم واجه هذا العالم الحقير فدعا الى التشويش الحي وتجريد الذات من ذاتها ومواجهة الحياة بالازدراء والكبرياء ، ودعا الى **فسخ العلاقات العاطفية** كيفما كان نوعها .

ويمكن ان نستمر فى عرض هذه النماذج الى غير نهاية فنتحدث عن فروع رامبو : لافورج وسان بول رو واندري جيد وابولينير وحركة الدادائية ، كما يمكن أن نتحدث عن السريالية وحركة الصعاليك فى الولايات المتحدة وكلوديل ... الخ . كما يمكن ان نفصل القول فى زعماء الشعر الميتافزيقي كوورد زورث وشيلي وهولد رلن ونوفاليس وبليك Blake (صاحب فكرة الابدية) ونيرفال (وحدة الوجود) ولكن نكتفي بهذا القدر لانه اوضح ما اردنا شرحه وهو ان فى عمق كل شعر فلسفة متكاملة وفى عمق كل فلسفة شعر ناضج ، وقد تصور جان فال الميتافزيقا تخاطب الشعر فتقول له : «ايها الشعر . انك لعمري اخي الوفي ، فليرتفع صوتك عاليا ، ولتعلم انني انصت اليك ، فانني حينما القي اليك السمع انما اكون انا المتكلمة » .

*

لقاء الادب النثري بالفلسفة . هذا هو الجانب الثاني من الموضوع . فبعد أن اوضحنا مواقفنا من مفاهيم الفلسفة والادب وعلاقة الشعر بالفلسفة ، يأتي الآن دور الادب النثري وعلاقته بالفلسفة ، وليس من الضروري ان اثير الانتباه الى ان النثر هو الكلام المرسل من غير وزن ولا اعتبارات نظمية فهذا من قبيل الواضح ولا يستدعي منا استغراب بطل مسرحية المثري النبيل لموليير .

تزدهر حركة الادب النثري (المقالة والقصة بنوعيها القصير والطويل والمسرحية والمحاولة (Essais) باتساع نطاق التاليف والمذاهب والنقد ، وتتجمع على انجاحه عوامل الطبع والنشر والتوزيع ، والادب النثري كما سبق ان اشرنا الى ذلك هو نتاج انساني لابراز فاعلية الانسان وعلاقته وتبرير نظام حياته ومدركاته وبذلك يمكن أن نتحدث عنه كنتيجة لعنصرين اساسيين الاسلوب والمحتوى ، الشكل والمضمون . اما الاسلوب فهو الطريقة اللغوية والنسق الذي يكشف به الاديب عن سر الحياة والاندماج فيها وقد اكد شبنجلر « ان لكل مرحلة من عمر الحضارة اسلوبا يبتدعه الفنان ، والاسلوب نظرة فى الوجود وطريقة فى التعبير عنها » ويؤكد بروست من جهة ثانية ان : « الاسلوب بالنسبة له وبالنسبة للرسام هو طريقة فى رؤية العالم اكثر منه تقنية » انه يتيح لنا ان ننظر اوكما يقول ييف بران يعطينا الرؤية Donner à voir مغلفة فى صيغة كفيلة بنقل العالم كما هو ، يصخبه بروعته ببؤسه .

اما الادب النثري كمضمون فالاديب فى عمله يستوجب العالم كما يقول « كافكا » ويصر العالم للاديب بواقعه ، بعمود فقره الذي يشكل اساس حوادثه ، والاديب يترجم ذلك لنا بأفكار سلسة بليغة بحيث يصعب علينا ان نفرق بين كينونتنا وبين العالم الذي يكشفه ويخلقه الادب ، وهذا المضمون يجعل هذا الميدان الفكري يستطيع اشياء كثيرة من بينها على حد تعبير جون بيير فاي التمهيد لتغيير الموقف الانساني ، اذا كان شخص ما على غير هدى أو اذا كان مجتمع ما يعيش فى ظروف لا تتناسب والكرامة الانسانية ، ويقترح الادب بالاضافة الى هذا وذاك الشكل الذي يجب أن نعيش به ، وكم من اديب امدنا بشكل مضبوط وناهيكم بدافيد هوبرت لورانس الذي نصحنا بأن « نعيش على الطبيعة ، حتى يستطيع الانسان اطلاق العنان لعواطفه وانفعالاته ، وتعدي القواعد التي يفرضها على سلوك الانسان وحياته ، وكم من ادب اثر تاثيرات سلبية على بعض المجتمعات اذا كان ادبا سلبيا فارا من وجه الالتزامات الصريحة والمواقف

الواضحة اما اذا كان صريحا واصيلا فانه يستطيع اشياء كثيرة . لقد قال : « فرويد » بكل تواضع (ان دوستويفسكي اول من علمه شيئا ما عن النفس) فالادب والفلسفة « منحدران لارتفاع واحد » هو هذه القوة على التأثير . فاللتقايين الادب النثري والفلسفة لقاء في القمة والقمة هو الانسان وحدود معرفة الانسان.

لقد كانت لقاءات الادب بالفلسفة تأخذ اشكالا عديدة فالحكمة الصينية والهندية والفارسية القديمة هي آداب وامثال تغني الخيال بقدر ما تغني العقل ، والادب اليوناني اهتم بمشكلة القدر وآداب العصور الوسطى هي عبارة عن نتاج يجمع بين تيارات الاعتقاد والفلسفة وتيارات الابداع الادبي ناهيكم بالآداب العربية وآداب الكتاب المسيحيين .

اما لقاء الادب المعاصر بالفلسفة فهو اوسع لقاء ممكن لانه يتخذ أصولا عميقة مستمدة من اتجاهات ادبية او فلسفية واتجاهات ادبية فلسفية في نفس الوقت . في الفكر المعاصر لم يعد الادب يتضمن تأملات فلسفية او الفلسفة تأخذ صيغا ادبية ، بل اندمج الادب بالفلسفة ووحدا صفوفهما في حلف متين لاعلان كرامة الانسان .

فاول مظهر من هذا اللقاء ، هو ما كشفت عنه فلسفة هنري برغسون .

ان اللغة عند الفيلسوف تميت الاصالة والعمق الانسانيين ، وينصح برغسون ان تعوض بالصور التي هي من اختصاص الادب ، لانها اقرب الى التعبير عن الانا العميق الذي تتحقق فيه الحرية ، ويباشر الحدس فعاليته . ومعظم اعمال برغسون اخذت شكل التعبير الادبي من صور واخلية رائعة .

فاذن ، لدى برغسون لا يمكن للفلسفة ان تكون اصيلة وتترجم عن الانا العميق الا اذا استعملت وسيلة الادب . فلتناول قضايا الحرية والمصير والموت والله، اللغة الميتة ، لغة التأمل العقلي الصرف لا تفيد ولا تحبب الى الناس عالم الفلسفة الفني . وتعثر في الاتجاهات المعاصرة على فيلسوف نهج نفس السبيل الا وهو بروست صاحب « البحث عن الزمن الضائع » الذي عرض اتجاهه الفلسفي في كتابات تجمع بين عمق الفلسفة وجمال التعبير الادبي .

المظهر الثاني للقاء الادب بالفلسفة هو الآداب المعتمدة على تجارب فلسفية والفلسفات القائمة على تجارب ادبية . مع الاحتفاظ على جوهر اساسي هو المذهبية اعني بذلك الادب الوجودي وادب اللا معقول ومحاولات الاتجاه الجديد « البنيوية » واتجاه اللافلسفة في الادب الامريكي المعاصر ، وهذا المظهر يتلخص في ان معظم المفكرين في العصر الحاضر قد عقدوا قرانا مبتكرا بين الادب والفلسفة بجعل النماذج الادبية تتضمن في مجموعها ملامح الفكرة الفلسفية فلكي اعبر عن الحرية اكتب مسرحية تؤدي احداثها وصراع شخصياتها الى توضيح وجهة نظر الفيلسوف في الحرية كمسرحية « الذباب » لجان بول سارتر ، ولكي ابين ازمة اللغة والتعبير اللغوي اكتب ادبا لامعقول ، فصورة المحو التي تبدو من أن اللغة تقضي على المفاهيم في حين انها هي خالقة الوجود ، يعبر عنها في بناء ادبي مسرحي في جل اعمال بكيت وبريشت وغيرهما ، لقد أوضح الاتجاه اللامعقول في الفكر المعاصر ان الانسان المعاصر متأخر في ميدان تسمية الاشياء وبذلك فوجوده مفتقر الى عدة اشياء خارجة عن نطاق معرفته لانها غير مسماة وفي هذا الموضوع بالذات كتب (بكيت) مسرحية L'innommable

ونجد ان اصحاب اتجاه البنيوية Structuralisme يبحثون عن اصول الكلام كرموز لمركبات الاشياء وموجوداتها منذ العقلية البدائية الاسطورية ، وفي هذا المجال تبحث النصوص الادبية وتبحث صوتية الرمز ابتداء من الرموز الحيوانية ، ومن قبيل الاخبار القول بأن من المهتمين بهذا الموضوع ليفي ستراوس صاحب كتاب (النملة وورق التبغ) . ولا ينبغي ان نغفل وجود اتجاه اللافلسفة في الادب الامريكي المعاصر اي جعل الادب يعكس الواقع كما هو دون تعقيبات واضافات ، ومن ابرز الاتجاهات اللافلسفية « مدرسة الصعاليك » ادب ال Béat الذي يأخذ اصوله الموسيقية والتعبيرية من مدارس الجاز المعاصرة .

المظهر الثالث من مظاهر لقاء الادب والفلسفة في الفكر المعاصر هو الاهتمام بنفس المواضيع الرئيسية التي تشغل بال الانسان والطريقة الجدلية التي تدرس بها هذه المواضيع . فالمعروف ان للتاريخ الحديث نكبات بقدر ما فيه من حسنات ، واول نكباته ان التاريخ بدا يخرج من يد الانسان ان لم نقل مع تشارلز فرانكل انه خرج فعلا . وهذه بالضبط هي ازمة الانسان الحديث وهذه ظاهرة خلقت الشعور باليأس والقلق بين عالمين عالم تكونه وعالم تهفو اليه بين عالمين

، واقعي وخيالي ، ولهذا فالاسئلة التي تطرح على الانسان حاليا هي كينونته وقدرته في العالم ومشاكل الزمان واللغة والحرية . اننا نعيش زمانا ضعفت فيه ارادتنا تجاه **ما نعيش وما نعرف وما نعمل** وخيبنا امل « بروميثيوس » الذي اعطانا سر النار او سر المعرفة وحققنا مثلا معاصرا جعل العلاقات الانسانية يسودها البغض والحقد ، وليس بامكان اية وسيلة ان تندد بهذا التحول الخطير الا التعاون الوثيق بين الادب النثري والفلسفة .

حتى الشعر نفسه ـ كما قال جاك مارتيان ـ لا يستطيع مواجهة ظلمات العصر . فعليه اذن « ان يصمت لانه لا يتوفر على الكلمات التي تعبر عن **الواقع** الخاص بزماننا » اذا اراد ان يكون في مستوى الزمان عليه « ان يطلق الورود والالعاب والنغم والبلاغة والعظمة ويندمج مع شرور العصر » .

ان ملكات ووسائل وادوات الفكر كفيلة بتفهم عالم التجربة الانسانية ، **فحتى عزلة جيلنا المعاصر** يجب ان ناخذها ماخذ التجربة وان نبررها في اعين الانسان المعاصر حتى لا تتحول العزلة الى سلم قاتل وتقضي على الامل الطيب في الانسان ، اننا نشاهد على حد تعبير ـ روبير كانتريس ـ فترة تحول وتغيير فالقيم القديمة تنهار عند الجيل الحاضر ، فمهمة الادب والفلسفة متحدين هي التعبير عن صراع الانسان المعاصر من اجل ان يبقى العالم انسانيا ولو بلغ بنا التقدم ما بلغ . وبقدر ما تتركز هذه المهمة الملقاة على عاتق الادب والفلسفة بقدر ما تصعب **مهمة النقد** .

ماذا يستطيع الادب والفلسفة في الفكر المعاصر؟ انهما يستطيعان الكثير لانقاذ وضع العالم الذي تتقاسمه الاهواء العلمية والتقنية شريطة ان تصدق « الكلمة » .

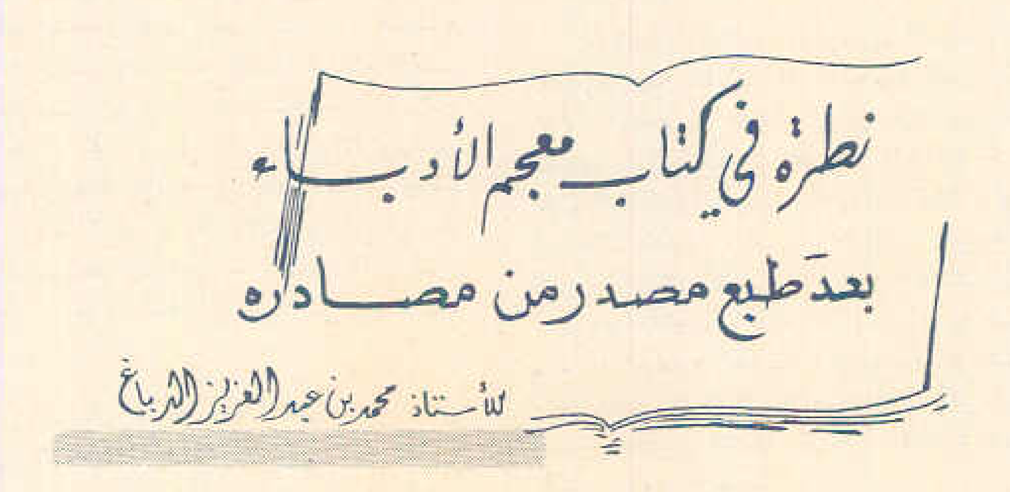
الرباط ــ محمد مصطفى القباج

لكــــن اللجـــــام لـــــي ..

قال ابو عبيدة :

أجريت الخيل ، فطلع منها فرس سابق ، فجعل رجل من النظارة ، يكبر ويثب من الفرح . فقال له رجل الى جانبه : يا فتى ، هذا الفرس فرسك ؟

قال : لا ، ولكن اللجام لي ..



- 6 -

26 ـ لقد اهتم الحموي في كتابه بالادباء والعلماء على اختلاف اقاليمهم وهو من حين لآخر يذكر بعض الاعلام الافذاذ الذين ازدهر بهم اقليم الاندلس ، وقد تقدم لنا الحديث عن ابن عبد ربه وعن ابن فرج وعن الحميري وعن الفقيه المحدث الحافظ بقي بن مخلد .

اما الان فقد جاء دور ابي عبدة حسان بن مالك القروي (1) ذلك الاديب الذي عاش في حقبة تعد من دق الحقب التي مرت على بلاد الاندلس فهو قد ذاق حلاوة النعيم واطمئنان الاستقرار ثم انقلب الوضع واذاقته الفتنة البربرية من شواظها والتحم بها واضطر الى النزوح عن قرطبة اياما هاجت فيها شجونه وتحركت نوازعه وفاضت دموعه الما وحسرة واظهر تحسره في ابيات شعرية رائعة تذكرنا بلوعة الحطيئة عندما كان يعتذر لعمر ويتذكر اطفاله المهملين .

قال حسان في هذه الغربة :

سقى بلدا اهلي بـه واقاربـي
غواد بأثقال الحيا وروائـح
وهبت عليهم بالعشي وبالضحى
نواسم من برد الظلال فوائـح
تذكرتهم والنأي قد حال دونهم
ولم انس لكن اوقد القلب لافـح
ومما شجاني هاتف فوق ايكـة
ينوح ولم يعلم بما هـو نائـح
فقلت اتئد يكفيك انـي نـازح
وان الذي اهواه عنـي نـازح
ولي صبية مثل الفـراخ بقفـرة
مضى حاضناها فاطحتها الطوائح
اذا عصفت ريح اقامت رؤوسهـا
فلم تلقهـا الا طيـور بـوارح

والادب الاندلسي قد تأثر بهذه الفاجعة التي اطاحت بالحكم الاموي ومهدت السبيل للفتن المتوالية التي تعاقبت على بلاد الاندلس بعد ذلك واصبح ملوك الطوائف يتحكمون في اجزاء البلاد .

ولقد سبق لنا أن تحدثنا عن هذه الفتنة البربرية التي كانت في تمام المائة الرابعة ، ولكن الحديث عن هذه الفتنة لا يكفي فيه التلميح والاختصار بل يحتاج الى التحليل والتبيين وابراز العوامل التي ادت الى اشعال نار الفتنة بين قوم كانوا راضين بالحكم الاموي مستفيدين من وجوده .

الحقيقة تدعو الى الاعتزاز بالفضل الكبير الذي ادته الدولة الاموية بالاندلس الى العلم والادب خصوصا أيام الازدهار في عهد عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم

(1) معجم الادباء الجزء السابع صفحة 221 ، وتوجد ترجمته بجذوة المقتبس للحميدي صفحة 183 .

وارسل اليه ايضا فقال :

اذا غبت لم احضر وان جئت لم اسل
فسيان مني مشهد ومغيب
فاصبحت تيميا وما كنت قبلها
لتيم ولكن الشبيه نسيب

يشير الى قول الشاعر :

ويقضى الامر الامر حين تغيب تيم
ولا يستاذنون وهم شهود

بالاطلاع على ما سبق تبين لنا ان الحقبة التي عاش فيها حسان بن مالك كانت مرتبطة بالفتنة البربرية وما بعدها من حوادث . وحيث انه كان وزيرا للمستظهر فقد تبين انه كان حيا سنة 414 ه .

لهذا لا يعقل ان يقال عنه انه توفي سنة 320 ه فقد جاء في كتاب معجم الادباء انه مات عن سن عالية قبل : سنة عشرين وثلاثمائة . وهو تحريف لما طبع في كتاب الجذوة من انه مات قبل سنة عشرين وثلاثمائة . وكلاهما غير معقول ولا منسجم مع سياق الموضوع .

ولا شك ان هذا الخطا لم يات من المؤلف الاصلي لانه عالم بالموضوع علما واسعا . بل هو الذي مهد المعرفة لمن بعده في الاطلاع على تاريخ الاندلس في هذه الحقبة . وانما الغالب انه وقع سهو في النسخ ولم يتنبه كل من مصحح معجم الادباء ومصحح جذوة المقتبس اليه مع وضوحه . وسبحان الذي لا تخفى عليه خافية .

ولعل الاصل الذي كان في الكتاب يشير الى انه توفي قبل سنة عشرين واربعمائة عوض وثلاثمائة . وذلك ما يتناسب مع الوقائع وما يتفق مع كتب التراجم التي تحدثت عنه . فمن الواضح ان حسان بن مالك لم يكن نكرة بين الأدباء ولا بمجهول عند كتاب التراجم فقد جاء في كتاب الصلة انه روى عن ابي بكر الزبيدي وابي عثمان بن القزاز وغيرهما . وكان من جلة العلماء وادبائهم . روى عنه ابو مروان الطبني وقال توفي سنة ست عشرة واربعمائة 416 ه ولعل هذا هو الصواب الملائم لسياق الاحداث .

26 ـ في كتاب معجم الادباء خطا واضح وقع عند تصفيف الكتاب ولم يتنبه اليه المصحح . فقد قال (2)

وكتب ابو عبده للمستظهر عبد الرحمن بن هشام ابن عبد الجبار بن عبد الرحمن **التاجر** المسمى بالخلافة ايام الفتنة . وهو انما اراد ان يقول بن عبد الرحمن **الناصر** . اذ لا معنى للفظة التاجر هنا . وانما هو خطا فقط . وقع عند تنضيد الحروف وتهيئتها للطبع .

27 ـ لقد تقدم لنا ان حسان بن النعمان كتب الى المستظهر يعاتبه بقوله :

اذا غبت لم احضر وان جئت **لم اسل**
فسيان مني مشهد ومغيب

ولكن هذا البيت في كتاب الجذوة المطبوع . ورد بعدم تخفيف الهمزة فقال :

اذا غبت لم احضر وان جئت **لم اسأل**
فسيان مني مشهد ومغيب

ومن يوازن بين الروايتين يجد ان الرواية الصحيحة المنسجمة مع علم العروض لا تتلاءم الا مع التخفيف . لان هذا البيت من البحر الطويل .

وهذا البحر له عروض واحدة واضرب ثلاثة .

اما العروض فمقبوضة دائما الا حين التصريع وذلك حينما يقع تناسب بين العروض والضرب في مطلع القصيدة حين يتشابه رويها بالحرف الاخير من صدر البيت . وقد يسمح بتعدد مواضع التصريع حين الانتقال في القصيدة من غرض الى آخر اشعارا بهذا الانتقال .

وعليه فلا يمكن ان ياتي العروض تامة في بحر الطويل الا في مناسبة التصريع . وذلك لا تاتي مطلقا الا اذا كان الضرب تاما . اما اذا كان الضرب مقبوضا او كان محذوفا فيمتنع آنذاك اتمام العروض .

ومن المعروف لدى المهتمين بعلم العروض ان القبض في عروض الطويل زحاف يعامل معاملة العلة بحيث يصبح تغييرا لازما .

اذا علمنا ذلك ظهر لنا تعذر اتمام العروض في هذا البيت لانه من النوع الثالث ذي العروض المقبوضة والضرب المحذوف . ولا باس ان اذكر بعض القراء بان المراد بالقبض هو حذف ثاني السبب الخفيف حينما يكون هو الخامس في التفعيلة بحيث تتحول تفعيلة

1) الصلة لابن بشكوال . الجزء الاول . صفحة 153 .
2) معجم الادباء . الجزء السابع . صفحة 222 .

عبد الرحمن الناصر الذي بويع من طرف البربر سنة 400 هجرية . فتوجه الى قرطبة واستطاع التغلب على محمد بن هشام والقضاء على القرطبيين الذين حاولوا مواجهته . بل قتل منهم ما ينيف على عشرين الفا . وهذه الوقعة هي الكارثة التي تعرف بالفتنة البربرية .

لقد استطاع محمد بن هشام رغم ذلك ان يفر وان يعود الى قرطبة بعد ثلاث سنوات . ولكنه لم يستطع الاستمرار على مواصلة الحرب . فقد اغتاله بعض عبيده وخلا الجو آنذاك لسليمان ابن الحكم فقرر الاستعانة بجنوده وجعل منهم ولاة على الاقاليم التي اصبحت تحت نفوذه . فولي علي بن حمود بن ميمون الادريسي على طنجة وسبتة . وولى اخاه القاسم ابن حمود على الجزيرة الخضراء . وفرق بعض جنوده على اقاليم اخرى .

ولكن هذه العملية ادت الى ضعفه واستبداد بعض ولاته بالامر . فقد زحف علي بن حمود من سبتة الى مالقة . ثم توجه الى قرطبة . وواجه سليمان بالتمرد . واستطاع ان يتغلب عليه ويقتله شر قتلة سنة 407 هـ واعلن امام الملا بانه الخليفة الشرعي للبلاد . وانه كان قد اكتسب ولاية العهد من الخليفة الاموي هشام المؤيد قبل موته . واستمر في الحكم الى ان قتله صقالبته سنة 408 هـ فتولى الامر من بعده اخوه القاسم . ولكن هذا الاخير لم يستقر في حكمه آمنا . بل قامت ضده ثورة من ابن اخيه يحيى بن على ثم قامت ثورة اخرى من قبل القرطبيين الذين ارادوا ارجاع الحكم الى الامويين . فاتفقوا على مبايعة عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر فبايعوه بالخلافة لثلاث عشرة ليلة خلت من رمضان سنة 414 هـ وتلقب بالمستظهر . ولكنه لم يبق في الحكم كثيرا فقد ثار عليه محمد بن عبد الرحمن بن هشام(1) وازاحه عن الملك . بل قتله في اواخر ذي القعدة من السنة نفسها .

واستمر الملك الجديد في عمله الى ان تغلب عليه يحيى بن علي الحسني . فاضطر الى الفرار . ولكنه لم ينج من القتل بعد ذلك .

وقامت دعوة اخرى في قرطبة ادت الى ابعاد الحموديين عنها وبيعة شخص آخر من الاسرة الاموية هو ابو بكر هشام بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر . فقد بويع في شهر ربيع الاول سنة ثمان عشرة واربعمائة . ولكنه لم يستمر في حكمه الا سنوات قليلة . اذ تغلب على الامر جهور بن محمد احد الوزراء المشهورين في الدولة العامرية . وانقضى بذلك الحكم الاموي في الاندلس . واصبح الامر عمليا في ايدي ملوك الطوائف .

من هذه النبذة السابقة نستطيع التعرف على الفتن التي مرت ببلاد الاندلس في هاته الحقبة المضطربة من حياتها . ومن الطبيعي ان هذه الانقلابات السياسية ادت الى تحويل جذري في المفاهيم العامة المتصلة باصول الحكم . فكم من مغمور اصبح سيدا . وكم من سيد صار مسودا . وكم من شخص اضطر في امره واحتار . فلم يدر اي الطرق يختار . وكم من شخص شارك في الانقلابات . ولم يجاز بما كان يريد ان يجازى به . وكم من اديب ارتقى الى مجلس الوزراء . ولكنه حين مباشرة العمل لم يرض ولم يشعر بالاطمئنان . ومن بين هذا النوع الاخير اديبنا الذي نتحدث عنه وهو حسان بن مالك اللغوي .

لقد اصبح وزيرا للملك عبد الرحمن بن هشام الملقب بالمستظهر الذي تقدم لنا الحديث عنه والذي قلنا انه لم يستمر في الحكم الا قليلا بحيث لم يصل الى الاشهر الثلاثة .

ولما تقلد الوزارة احس بملل في نفسه ازاء عمله الجديد لانه لم يشعر فيه بالكرامة التي كان يرجوها واضطر الى ان يعاتب المستظهر في مناسبات شتى من ذلك قوله : (2)

اذا كان مثلي لا يجازى بصبره
فمن ذا الذي بعدي يجازى على الصبر
وكم مشهد حاربت فيه عدوكم
واملت في حربي له راحة الدهر
اخوض الى اعدائكم لجج الوغى
واسري اليهم حيث لا احد يسري
وقد نام عنهم كل مستبطن الحشى
أكول الى الممسى نؤوم الى الظهر
فما بال هذا الامر اصبح ضائعا
وانت امين الله تحكم في الامر

---

1) محمد بن عبد الرحمن بن هشام : هذا هو الخليفة الاموى الملقب بالمستكفي . وهو ابو ولادة الاديبة الشهيرة التي خلدها ابن زيدون في شعره .
2) نفح الطيب للمقري . الطبعة المجزأة على عشر . الجزء الاول . صفحة 412 .

المستنصر (1) . ففي عهد هذين الخليفتين وفد عدد كبير من الادباء والعلماء الشرقيين واثروا في الوضع الادبي كما وقع اهتمام عظيم بالعلم ادى الى جمع الكتب القيمة النفيسة وتشجيع العلماء بل بلغ الامر بالخليفة عبد الرحمن الى ربط علاقة ثقافية بينه وبين امبراطور بيزنطة ، فقد ارسل الامبراطور البيزنطي قسطنطين السابع بعثة ثقافية الى بلاد الاندلس وانفذ كتبا علمية من بينها كتاب في النباتات ، بل ارسل بعد ذلك راهبا مسيحيا هو نيقولاس (Nicolas) قام بترجمة الكتاب وبتعليم اللغة اليونانية لمن يحتاج اليها (2) .

وهذا ان دل على شيء فانما يدل على مدى الاهتمام الذي كان يوليه الخلفاء الامويون للعلم عموما سواء كان عن مصدر عربي اسلامي او عن مصدر آخر ، لان الغاية كانت تهدف الى رفع مستوى البيئة العلمية ببلاد الاندلس .

ولكن بمجرد موت الحكم اضطرب حبل الدولة وتوجهت اطماع المنصور بن ابي عامر الى الحكم والاستبداد ، فقد عمد الى جعل الولاية لهشام بن الحكم ولقبه بالمؤيد ، وكان الخليفة الجديد صغيرا لا يتجاوز السنة العاشرة فغلب على امره ولم يكن له من الامر شيء بل حجبه المنصور عن رعيته وامر خطباء المساجد ان يضيفوا اسمه الى اسم الخليفة ، وكان ذا دهاء متجاوز الحد ، فاستطاع ان يدير دفة الحكم في بلاد الاندلس وان يهيء المؤامرات ضد منافسيه وان يستعين ببعضهم على بعض حتى خلا له الجو واصبح الحاكم المطلق الذي ليس لحكمه نقض او رفض .

وافاض على الادباء والشعراء من امواله وعطاياه وشجع ذوي المواهب على التاليف والانتاج ، وكان ذا ولع بالطبيعة ، فازدهر الشعر الطبيعي بسببه وتلونت التشبيهات الادبية ، وتعددت الصور ، ونما الخيال ، بل اننا نعلم ان المنصور كان مولعا بكتب المنادمة ، يرفه بها عن نفسه ويجعلها موئلا للاستراحة من اعبائه الكبرى ، وكان يقرا منها كتابا الفه ــ ايام الرشيد العباسي ــ ابو السري سهل بن أبي غالب (3) ولم يذكر الحموي اسم الكتاب .

ولاحظ الادباء الاندلسيون الاهتمام الذي يوليه المنصور لهذا الكتاب فلم يطمئنوا لانهم كانوا يريدون ابراز الشخصية الاندلسية في مؤلفاتهم على اختلاف انواعها ، ولا يرضون بالمضايقة الثقافية التي كانت تغزو الخلفاء والحجاب والوزراء ، لهذا نرى ان حسان ابن مالك اللغوي ، المترجم له الان ، حينما دخل على المنصور بن ابي عامر وجده معجبا بكتاب ابي السري عمل على معارضته فالف كتابا شبيها به ضمنه ثلاثمائة بيت من اشعاره الخاصة ، وسماه : (كتاب ربيعة وعقيل) ، وقدمه الى المنصور في مجلس المنادمة بعد اسبوع فقط في نسخة مصورة جذابة ، فاعجب بها المنصور ووصله عليها .

ولما مات المنصور بن ابي عامر سنة 394 هـ تولى الحجابة من بعده ابنه عبد الملك المظفر ، وظل في الحجابة الى ان توفي سنة 398 هـ ، وقيل سنة 399هـ ثم تولى من بعده اخوه عبد الرحمن ابن ابي عامر الذي تلقب بالناصر . ولكن هذا العامري تجاوز حد الاستبداد ، واراد ان يرتفع من حجابة الدولة الى رئاستها ، فاكره الخليفة هشاما على ان يكتب له ولاية العهد من بعده ، وبذلك ستنتقل الخلافة من ايدي الامويين لتصبح في أيدي العامريين .

ولما ذاع الخبر وانتشر غضبت اسرة الامويين وغضب القرشيون معهم ، لانهم لم يريدوا ان تخرج الخلافة من ايديهم بهذه الطريقة الاستبدادية ، وتذكروا الخلاف القديم الذي كان بين اليمنيين والمضريين ،

* * *

لهذا قامت ثورة ادت الى ابعاد الخليفة هشام عن الحكم وقتل عبد الرحمن العامري .

تزعم هذه الثورة محمد بن هشام بن عبد الجبار الملقب بالمهدي ، لكن ما لبث ان قام اموي آخر يريد الحكم لنفسه ، انه سليمان بن الحكم بن سليمان بن

---

1) تولى الخلافة عبد الرحمن الناصر خمسين سنة ، من سنة (300 هـ الى سنة 350) ، اما ابنه الحكم فقد تولى الخلافة سنة 350 هـ وتوفي سنة 366 هـ .

2) عن كتاب علوم اليونان وسبل انتقالها الى العرب تاليف : د . لاسي او ليري ، ترجمة الدكتور وهيب كامل ، ومراجعة زكي علي ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر 1962 ، صفحة 234 .

3) اظن انه يعني بهذا الاسم : سهل بن هرون صاحب الكتب القصصية الشهيرة الذي الف كتاب « ثعلة وعفرة » في معارضة كتاب « كليلة ودمنة » ولعله الكتاب المقصود الذي كان يعجب به المنصور بن ابي عامر

مفاعيلن الى مفاعلن ، او تتحول تفعيلية فعولن الى فعول . واما الحذف في الاصطلاح العروضي فهو حذف سبب خفيف من التفعيلة فتصير مفاعيلن فعولن .

ومما يجب ان ننبه عليه في هذا البيت زيادة على امتناع ابراد عروضه تامة انه ورد مد قبل رويه وهذه ظاهرة توجد في الشكل الثالث من البحر الطويل وتسمى عند علماء القافية بالردف ، وقد قال الاخفش بحسنها ، ولكن الخليل بن احمد قال بوجوبها بحيث لو اطلعنا على الشعر العربي لوجدنا أن الشعراء لا يغفلونها (1) .

وهذا يدل على الدقة التي كانت للشعر العربي بحيث لما احس العرب بحذف الضرب خشوا من عدم وجود الانسجام بين الشطر الاول والشطر الثاني فجعلوا في الشطر الثاني قبل الروي مدا يعين على مد النفس وتمديد الصوت واعانة المنشدين والمغنين .

ومن هذا النوع قول السموال :

اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه
فكل رداء يرتديه جميل

وقول جميل بثينة :

يقولون لي أهلا وسهلا ومرحبا
ولو ظفروا بي خاليا قتلوني

وقول ابي فراس الحمداني (2) :

أكل خليل انكد غير منصف
وكل زمان بالكرام بخيل

نعم دعت الدنيا الى الغدر دعوة
اجاب اليها عالم وجهول

وفارق عمرو بن الزبير شقيقه
وخلى امير المؤمنين عقيل

فيا حسرتي من لي بخل موافق
اقول بشجوى مرة ويقول

وفي الشعر العربي استدلالات كثيرة جدا وهي كلها تؤيد ما ذكرناه من تصويب رواية التخفيف على الرواية الاخرى وتصحيح ما في كتاب معجم الادباء على ما في كتاب جذوة المقتبس والله اعلم .

فاس : محمد بن عبد العزيز الدباغ

---

1) حاشية الدمنهوري على متن الكافي في علمي العروض والقوافي ، الطبعة الاولى ، صفحة 43 .
2) المرشد الى فهم أشعار العرب للدكتور عبد الله الطيب المجدوب ، الجزء الاول ، صفحة 386 .



تقديـــــم :

رغم قوة الحزب الصهيوني العالمي وجبروتـه واستيلائه على كثير من وسائل الدعايـة والاعـلام ؛ وسيطرته على الالة السياسية والاقتصادية في كثير من عواصم اوربا الغربية ، فان هناك جماعة من اليهــود توفرت لديهم الشجاعة الكافية لمناوأتـه وتحـدي سطوته . ونذكر منهم على سبيل المثال « مينوحن » والد الموسيقي الشهير « يهودي مينوحن » والكاتـب الفيلسوف والطبيب النفسي « لينتال » من الذيـن هاجموا الفلسفة الصهيونية وراوا انها ذاهبـة بهم الى كارثة اخرى من الكوارث التي اصابتهم عبر الزمن .

و « مــــارك براهـــام » Mark Braham احـد هؤلاء . وهم ينتسبون الى جماعة تسمى « المستشارية الامريكية للديانة اليهودية » مركزها في نيويورك (2) ، وتوجد لها فروع في جميع المدن الكبرى التي بها جالية يهودية كبيرة .

وتصدر الجمعية مجلة دورية لمناقشة معتقداتها وتقديم الحلول لمشاكل اليهود الدينية والسياسية التي خلقتها التطورات المفاجئة في العصور الحديثة بعنوان : « قضايـــا » .

وهذا موضوع تحليلي كتبـه « مارك براهـام » للمجلة يعبر عن وجهة النظر اليهودية لا الصهيونية .

وينبغي ان انذر القارىء ان **هذه ليست وجهـة نظر عربية** . فقد يفاجأ ان يرى ان الكاتب في اقتراحات حلوله لا يفكر ان اليهود جميعا سيغادرون فلسطيـن ويدفعون المفاتيح لسكانها الشرعيين بل يبني حلولـه وبعضها ـ طوباوي محض ـ على الوضع القائم ، وذلك بمحاولة ارضاء الجانبين الامر الذي في الغالب ما يؤدي الى اسخاطهما معا .

والسبب الذي دعاني الى ترجمة المقال هو الآراء الجديدة التي يعتنقها المثقفون والمتدينون اليهـود عن الصهيونية التي جرفت الاغلبية في غمـرة العواطـف الملتهبة ، وبنت جدلها على منطق القلب لا العقل .

وهذا نص المقال :

المعضل العربي الاسـرائيلي في عامه العشرين الان، يكون تهديدا كبيرا ومستمرا لسلام العالم . والسـؤال

---

1) The Gordian Knot عقدة غورديوس في اساطير الاغريق هي عقدة صنعها « غورديوس » اله « فريجيا» الاسطوري وأعلن انها ستحل فقط لمن سيحكم آسيا . ويحكى ان الاسكندر المقدوني قطعها بسيفه . ويعني بها هنا المشكل الذي لا حل له .

2) American Counsel for Judaism : 201 E. 57 St. N.-Y. 10.022

الذي يجب ان يكون في ذهن جميع المفكرين من ذوي النوايا الحسنة مهما اختلفت اوطانهم واديانهم هو هل من الممكن انسانيا وجود حل للمشكل يرضي اليهودي والعربي معا ؟ اعتقد ان هناك حلا يعرض نفسه كضرورة منطقية حالما تطرح المشاكل وتحدد بوضوح .

لما ذا اذن لم يات احد بالحل في مدى السنوات التسع عشرة الماضية ؟ السبب ان المشكل لم يعرض قط بطريقة مناسبة ، والمواضيع لم تحدد بالشكل المطلوب . ليست هناك مشكلة سياسية في العالم وصلت الى الغموض الذي وصلت اليه هذه بما اكتنفها من عواطف متوترة — دينية ، سياسية وعنصرية . وقد تحجر الموقف العربي بمرارة الهزيمة العسكرية ومهانتها واستعملت شكاوى اللاجئين العرب سلاحا سياسيا ، ونظر الشيوعيون الى الصهيونية على انها مؤامرة راسمالية . وتاثر حكم الغرب المسيحي بعقدة الاثم حيال اليهود ، وانتشى اليهود، وهم قريبون من الكارثة التي اصابتهم على يد النازيين ، بمعجزة اقامة دولة بعد الفي سنة ، فعانوا من فقدان حاسة النقد الذاتي التي هي عادة كبيرة النمو عندهم .

وجه مشكلة اليهود الحقيقي هو الذي لا يواجهونه ابدا . الاغلبية اليهودية في العالم التي تعتقد نفسها صهيونية ليست بصهيونية بالمرة ، حسب التعريف الصحيح الوحيد للكلمة : (الهجرة لاسرائيل) بما انهم لا يرغبون في الهجرة لاسرائيل . على العرب ان يفهموا هذا . وكل زعيم يهودي مخلص يعترف بذلك . اغلب الصهيونيين يعتبرون الاستقرار باسرائيل من البعد بحيث لا يستحق ان يعطي لحظة تفكير جدي . ومن المهم ان نلاحظ على الهامش — رغم ان الاحصائيات صعب الحصول عليها — ان ابناء زعماء الصهيونية في جميع انحاء العالم يتزوجون خارج الديانة اليهودية ويتطبعون بطبيعة بلادهم الاصلية . على غرار ان لم يكن اكثر من غير الصهيونيين من اليهود . الهجرة اليهودية من الغرب وصلت حد الركود . ومن الناحية الاخرى ، هناك سيل مستمر من يهود اسرائيل يهاجرون لبلاد الغرب . ولولا العقبات الموضوعة في طريق هذه الهجرة لزادت اكثر .

اولئك اليهود الذين يسمون انفسهم «صهيونيين» ويساندون اسرائيل ماديا ينظرون اليها على انها «عقد تامين » . كل يهودي يعرف تاريخ اليهود كفاية ليدرك ان منذ 3 500 سنة لم تكن هناك فترة في بلد او امبراطورية حيث لم يستعبدوا او يضطهدوا ، او يطردوا او تحدد سكناهم في اقذر الامكنة او يعدموا عن آخرهم . لذلك كانت الصهيونية كحركة سياسية عالمية قادرة على البقاء فقط لبقايا اللاسامية ، وحين يهاجم العرب الصهيونية فهم بذلك يساعدون على تقوية ما يريدون تحطيمه . لان الدعاية ضد الصهيونية اصبحت دعاية ضد اليهود حسب ما يعتقده ملايين اليهود ، ويظهر ان الحجج الفكرية لا تستطيع التفرقة بين اليهود واسرائيل .

لو ان « اللاسامية » « Anti Simitism » اختفت، والضغط العربي على اسرائيل زال ، لماتت الصهيونية كحركة سياسية عالمية بالتدريج . ولخسرت اسرائيل السند المادي والمعنوي الذي تجده في الاحدى عشر مليون يهودي في العالم ، الذين يساعدون تلك الدولة بطريقة او باخرى . واحدى نتائج انهيار الحركة الصهيونية كقوة سياسية سيكون توسيع الفجوة الثقافية بين يهود الغرب ويهود اسرائيل — الفجوة التي هي آخذة في الاتساع على اي حال ، اذ يتخلص اليهودي الغربي من يهوديته ، بينما يكتشف يهودي اسرائيل ثقافة جديدة هي حصيلة اندماج الثقافات المختلفة التي بلورت الوطن الاسرائيلي . وتصبح اسرائيل بسرعة دولة ليفانتية شرقية ، يهودية فقط بنفس المعنى الذي تسمى به امريكا مسيحية وهي ليست كذلك . وتلك طريقة مهمة لتحطيم الصهيونية السياسية ، و « الدولة اليهودية » .

لذلك تكون اهم طريقة لتحطيم الصهيونية السياسية و « الدولة اليهودية » التي هي طبيعة اسرائيل ، هي ان يترك اليهود واسرائيل لحالهم . وليفهم العربي ذلك

* * *

وبصرف النظر عن ان اليهود الذين يعتبرون انفسهم صهاينة دون ان يطبقوا المبادىء التي تكون الصهيوني ، فاليهودي العالمي لم يقم بواجبه الديني الذي تفرضه عليه الصهيونية .

والحاخامات الذين اعشت عيونهم الكوارث التي لم يسبق لها مثيل ، في عهد النازيين ، لم يستطيعوا مواجهة المشاكل التي قامت بوجود « دولة يهودية » . وقد تبعوا خط الحزب الصهيوني بسهولة في جميع القضايا ، وفشلوا في مواجهة الاسئلة المهمة . وكنتيجة بعد تسعة عشر عاما من الصهيونية كواقع عملي ، كل المشاكل الدينية الاساسية ، بقيت بدون حلول . وجواب الحاخامات على هذا الاتهام هو انه تحت

ظروف السنوات الحاسمة لوجود الدولة (اسرائيل) كان من الخطأ ان يغامروا بتقسيم اليهود بطرح مشاكل حديثة مثيرة للشقاق . وكانت نتيجة مؤامرة صمتهم كارثة على الديانة اليهودية ، فلم تكن اقل من انهيار تام للتفاهم على الصعيد الثقافي .

والحاخامات يعرفون انه اذا كانت اسرائيل حقيقة هي « صهيون » الصلوات اليهودية وحلمها ونبوءتها ، اذن على كل يهودي ان يحرك الارض والسماوات ليذهب اليها . واذا لم يفعل ذلك فهو لا يؤمن ـ حسب المنطق الصارم (البضاعة التي نادرا ما يستعملون) ـ ان الدولة الحالية هي تحقيق للنبوءة اليهودية التي هي ارهاص لعهد المسيح المنتظر حيث ستعيش الامم جميعا في سلام ورضا . ومن ثم ، فهناك عدد من الاسئلة غير المجابة : مثلا ما هي الدولة اليهودية ؟ اذا كانت هي التي اغلب سكانها يهود ، فكيف تضمن تلك الاغلبية ، على مدى الزمن ؟ هل تقفل حدودك لغير اليهود من المهاجرين ؟ تحرم اعتناق الاديان الاخرى ؟ تفرض ضرائب ثقيلة على اطفال غير اليهود ، تدفع علاوات للعائلات اليهودية ؟ .

تستطيع عمل احد ، او كل هذه الاشياء ـ التي كلها غير ديمقراطية اذا لم تكن غير انسانية ومقيتة . وحتى ولو اتخذت كل هذه الخطوات ، فلن تزال غير قادر على السيطرة على السكان وضمان بقاء الدولة يهودية الى الابد .

وهناك في الواقع خطر حقيقي من ان نسبة المواليد العربية الحالية ، والتي هي اكثر اربع مرات من نسبة مواليد اليهود ، سوف تخلق وضعا يجعل من اسرائيل بلدا غير يهودي في ظرف المستقبل القريب ، ولابد من مواجهة حقيقة انه ليست هناك طريقة الا التشريع اللاانساني واللا ديمقراطي يمكن به تخليد الدولة غير اليهودية ، سواء كانت في اسرائيل او في مكان آخر .

واسرائيل بدات تفهم هذه الحقيقة بالتدريج ، وقد تعرضت الجهود لايقاف زيادة السكان غير اليهود، لمعارضة عنيفة حتى من طرف اليهود الاسرائيليين ، وقوانين تحديد الزواج مثال على ذلك . وعلى اي حال، وكيفما كانت معقولية محاولات التشريع للابقاء على الاغلبية اليهودية ، فلابد من ان يخلق الواحد شيئا ضد صميم التعاليم اليهودية : مواطن الدرجة الثانية ، لان مواطن اي بلد لا تقابل الدولة ابناءه بالترحيب لابد ان يكون مواطنا من الدرجة الثانية . الان وبينما ، كما قال الحاخام الدكتور « لويس يعقوب » أن اليهودي لا يؤمن ان النطق وحده يعطي جميع الاجوبة ، اذن لابد ان يكون هناك (منطق الايمان) (1) .

ولا يستطيع اي يهودي ان يعتقد ان الصهيونية مهما كان معناها ، يمكن ان تعني بناء سياسيا غير ديمقراطي على احسن تقدير ، وعنصريا على اسوئه . ولكن في نفس الوقت ليس هناك يهودي يستطيع تامل الثلاثين سنة الماضية من تاريخ اليهود ، وكارثة النازية ، ومعجزة ـ او على الاقل شيء غير عادي سياسيا ـ تكوين دولة اسرائيل دون ان يعتقد ان هناك نموذجا ما لتاريخ اليهود ، والحوادث الحالية ، ووضع هذه الحوادث في عداد الصدفة المحضة ، معناه عقليا مسح 4 000 سنة من تاريخ اليهود ، على انها خطأ ، واعتبار الصهيونية أضخم الاغلاط جميعا . والمشكلة الحقيقية بالنسبة لليهود ، هو تقرير ما تعنيه الصهيونية في السياسة العملية . هناك سيتبين ان النوع السياسي الوحيد الممكن للدولة التي يمكن ان تجعلها الصهيونية مطابقة للتعاليم اليهودية سيكون كذلك نوع الدولة التي سيقبلها العرب .

اقدامنا ستكون راسخة على الارضية التي يتقابل فوقها العقل والنبوءة باكثر من طريقة واحدة .

* * *

اي محاولة دقيقة لتعريف المشكل من وجهة النظر العربية سيعصف ببعض الحجج العزيزة ، دع عنك الدوران في حلقات جدلية عقيمة ومضيعة للوقت.

تقسيم المسؤولية عن ماساة اللاجئين العرب ليس مهما كحلها ، وتبادل التهم لا يزيد الا في المخاوف والاحقاد . المهاجرون لم يسمح لهم ان يعودوا الى ديارهم ، ولا ان يعوضوا عنها ، لابد ان هذه بقعة سوداء على ضمير العالم ، وخاصة على ضمير اليهودي والعربي على السواء .

المال ينبغي ان يوجد لاعادة اسكان وتعويض هؤلاء المنبوذين المساكين ، وفي الواقع لا يمكن ان يكون الحصول عليه صعبا من الولايات المتحدة وهيئة الامم وغيرهما اذا اتفق الجانبان ان يبدا العمل ، هذا ما لا محيد عنه ، اذا كانت اسرئيل واليهود في اي مكان

(1) عندنا سبب للايمان (لندن 1962) .

يرغبون فى الحصول على السلام ، ومن الحجج ان نقول بسهولة ان اللاجئين العرب يمكن ان تمتصهم الدول العربية الاخرى . وبينما يمكن لفرنسي مثلا ان يشارك اليهود هذا الراي عن العرب ، اشك فى انه سيرى عدالته اذا اقترحنا انه فى حالة اخراجه هو من ارضه ان هناك نصف دستة من البلاد الاوربية الكاثوليكية حيث يمكنه ان يستقر .

كلا ، وليس هناك اي عدالة فى الاعتقاد ، ان اللاجيء العربي الذي ترك كل ما يملك فى فلسطين ، ان ذلك ليس الا مقابلا لما تركه يهودي آخر ، اخرج بالقوة من بلد عربي؛كلتا الحجتين واسع وغير اخلاقي.

ولكن كيف يمكن لاسرائيل فى الجو السياسي الحالي ان تاخذ ما يقرب من مليون لاجيء عربي ؟ ان يكون ذلك كما لو سالنا انجلترا سنة 1938 ان تاخذ 25 مليون مواطن انجليزي سابق من الذين كانت لهم ميول فاشيستية . وما دامت اسرائيل محاطة ببلاد عربية معادية ، فاعادة اللاجئين تبدو غير ممكنة .

الخوف يحتل جذور المسالة . اسرائيل تخشى تكوين طابور خامس اذا سمح للعرب بالعودة ، والعرب يخشون توسيع اسرائيل على حسابهم . والحل ينبغي ان يكون بازالة مخاوف العرب ، واعطاء الحق للاجئين، وضمان دخول اسرائيل لجميع اليهود فى حالة ما اذا ارادوا الذهاب الى هناك . واي حل لا يرضي هذه الشروط الثلاث سيكون غير مقبول .

الحلـــــــول :

اذا كان تحديدي للمشاكل ربما قد اطاح ببعض المشاعر العزيزة ، فحلولي المقترحة ستكون تحديا زائدا لها ، ولكن « الاوضاع المتطرفة تقتضي اجراءات متطرفة » . واقتراحاتي ليست متطرفة بقدر ما هي طويلة اجل التنفيذ ويوتوبية (طوباوية) . ولكن السياق الذى جاءت فيه يشتمل على تكوين دولة يزعم اصحابها انها احياء الاخرى وجدت قبل الفي سنة،بزيادة خليط الافكار الكتابية والنبوية والتاريخية التى حشرت داخل سياسة اسرائيل اليومية ـ يظهر انه يجعلها ـ حلولي ـ تقريبا طبيعية ـ بالنسبة لي على الاقل . ويجب اعتبارها على الاقل اهدافا تقصد ، او مشورات يمكن الرجوع اليها عندما تفشل جميع المحــــاولات .

بخصوص مشكلة اللاجئين ، الحل يبدا « بقانون عودة دولة اسرائيل » الفريد ، الذي يمنح الجنسية آليا لاي يهودي ذهب لاسرائيل وطلبها . هذا القانون، رغم انه وضع داخل نطاق يهودي يجب ان يوسع فيقرا هكذا :

«اي لاجيء ، لاسباب سياسية او دينية حرم من الحرية فى بلده الاصلي يمكنه الحصول على جنسية اسرائيل » . هذا سيتيح للاجئين العرب الفلسطينيين حق العودة لبلادهم لانهم لاجئون سياسيون .

ووجود دولة اسرائيل فى حدودها الحالية ينبغي ان يضمنه ليس معسكر قوة ، بل هيئة الامم وفى مقابل هذا تضع القوات المسلحة الاسرائيلية نفسها تحت تصرف هيئة الامم ، وتستعمل كقوة محافظة على السلام فى الشرق الاوسط . وليس هناك اصلح من هذا لاسرائيل ، ولا اكثر مجاملة لكبريائها الوطني ؛ وفى نفس الوقت هذا الترتيب سيزيل مخاوف العرب من دولة اسرائيل معتدية .

والحركة الصهيونية ينبغي ان تتحول الى منظمة دولية تشمل جميع الفرق الدينية ، وتجمع المال لاقرار اللاجئين ـــ اي لاجيء ـــ فى اسرائيل اذا كانوا يرغبون فى ذلك ، وربما تفكر اعطاء منح لطلبة البلاد المتخلفة للدراسة فى اسرائيل اذا امكن التغلب على بعض العراقيل .

واخيرا ينبغي ان تصبح مدينة القدس المشرفة بالنسبة لليهود والعرب والمسيحيين على السواء ، مركز العالم ، وعاصمته الدينية ، لان الاديان الثلاث كلها تتوجه جميعا لعبادة اله واحد ، اليهودي والعربي والمسيحي فى عملهم معا سيصبحون تحديا فعالا للادينية العسكرية فى العالم ، ومن المناسب ان تصبح مدينة القدس ، مركزا للمنظمات الدولية العظيمة التى تعمل من اجل السلام ، ومكافحة الفقر والمرض، وستجمع الاموال لانشاء هذا المركز ، بعض وظائف هيئة الامم ينبغي ان تمارس فى مدينة القدس التى ستصبح مدينة دولية تحت وصاية هيئة الامم الادارية عن طريق دولة اسرائيل .

وبهذا ستتحقق نبوءات كتابية عدة كما علق عليها الحاخام الانجليزى الراحل سيمون سينجير (1) .

« فى ذلك اليوم سيكون طريق بين مصر وسوريا، وسيصلي المصريون مع السوريين فى ذلك اليوم

---

(1) مخلفات مقبلة سيمون سينجير الادبية اختاره وصححه اسرائيل ابراهام .

ستكون اسرائيل ثالثة مصر وسوريا ، بل بركة في وسط البلاد ، وسيباركها قائلا بوركت مصر وسوريا صنع يدي واسرائيل تركتي » .

(في كتاب اشعيا 14 ، 23 — 25) ويتطلب ذلك شجاعة غير قليلة ان يتنبأ الانسان في هذه الظروف العصيبة . اذ ابراز عيوب الناس لهم ، كذكر حسنات خصومهم . ولكن هؤلاء الناس ما كانوا يبحثون عن الشهرة بل عن الحق . وبقدر اتساع وعمق ينبوع الحق الذي وجدوه وفتحوه للعالم تعاظم حبهم له . امتيازهم كان انهم لا ينظرون فقط الى وراء زمنهم ، ولكن ان يروا الوضوح ما يمكن ان يحلق في عقول الناس. كل عائلات الانسان كان عليها ان تكون وريثة للعصر العظيم الذي توقعوه . « لانه من جبل صهيون سينطلق قانون وكلمة الله من القدس . » (اشعيا 3 . 2) (1)

فرض الله على اسرائيل عهدين ، كما قال احد علماء التلموذ :

الاول : انهم لن يتخذوا العنف وسيلة لارجاع بلادهم .

والثاني : الا يثوروا على الامم التي يعيشون بينها . ومعنى ذلك اننا ينبغي ان نتخذ قوة التأثير الاخلاقي لا المادي وسيلة لتحقيق اهدافنا ومثلنا .

« لا بقوة ولا جبروت ، ولكن بروحي ، قال الرب » . (2)

* * *

خاتمة :

هنا انتهى مقال مارك براهام ، عربته للقارىء بحذافيره وحرصت على ان يكون طبق الاصل مراعاة لامانة الترجمة .

وهو كما قلت لا يعبر عن وجهة النظر العربية ولا الصهيونية . وهو محاولة مخلصة من طرف مفكر يهودي يحب قومه ويريد لهم السلام والامن ، ولا يرى ان القيادة الصهيونية ستنتهي بهم الى ذلك السلام الموعود .

واهم ما يثير هذا المقال بالنسبة للقارىء العربي هو ما سأورده في الخلاصة التالية :

1 — المعضل العربي الاسرائيلي ممكن حله اذا عرضناه بطريقة مناسبة وحددنا مواضيعه باخراجه من الفوضى العاطفية التي اكتنفته .

2 — اليهود لا يؤمنون جميعا بأن اسرائيل هي تحقيق النبوءة الكبرى التي صلوا من أجلها العصور الطوال . والدليل ركود الهجرة اليها ، بل هجرتهم منها الى الغرب .

3 — اسرائيل بالنسبة لليهود هي « عقد تامين » فقط ، بحيث اذا شعروا بالاضطهاد في بلد ما هاجروا اليها . وبتلاشي اللاسامية من المجتمعات الغربية وجد اليهود حاجتهم الى مهرب خاص بهم (اسرائيل) تضعف يوما عن يوم .

4 — الفجوة الثقافية تتسع بين يهود الغرب ويهود اسرائيل ، مما سيضعف او يلغي التعاون اليهودي الدولي على ابقاء اسرائيل .

5 — الحركة الصهيونية قادرة على البقاء فقط لوجود اللاسامية . فهي تتغذى على الكراهية الموجهة ضد اليهود في البلاد الاخرى . والعرب بدعايتهم ضد الصهيونية — التي لا يفرق اليهود بينها وبين ديانتهم — انما يساعدون على تقوية ما يريدون تحطيمه . فعلى العرب ان يتركوا الصهيونية ويتجاهلوا اسرائيل اذا ارادوا التخلص منها .

6 — لا مفر من صراع ديني داخلي قد يؤدي الى تشتيت اليهود اكثر اذا استقرت الاحوال السياسية باسرائيل ، وقام رجال الدين بمواجهة الميكيافيلية والدكتاتورية الصهيونية التي عومل بها يهود العالم من أجل اغتصاب فلسطين .

7 — كيف ينوي الصهيونيون المحافظة على اسرائيل كدولة يهودية دون اللجوء الى وسائل عنصرية لا انسانية ولا ديمقراطية . العرب يتكاثرون اربع مرات اكثر من اليهود ، ولا بقاء اليهود اغلبية ، لابد من خلق مواطن الدرجة الثانية ، الشيء الذي هو ضد صميم التعاليم اليهودية .

1) « فكرة انبعاث المسيح في اليهودية » . محاضرة القيت بالجمعية الادبية بالكلية اليهودية ، لندن 22 ماي سنة 1887 .

2) من محاضرة بعنوان : « اليهود في علاقاتهم مع الاجناس الاخرى » القيت بمعهد South Place لندن ، 9 مارس سنة 1890 .

8 ــ حل مشكلة اللاجئين يبدا بتعديل قوانين اسرائيل الاساسية ، اي بقبول جميع اللاجئين السياسيين يهودا وغيرهم .

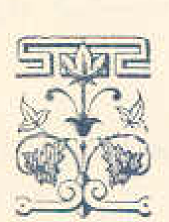
9 ــ وجود اسرائيل ينبغي ان تضمنه هيأة الامم . لا الجيش الاسرائيلي . وينبغي ان تصبح مركزا دينيا لجميع الناس ، وتنتقل اليها جميع المنظمات الدولية المهتمة بشؤون الاقليات .

* * *

هذه أهم النقاط الواردة في مقال « براهام مارك » ولا اشك في ان بعضها يمكن أن يثير جدلا عنيفا بالنسبة للطرفين المتخاصمين . وقد كان « براهام » وهو يكتب مقترحاته واعيا بهذا .

الامة العربية في وضعها الحاضر احوج ما تكون الى الافكار الجديدة . فهي امام عدو جبار يحيل مراكز قوتها الى مراكز ضعف . وقد آن الاوان للتعلم منه واستخدام فنونه وحبائله . فتلك هي الطريقة الوحيدة للتغلب عليه .

واشنطن : أحمد عبد السلام البقالي



من قضايا الاستكشاف الأرضي في عصرنا الراهن :

ارتياد القارة القطبية الجنوبية بين الماضي والحاضر

للأستاذ المهدي البرجالي

القارة القطبية الجنوبية ، لا تاخذ اليوم الا بعناية اوساط محدودة من العلماء والمستكشفين في أوربا وغيرها ، علاوة على الاهتمامات التي تثيرها في حظيرة بعض الدول الكبرى التي لها سياسة عالمية على مستوى الكوكب الارضي كله ، والفضاء الخارجي ! لكن العقود المقبلة من شانها ان تحمل مزيدا من التطورات بهذا الصدد ، بحيث تجعل من قضية جنوب الارض القطبي قضية عالمية شاملة ، تاخذ باهتمامات الدول ، صغرى وكبرى على السواء ، لماذا يحتمل وقوع مثل هذه التطورات ؟ وما ملابساتها ؟ .

عند ما تم في صيف سنة 1963 التوقيع في موسكو على اتفاقية الحظر الجزئي للتجارب النووية اثار ذلك ــ كما تذكر جميعا ــ حالة واسعة من الاهتمام في العالم قاطبة ــ وخلق جوا انسانيا يتسم بحسن الثقة والامل ، الثقة في فلسفة التعايش السلمي التي تاخذ بالتدريج المكانة التي كانت لفكرة الصراع الحتمي بين الدول ، والامل في ان يؤدي توقيف التجارب المجراة الى تعزيز فلسفة التعايش واعطائها منطلقات جديدة للتاثير على سير العلائق بين الامم والتكتلات المختلفة .

بيد ان مبادرة اخرى تتعلق بموضوع التعايش السلمي كذلك ، وقد حدثت في نفس الظروف التي تم فيها التوقيع على المعاهدة النووية الدولية ! ولكنها لم تثر من العناية على مستوى العالم ما احدثه التوقيع على تلك المعاهدة ؛ والمبادرة التي تعني تتمثل فيما امكن التوصل اليه بين السوفييت والامريكيين من اتفاق ضمني حول القارة القطبية الجنوبية على اساس أن يمتنع بتاتا عن استخدام هذه القارة للاغراض الستراتيجية الحربية ، وان يقتصر ــ في عمليات الارتياد والتنقيب القائمة فيها ــ على الاغراض العلمية الصرفة ؛ واهمية هذا الاتفاق الضمني لا ترجع الى باب السياسة فقط ، وهو لا يعنينا كثيرا في هذا المجال؛ وانما تعود كذلك الى ما يتعلق بالقضايا الفنية وامكانيات التوسع العلمي والحضاري في عصرنا الراهن ؛ ذلك ان استبعاد القطب من دائرة المنافسات السياسية والتسابق العسكري بين الامم ، لابد انه يؤثر تاثيرا حسنا على سير الاكتشاف العلمي في ذلك القطاع من العالم ، خصوصا وان التعاون الدولي في هذا المقام له اهمية يمكن ان توصف بانها حيوية ، وليس عنها بديل؛ لماذا ؟ لان المصاعب الطبيعية الجمة التي تزخر بها القارة القطبية الجنوبية ، ليست مما يمكن مغالبته وتذليله بالوسائل والجهود العادية ؛ فالقارة تلك لا

تزال تستعصي لحد الان — كما استعصت من قبل — على الانسان مهما كان نصيبه من العدة وسعة الحيلة ؛ والتقنيات الحديثة ، لا تمكن من بلوغ مراد استكشافي في تلك المناطق الا بشق الانفس وفي دائرة ضيقة جدا ، وبثمن باهظ من الجهود والاهوال والمشاق المادية والمعنوية ، بل والتصميمات التي لا يستطيعها الا ذوو الارادة العلمية الراسخة والقدم الثابت في ميادين التقنية والاوتوماتية وغيرها ؛ ان ارتياد القطاع القطبي الجنوبي من الارض لا يفتأ الان يتوسع باطراد ، في نفس الوقت الذي تتوسع فيه عمليات الارتياد في الفضاء ، وليس هذا من قبيل المصادفات التي لا غابط لها ؛ فالحقيقة ان اكتمال التقنية على ما هي عليه اليوم هو الذي اخذ يساعد على التفكير في التوسع في ارتياد القطب في نفس الوقت الذي ادى فيه الى تحقيق النظريات القديمة المتعلقة بغزو الفضاء ؛ وهذا النوع الاخير من الغزو — وان كانت تقوم به الدولتان الفضائيتان الرئيسيتان كل منهما على انفراد ، فان المراحل المقبلة منه — الاشد تعقيدا — وما النزول على سطح القمر الا مرحلة ابتدائية فقط — هذه المراحل لابد انها ستصبح فوق مستوى امكانيات دولة منفردة، وستطلب الامر حينذاك تعاونا دوليا أوثق في هذا المجال ؛ وقد ادركت الدولتان الفضائيتان هذه الحقيقة من الان ، ولذا يظهر انهما قد بداتا تتخليان عن كل فكرة احتكارية في الموضوع ، واعلن احد الجانبين بهذا الصدد انه يرغب في اقرار المبدا القائل بحظر اي نشاط عسكري على سطح القمر او غيره من التوابع والكواكب، ولم يرفض الجانب الاخر ، بل بدا ان الجانبين يتقاسمان الفكرة نفسها ؛ ولا يظهر ان الخوف من العواقب الحربية وما أشبهها هو الذي أوحى وحده فقط ، بفكرة قبول الامتناع عن النشاط العسكري في الفضاء ، وانما الشعور بعبء عمليات الغزو نفسها ، وصعوبة الاستمرار فيها على انفراد ، والحاجة الملحة التي تدعو الى التعاون الدولي في هذ الامر ، كل ذلك لابد ان له تاثيرا على هذه المرونة الملحوظة في موقفي الدولتين الفضائيتين ، بحيث يمكن الظن من خلال هذه المرونة ان اصطناعها يبدو كمقدمة لتعبيد السبيل امام امكانيات تعاون دولي في الفضاء وخصوصا اذا اصبح هذا التعاون ضرورة شديدة الالحاح لا مفر منها.

ونفس الامر يمكن ان يرى بالنسبة لقضية الارتياد في المناطق القطبية الجنوبية ؛ ذلك ان هذا الارتياد — اذا اريد منه التوصل الى حقائق اعمق مما هو متوفر الان ، واستهدف منه — عموما — النجاح في تذليل القارة القطبية الجنوبية ، واخضاعها للاغراض المختلفة التي تتصل بالعلم من جهة ، وبالحياة العملية من جهة أخرى — اذا كان الارتياد القطبي ذا أهداف بعيدة من هذا المستوى ، فان النفقات التي يتطلبها ، والجهود التي يجب ان تصرف من اجله ، ليست شيئا هينا ، حتى بالنسبة للدول الكبرى ، التي ترهقها — ولا ريب — متطلبات التوازن العسكري وضرورات الستراتيجية العسكرية الحديثة التي تلعب الاسلحة التكتيكية فيها دورا متزايد الاهمية ؛ يضاف الى كل هذا ان اية دولة من الدول الكبرى تدرك — بالبداهة — ان اي واحد منها لا يستطيع عمليا ان يحتكر القطب الجنوبي لصالحه الخاص سواء في نطاق الاغراض الحربية او السلمية كذلك ، فالقطب واقع في خضم البحار الدولية الكبرى التي يعتبر سلوكها حقا مباحا للجميع ، وبهذا يعتبر منطقة مفتوحة لمن له القدرة على اقتحامها ، لكن الموانع الطبيعية فيه لا تمكن دولة دون غيرها من الدول من تحصينه لحسابها الخاص وضد اية دولة اخرى ، تحاول ان تتخذ فيه موطىء قدم ما ، للقيام بعمليات ارتياد وما اشبهه ؛ ان الدول الكبرى والصغيرة على السواء تدرك — على ما يظهر — حقائق كثيرة من هذا القبيل ؛ والمظنون ان هذا الادراك من شأنه ان يحملها على عدم اتخاذ سياسة خاصة في موضوع القطب الجنوبي يمكن ان تكون متأثرة بالمصالح القومية الضيقة ، كما ان هذا لابد ان يدفعها — كما يدفعها فعلا الان — الى الاخذ بأسباب التفاهم والتعاون الدولي حول القطب ، والاتفاق على استبعاد المنطقة القطبية الجنوبية من دائرة المقاصد الحربية ، وحصر حركات الارتياد في أغراض تهم الملأ الدولي قاطبة ، وتمس خاصة قضايا العلم والحضارة .

❊ ❊ ❊

تعتبر القارة القطبية الجنوبية او « الانتاركتيكا » من البقاع القليلة جدا في العالم، التي لا تزال غير معروفة تمام المعرفة عند الانسان ، وما فتىء الناس بما فيهم العلماء ايضا ينظرون اليها نظرة تحيط بها الاسطورة تقريبا كأنها ارض « الواق الواق » عند الاقدمين ؛ وان كانت هناك فوارق مهمة بين الحالتين ؛ ولا يطلق اسم القارة على الانتاركتيكا تجوزا ، فهي ذات مساحة ضخمة ، تفوق مساحة القارة الاوربية نفسها ؛ وقد دلت الابحاث العلمية التي اجريت خلال السنوات الاخيرة على نطاق دولي ، ان اراضي القارة القطبية الجنوبية ، ليست عبارة عن كتلة متراصة كما نعهد

ذلك فى الكتل التي تتكون منها القارات المسكونة ، وانما هي متكونة من سلسلة من الجبال والجزر مختلفة الارتفاع ، لكنها مغطاة فى الغالب بغشاء جليدي سميك تبلغ ثخانته نحو ميلين ، او اكثر من ذلك قليلا ؛ ويقدر الجليد الذي يغطي مناطق القطب الشمالي والجنوبي كليهما بنحو تسعة ملايين ميل مربع [1] ، وهذه الكتل الهائلة من الجليد ان هي الا بقايا عصور الجليد ، التي ظلت خلالها كثير من مناطق الارض مغمورة لامد طويل؛ وهناك نظريات علمية عديدة حول امكانية ذوبان الجليد القطبي ، مما يمكن ان يرفع من منسوب مياه المحيطات، وقد يؤدي ذلك ـ اذا وقع ـ الى احداث احوال طبيعية حد خطيرة ؛ غير ان مثل هذه النظريات لم تستقر بعد على اساس ثابت يمكن الجزم به . كما ان كثيرا من المعلومات المتوافرة عن مناطق القطب وبالاخص القارة القطبية الجنوبية لا تزال فى حاجة الى الكثير من التمحيص والتحقيق ، نظرا لصعوبة البحث فى تلك القارة وحداثة العهد بارتيادها ، الارتياد العلمي المنتظم .

غير انه بالرغم عن الصعوبات الجمة ، التي تكتنف الحياة فى القارة القطبية الجنوبية ، بل وتجعل مجرد الوصول اليها واتخاذ مواطيء القدم فيها ، امرا عسيرا وباهظ التكاليف فان ذلك لم يمنع عددا من الدول ذات الامكانيات البحرية العالمية من المشاركة خلال القرن الثامن عشر وما بعده ، فى حركة التسابق الدولية نحو تلك المناطق النائية من العالم ، بل والذهاب الى اطلاق اسماء حكامها وقادتها على بعض الاراضي هناك ، ورفع الاعلام الوطنية على هذه المناطق المتباناة ، واعتبارها ـ نظريا على الاقل ـ مناطق تابعة لـ « ام الوطن » الواقعة فى القارات العادية ، ولهذا نجد القارة القطبية الجنوبية وكثير من مناطقها تحمل اسماء اوربية تذكر بجنسيات الدول التي امكن لروادها الوصول الى هذه القارة ، واكتشاف قطاعات منها ، سواء على شكل جزر مجاورة او اجزاء من القارة نفسها ، او مساحات من منطقة القطب بالذات ؛ فبينما تدعى المنطقة البحرية الواقعة شمال القارة ببحر « الملك هاكون السابع » (ملك النرويج 1872) دعيت المنطقة الاخرى الواقعة بين افريقيا واستراليا بأرض « الملك غليوم الثاني » امبراطور المانيا ، بينما اطلق على منطقة بين امريكا واستراليا : اسم « ارض الملك ادوارد السابع » ، ملك انجلترا (1901) وهكذا ؛ وفي داخل القارة نجد الاراضي تحمل اسماء عديدة اخرى من هذا النوع .

ولابد ان يتساءل المرء عن مغزى هذه الاسماء المطلقةعلىمناطق القطب من الناحية الدوليةوالقانونية؛ وما اذا كان اطلاق مثل هذه الاسماء يعني الانتهاء الى تجزئة فاصلة للقارة المحيطة بالقطب ، وماذا يترتب عن هذه التجزئة من الناحية السياسية والجغرافية ؟

للجواب على هذه الاسئلة الحيوية ، نجد انفسنا ـ فى الواقع ـ اما حالة غير عادية ، حالة من بين هذه الحالات التي لا يزال القانون الدولي لم يصل فيها ـ بعد ـ الى تقريرات نهائية ، كما لا ينتظر ان يصل الى هذه التقريرات فى امد قريب ؛ ويرجع الامر فى ذلك اساسا ـ وكما لمحنا اليه من قبل ـ يرجع الى ان السيطرة الانسانية على قارة القطب الجنوبي لم تقع لحد الان ، الا من الناحية المبدئية ، مضافا الى هذا ، اعتباران اساسيان فى الامر ، لهما اثرهما البالغ في جعل الامر على هذه الصورة الواقعة (اولا) ان الدول التي شاركت لحد الان فى اكتشاف القارة القطبية الجنوبية لا تنحصر فى اثنتين ، كما هو الشأن فى ارتياد الفضاء لحد الان ، وليست هذه الدول المكتشفة للقطب كثيرة كذلك ، بحيث تعتبر ذات تمثيل كامل لدول الارض ، صاحبة الحق المبدئي فى القارة القطبية ؛ فاكثرية الدول الكبرى ، وبالاخص ، انجلترا وفرنسا ، كان لهما تاريخ بعيد المدى فى ارتياد مناطق القطب ، الا انه يوجد الى هذه الدول ، دول اخرى كالمانيا وبلجيكا والنرويج مثلا ؛ فقد شاركت كل هذه الاقطار ببعثات استكشافية فى المنطقة ، وذلك ما جعل المشاركة الدولية فى موضوع القطب ، مشاركة متشعبة ، تتعدد فيها الاطراف الدولية على عكس ما عليه الامر فى الفضاء الان ، كما تقدم ، كل هذا ، الى الدول الكثيرة الاخرى التي لم تشارك عمليا لحد الان ، او ساهمت بقدر ضئيل ، الا انها تحتفظ لنفسها بحقوق مبدئية في الموضوع ! ويظهر ذلك باوضح ما يكون بالنسبة الى الدول الامريكية اللاتينية ، وبالاخص منها ، الدول الواقعة فى جنوب القارة ، وهذه الدول ترى ان لها حقوقا قوية فى القطب ، ترجع الى مجاورتها لهذه الناحية من الارض ، اذ لا يفصل بين جنوب امريكا والقطب الجنوبي الا جزء غير كبير نسبيا من المحيط الاطلسي . (ثانيا) فضلا عن تعدد الدول المشاركة في

---

[1] كتلة الجليد التي تغطي القطب الجنوبي وحده تبلغ ـ كما يقدر ـ زهاء : 4.800.000 ميل مربع وتقدر كثافة الجليد او ما يدعى بـ « الطربوش » القطبي فى بعض المناطق بالقطب ـ بنحو خمسة كيلو مترات ونصف عمقا !

الارتياد القطبي ، وما ينتج عن هذه الحالة من اوضاع ، فان هناك حالات نزاع دولية في الموضوع ، تشبث بين حين وآخر حول موضوع التملكات الارضية في قارة القطب ، وقد بلغ البعض من هذه النزعات درجات حادة ، بلغت درجة الغرابة والشذوذ في بعض الاحيان؛ ومثل هذه الاحوال من النزاع ، لم يكن من شانها ان تعبد السبيل امام تسويات فاصلة في موضوع التملك الدولي بالمناطق القطبية ؛ ولنتخذ صورة النزاع البريطاني الارجنتيني — الشيلي مثالا في الموضوع ؛ فقد شهد العقد الثاني من هذا القرن ، حالة صراع متشعب ، بلغ حد الحرب الباردة بين انجلترا من جانب ، والارجنتين والشيلي من الجانب الاخر ؛ وذلك حول قطاع من القطب منتسب الى بريطانيا ؛ وكانت الارجنتين طرفا في النزاع حول الامر ، وكذلك كان للشيلي ضلع كبير في الخلاف حول هذه المسائل ؛ وقد اشتد الخلاف ذاك فيما بين سنة 1912 و 1913 ، وادى الى تبادل احتجاجات قوية بين الاطراف المعنية، بل انتهى الى ما هو ادهى من ذلك . حيث نتج عن الخلاف تصرفات من الجانبين ؛ تكتسي صبغة التصادم بينهما ؛ وقد كان ابرز مظاهر التصادم ذاك ، ان كل فريق قد اخذ يعمد الى مسح الراية الوطنية للفريق الاخر ، التي توجد الوانها مثبتة في الاكواخ القليلة المقامة في القطاع الارضي المتنازع عليه ؛ وكان يحدث ايضا ان تثبت هذه الالوان الوطنية احيانا في بعض الحجارة الضئيلة المتناثرة هنا وهناك فكانت هذه الحجارة تمسح هي بدورها ، من طرف هذا الجانب ضد الاخر ، الامر الذي خلق حالة متسمة — كما اسلفنا — بقدر من الغرابة ملحوظ بالبداهة ؛ وهذه الغرابة ، ليست ناشئة في الواقع — عن سوء تقدير وتصرف ، بقدر ما هي ناشئة عن غرابة الاحوال الطبيعية في المنطقة القطبية الجنوبية ، واستعصاء الاراضي هناك على كل تقدير دقيق مضبوط للمواقع المتملكة او التي ينوى تملكها ؛ ومن ثم ، فان الخلاف الذي اشرنا اليه آنفا ، لم يكن ظاهرة مفردة ، وانما كان مظهرا من جملة مظاهر واقعة او محتملة في هذا الموضوع تشير جميعها الى ما ينطوي عليه امر القارة القطبية الجنوبية ، من مصاعب في التجزئة والتملك ، مثل ما تنطوي عليه هذه القارة ايضا من مصاعب في الارتياد والتذليل ؛ وعلى هذا ، بقيت مسالة التجزئة النهائية لهذه القارة معلقة،كما بقيت عملية اخضاعها وتسخيرها معلقة كذلك تنتظر — ولا شك — امدا طويلا ، لتصل الى حل ، وقد برزت خلال العقود الاخيرة من هذا القرن افكار ومشاريع دولية ، لايجاد اساس دولي معقول ، تقوم عليه الوضعية القانونية لمناطق القطب ، وابرز هذه المشاريع ، المشروع الذي تقدمت به الولايات المتحدة الامريكية ، لوضع القارة الجليدية الجنوبية تحت وصاية الامم المتحدة ، وكان اقتراح امريكا لذلك في غضون سنة 1948 ؛ ولم يصل المشروع الى نهاية ايجابية ، نتيجة لتضارب المصالح الدولية في المنطقة ، كما يظهر ، الا ان مثل هذه الفكرة بعد ان خفت صداها فترة من الدهر ، اثيرت من جديد بواسطة الهند تؤازرها في ذلك ، بعض الدول الاخرى التي يعنيها الموضوع ؛ الا ان القضية لم تلق — رغم ذلك — سبيلا يؤدي بها الى اتخاذ موقف دولي حاسم في هذا الصدد.

* * *

وكما كان التساؤل في الفقرة السالفة عن الوضعية القانونية للتملك الدولي في مناطق القطب فان سؤالا آخر مرتبطا بالتسابق يفرض نفسه ايضا ، على نفس الدرجة من الالحاح ، والسؤال هو : اذا كان كل هذا التنافس الدولي قد قام حول القارة القطبية الجنوبية، فهل هناك من المنافع والمصالح التي تحتويها القارة ، ما يسوغ حالة التنافس هذه ، ويبرز من جهة اخرى الجهود والنفقات الضخمة التي بذلت في عمليات الاستكشاف القطبي لحد الان ؟ يجب المبادرة الى القول — اولا — ان « الانتاركتيكا » او القارة القطبية الجنوبية ، اذا قدرت لها منافع ما — غير المنافع العلمية الخالصة — فان هذه المنافع تتعلق بالمستقبل ، وربما بالمستقبل البعيد ؛ ان القارة المتجمدة لا تبدو الان الا كبالوعة فاغرة الفم ، تبتلع اكثر ما يمكن تصوره من جهود ونفقات دون ان ينتظر منها ان تعطي بالمقابل — في الوقت الحاضر — شيئا ذا بال من الناحية الاقتصادية ، لكن الدول التي تعنى بامر هذه القارة ، تدرك ان عليها ان ترتب من الان امورها ومصالحها هناك ، استعدادا لهذا المستقبل ولو كان بعيدا ، فالقيم المبذولة على ارض القطب هي اذن من نوع التوظيفات المالية بعيدة الاجل جدا ؛ وهذا النوع من التوظيفات — ان كان الافراد العاديون لا يستطيعون ان يتصوروا منه نفعا عمليا، ولا يستطيعون القيام به كذلك ، فان الدول طبعا هي غير الافراد ، ولها سياساتها المالية طويلة الامد الى اقصى حد ، كما لها سياساتها قصيرة المدى ايضا ، على ان هذه المنافع التي يمكن ان ننسبها لمنطقة القطب ليست كلها خيالية او مبنية على خيال ، وان كان البعض منها يبدو كذلك في الوقت الحاضر ؛ فهناك مجال للتحدث عن جملة من المزايا يمكن ان يستفاد منها في القطب ، ولو ان الافادة من هذه المزايا متعلق بالمستقبل ، بل ان بعضها يمكن اعتباره جاهزا للحاضر ايضا ؛ ومن هذه

المزايا التي يمكن الافادة منها في الحاضر ، استغلال الجو القطبي شديد البرودة في تخزين فائض الاطعمة في العالم ، وجعل المنطقة القطبية هكذا بمثابة « ثلاجة » طبيعية للمحافظة على مخزونات الاطعمة من الفساد ؛ ولا نحتاج الى التذكير ، كم يصرف على حفظ الاطعمة في العالم داخل الثلاجات الصنعية كبيرة التكاليف ؛ ومما يذكر من مزايا القطب ايضا ، امكانياته الصيدية ، وبالاخص صيد « البالين » وهو السمك الضخم الذي يعتبر اضخم الحيوانات اطلاقا ، ويبلغ طوله في العادة 25 مترا ، ووزنه حوالي 150.000 كيلو غرام .
ومن الناحية الباطنية الارضية ، لا تخلو القارة المتجمدة من مخزونات معدنية ، منها ما هو من قبيل المعادن النفيسة ، وقد ذكر بالفعل وجود مخزونات مختلفة ، تتراوح بين الفحم والزنك والرصاص والنحاس والحديد ، وبين الذهب والفضة ، وحتى بعض المعادن الذرية ، هذا علاوة على الامكانيات البترولية المفترضة ، وقد وجدت في « الانتاكتيكا » ايضا طيور كـ« البتريل » و « المانشو » حيث عثرت بعض البعثات على مستعمرة من هذا النوع الاخير ، تبلغ حوالي 500 7 وحدة ؛ وتغطي حوالي هيكتارين ، ولوجود هذه الحيوانات ، دلالة على امكانيات الحياة الحيوانية بالمنطقة ؛ اما من حيث الاحتمالات البعيدة ، فان هناك تقديرات لجواز استغلال العواصف العاتية في القطب كطاقة محركة ، وكذلك الامر بالنسبة للطاقة الحرارية الكامنة تحت كتلته الجليدية ! .

وعلاوة على الاحتمالات المعدنية والهيدرولية وغيرهما ، التي تعد بها القارة القطبية الجنوبية ، فان لها كذلك اهمية مواصلاتية على مستوى القارات والمحيطات ، تزداد بروزا اكثر فاكثر ، فالمنطقة القطبية الجنوبية تتصل باغلبية محيطات الكوكب الارضي (الاطلسي — الهندي — الهادىء) كما انها بموقعها الحواري تشرف على اكثرية القارات : (افريقيا — امريكا — الاوقيانوسية) ، ولهذا فان قيمتها المواصلاتية لابد ان تصبح من الدرجة الاولى على الصعيد الدولي العام ؛ والمواصلات كما نعرف كافة لها الشأن الاول في مضمار الاقتصاد ، وبالاخص الاقتصاد الدولي متشابك الاطراف عبر انحاء العالم ؛ وبهذا فان الاهمية المعزوة للقارة القطبية الجنوبية تكتسب بعد اقتصاديا — مواصلاتيا بقدر ما لها من ابعاد اقتصادية في النواحي الاخرى ؛ غير ان استغلال القارة بهذا الشأن — وان كان باديا للوهلة الاولى من الناحية النظرية — الا انه غير متيسر بنفس السهولة من الناحية العملية ؛ ذلك ان هذا الاستغلال يتطلب اقامة محطات انطلاق ونزول على سطح القطب ، والمناطق المتاخمة له ؛ ويتطلب كذلك معرفة واسعة بطبيعة الارض ومناخها وتقلباتها ، وامكانيات كافية للسيطرة على الموانع المفترضة بهذا الصدد ، وهي كثيرة جدا ومتنوعة ؛ ولا سبيل الى تحقيق هذه المتطلبات الا بمسح المناطق القطبية بكيفية دقيقة ، وتحديد جزئياتها الجغرافية ، تحديدا خرائطيا مدققا ، واقامة محطات دائمة للرصد الجوي واحوال المناخ ، بل ودراسة طبيعة الارض الجيولوجية ، والتعرف من خلالها على المناطق الصالحة لبناء المحطات وايواء العاملين فيها . ومن غير شك ، فان دراسات جليدية Glaciologique تجري في عين المكان تعتبر ضرورية في مثل هذه المناطق ، وان لم نر لها بهذا الشأن في مناطق اخرى غير القارة القطبية ؛

وعلى اي حال ، فان استغلال القارة القطبية الجنوبية ، على الصعيد الاقتصادي امر غير مطروح بكيفية ملحة على الصعيد الدولي في الوقت الحاضر ، بالنظر الى ان هذا الاستغلال — اذا جاز — فهو يتطلب — قبل كل شيء — تذليل القارة والسيطرة على المصاعب الحافلة بها ، ولهذا نجد ان عمليات ارتياد المنطقة القطبية الجنوبية يتركز اكثر من اي شيء آخر في الميدان العلمي البحت ، وذلك (اولا) لان الاحاطة بمعرفة طبيعة القارة والتوصل الى تقييمها علميا من شأنه ان يفتح عددا من المغاليق العلمية المتعلقة بفيزيائية الارض (مغناطيسية الارض) قياس قوة الجاذبية الارضية في المناطق القطبية مما يساعد على استكمال المعلومات عن قوة الجاذبية العامة للارض ، والتوصل الى حقائق كاملة عما يدعى بتوازن القشرة الارضية — وكذا التعرف على العواصف المغناطيسية في القطب ، وتكون الجليد وذوبانه في المنطقة ، وطبيعة الهواء الكامن في اغوار الجليد المتراكم وغير ذلك كثير . (ثانيا) لان التعرف العلمي الكامل على المناطق القطبية من شأنه ان يسهل فرص الاستقرار الطويل فيها ، واقامة التجهيزات التي يتطلبها هذا الاستقرار نظرا لان التعقيدات الطبيعية في المناطق القطبية التي تحول دون طول استقرار الانسان هناك ، لا يمكن التغلب عليها الا بعد معرفتها علميا ، ومواجهتها بالوسائل العلمية ايضا وقصة المحاولات العلمية المبذولة ؛ للتعرف على مناطق القطب الجنوبي ، ترجع بدايتها الى عهد غير قريب نسبيا ، انها تعود الى القرن الثامن عشر ، حيث بدات تتوافد على هذه المناطق البعثات الاستكشافية المغامرة ، تحاول ارتيادها واتخاذ مواطىء القدم فيها ، مثل ما

كان عليه الامر في مجاهل افريقيا والاوقيانوسية وغيرها ؛ والفرق عظيم بين ما لاقاه الرواد الاوربيون في افريقيا والاوقيانوسية من صعوبة يمكن تحملها ، وبين ما لاقوه في المناطق القطبية الجنوبية من مصاعب تجل عن الحصر ؛ الامر الذي لا يزال يحيط بالصعوبات الجمة ، امر الاستقرار الانساني لامد طويل في هذه المناطق ، بينما تمكنت التقنية الحديثة من تذليل المحيطات الكبرى للانسان ، وجعل القمر والفضاء هدفا حقيقيا لمختلف القذائف والسفن الطائرة المرسلة من الارض ! .

بدأت في غضون القرن الثامن عشر طلائع التحركات الارتيادية النادرة خلال المناطق المجاورة للقارة القطبية الجنوبية ؛ فقد تمكن الكابتان « كوك » الرائد الانجليزي الشهير ، والذي حقق جولات استكشافية مهمة في القارة القطبية الشمالية ، وقام برحلات واسعة حول الارض — تمكن هذا الرائد في رحلة له حول العالم من التوغل كثيرا في الجنوب الارضي (1773) وقد نجح بعد سنتين (1775) في اكتشاف ارض بورجيا الجنوبية ، وجزر سندويتش الجنوبية ، شمال القارة القطبية الجنوبية ، وبمقابلة امريكا الجنوبية ، ولم تكن وعورة هذه المناطق ، وظلام الاسرار والطلاسم التي يحيط بها مما يغري كثيرا على المغامرة فيها . . . المغامرة التي تعني الموت في كثير من الاحيان ، وقد لقي الرائد « كوك » حتفه بالفعل في المنطقة نفسها ، وفي جزر الساندويتش سنة 1779 .

وخلال القرن التاسع عشر ، تواصلت حركات الارتياد والاكتشاف خلال القارة القطبية الجنوبية ، وتبرز بهذا الصدد أسماء مهمة كالروسي «بيلينهاوزن» الذي اكتشف سنة 1821 جملة مناطق واقعة غرب الانتاركتيكا ، وبمقابلة القارة الامريكية تقريبا ، اطلق عليها ارض بيير الاول ، والكساندر الاول ، ودعى البحر الواقع في المنطقة ببحر « بيلينهاوزن » والرائد « ويدل » الذي توغل سنة 1823 في البحار الجنوبية المحيطة بالقارة القطبية في نفس المنطقة القريبة من امريكا اللاتينية ، واطلق على جزء من المحيط القطبي الجنوبي اسم جورج الرابع وكالانجليزي الكابتين « بيسكوي » الذي تمكن من اكتشاف أرض اندربي جنوب المحيط الهندي ، وارض كراهام ، القريبة من جنوب امريكا ، والارخبيل الذي يحمل اسمه « ارخبيل بيسكوي » .

وفي اوائل سنة 1840 تمكن الرحالة والبحار الفرنسي الشهير الليوتنان « ديمون دورفيل » من اكتشاف ارض « اديلي » المقابلة لـ « اوستراليا » و « طاسمانيا » والممتدة على شكل مثلث حاد الزاوية من شواطيء القارة القطبية الجنوبية الى صميم القطب نفسه ؛ وقد اطلق البحار الفرنسي اسم « اديلي » على الارض القطبية المكتشفة ، تكريما لزوجه التي كانت تحمل هذا الاسم ، وقد عملت فرنسا منذ ذلك الحين، على تحقيق ملكيتها لهذه الارض ، حتى تمكنت من حمل الدول المعنية بامر القطب الجنوبي كأوستراليا — مثلا — على الاعتراف لها بهذا الامتلاك ، واعلان ارض « اديلي » هكذا — رسميا — على انها ارض تابعة لفرنسا .

وبرز الرائد الانجليزي « روس » في سنة 1881 باكتشافه المنطقة المدعوة بـ « ارض فيكتوريا » وهي عبارة عن امتداد ارضي طويل يتجه من الشمال الى الجنوب نحو محور القطب ، وكان من بين المكتشفات التي عثر عليها « روس » سلسلة جبال قطبية دعيت بـ « سلسلة الاميرالية » وبركانان عظيمان في حالة نشاط اطلق عليهما روس اسمي سفينته .

وقد تواصلت أعمال الارتياد — بعد ذلك — في اوائل القرن الحالي حيث توجهت في خلال سنة 1904 بعثة المانية ، لزيادة استكمال المعلومات حول « ارض فيكتوريا » وغيرها ، وتمكنت تلك البعثة من اقامة مراكز مراقبة استعانت بها في اعمالها الاستكشافية الشاقة ، وسارت اعمال الارتياد بعد ذلك بمثل هذه الصورة المحدودة الى ان دخل عهد التعاون العلمي في العالم ، مرحلة حاسمة ، وامكن تنظيم السنوات الجيوفيزيائية الدولية التي مكنت العلماء من تذليل صعوبات القطب ، بما لم تستطعه البعثات العلمية الخاصة ، واصبح في مستطاع العلم الان ان يتصرف بقدر كبير في تلك المنطقة النائية من العالم فاتحا باب الامل الكبير في السيطرة عليها ، وانتزاع المكنونات التي انطوت عليها منذ العصور الجليدية في الارض .

* * *

كان من اولى مظاهر التعاون الدولي حول عالم المنطقة القطبية الجنوبية السنة القطبية التي نظمت في بحر سنة 1882 — 1883 ، ولم تكن الوسائل التقنية للاستكشاف متوافرة بالصور التي توافرت في العقود الاخيرة من هذا القرن، الا ان السنة القطبية التي اشرنا اليها كانت — مع ذلك — ذات فائدة لقضية التعرف على القطب ، وتعزيز الجهود المحدودة التي كانت تبذل في هذا السبيل — وقد سبقنا الحديث عن بعضها في الفقرة السالفة — وفي اوائل الثلاثينات من قرننا الحالي

قام الملأ العلمي الدولي بمبادرة اخرى ذات اهمية اكثر وكان ذلك فيما بين سنة 1932 و 1933 حيث نظمت سنة قطبية ثانية ، شملت البحث عن اسرار كل من القارة القطبية الشمالية والقارة القطبية الجنوبية ، وخاصة الاسرار ذات الصبغة العلمية في هذه المناطق ، وهي اسرار كثيرة جدا ، وذات نطاق شامل ، يهم مجموع الحياة الطبيعية في الكرة الارضية ، وبعد نحو ربع قرن تقريبا ، عقدت في غضون الفترة المتراوحة بين سنة 1957 الى 3 دجنبر 1958 الدولية الثالثة للعلوم القطبية ، او كما أطلق عليها : « السنة الجيوفيزيائية » الدولية ، التي عكست بتنظيماتها واستعداداتها وعدد الاعضاء المشاركين فيها ، مقدار التطور الذي حصل في تقنيات الاستكشاف الجغرافي ، ومدى العناية التي يثيرها ذلك عند مختلف دول العالم ، التي لها سياسة علمية ، وقد بذل خلال السنة الجيوفيزيائية الثالثة مجهود علمي ضخم ، على مستوى دولي كبير ، دل على اهمية التعاون الدولي في هذا المضمار ، ودل كذلك على ان المصاعب الطبيعية في القطب ، هي من السعة وكبر الشان بالدرجة التي تتحدى عظمة التقدم التقني المتوفر للانسان المتحضر في هذا العصر ، ومع ذلك فقد احرز خلال تلك الدورة العلمية التاريخية على بعض النتائج الجزئية ، المؤدية الى تحقيق مزيد من التعرف على مكامن القطب الجنوبي وطلاسمه ، ومن ذلك الدراسات التي اجريت حول الجليد القطبي المتراكم ، والذي لا يكاد يعرف له اول من آخر ، هذا الى دراسة الظواهر العجيبة في ذلك العالم ، كالضوء القطبي والعواصف المغناطيسية في القطب ، والبرد الذي لا حد له في المنطقة ، وغير ذلك من الظواهر التي تؤثر بقدر كبير على احوال الطقس في مجموع الكرة الارضية ، ومن شان التحكم فيها ان يؤدي الى مزيد من التعرف على عموم احوال الطقس بالكوكب الارضي والسيطرة عليها من بعض الجوانب ، كما امل العلماء من دراساتهم تلك ، ان يعثرو على جملة من الحقائق العلمية التي قد تؤدي الى القاء اضواء على كيفية نشوء العصور الجليدية المتعاقبة ، وما اذا كان من الجائز ان تتكرر هذه العصور من جديد ، اي ان تتعرض الارض مرة اخرى لاكتساح جليدي عليها ، كما حدث فيما قبل التاريخ ، واجرى العلماء الكثير من الابحاث من هذا القبيل ، واملوا منها التوصل الى شيء كثير ؛ غير ان غوامض الطبيعة ــ كما دل عليها عالم القطب ــ شمالا وجنوبا ــ هي اقوى من اي كشف علمي ، واضخم نطاقا ، واوسع حيلة ومذهبا وكذلك كان يوم ان وجد العلماء ان امامهم اجيالا ، وازمنة عديدة ، لكي يستطيعوا فتح مغاليق القطب الجنوبي ، الامر الذي يجعل التصرف العملي في القارة القطبية الجنوبية ابعد ما يكون عن دائرة الامكان غير المحدودة على الرغم من انه وقع منذ بعيد تجزئة القارة تجزئة نظرية على بعض الدول كما اسلفنا ، وتم وضع حدود مفترضة ، تحدد مجال سيادة هذه الدولة او تلك ، بينما الواقع هو ان مجموع القارة القطبية الجنوبية ، لا تزال تشكل منطقة عذراء من الارض ، ويقتضي الحال ــ اولا ــ التعرف عليها وامتلاك زمامها عمليا لكي يمكن وضع حدود ، او مناطق محددة فيها على صورة من الصور . فما هو الحال اذن بهذا الشأن؟

* * *

من كل ما تقدم ، نجد ان الساعة بالنسبة للقارة القطبية الجنوبية الآن ، هي ساعة العلمية قبل اي اعتبار آخر ، فقد استبعدت الاعتبارات الستراتيجية العسكرية عن المنطقة بالاتفاق الحاصل الان على المستوى الدولي العالي ، والقاضي بامتناع اية دولة من الدول الكبرى عن استغلال القطب او اية ناحية من « الانتاركتيكا » للاهداف العسكرية أو شبه العسكرية وباستبعاد الجانب العسكري هكذا من علاقة الانسان بـ « الانتاركتيكا » وقع ضمنيا استبعاد الجانب السياسي ، اي جانب المنافسات السياسية الدولية الحادة حول المنطقة ، وهكذا صار المجال متسعا ــ اكثر ما يكون الاتساع ــ للاغراض العلمية الخالصة ، بيد اننا ندرك ان الاغراض العلمية ــ في عصرنا الحاضر ــ تتمازج ــ بقدر كبير ــ مع الاهداف السياسية والعسكرية ، وان العلم كثيرا ما يسخر لخدمة مآرب الستراتيجيين في الاجل البعيد ، ومن اليهم من ذوي الخطط التوسعية ، غير العلمية ، لكننا لابد ان نتذكر من جهة اخرى ــ ان المنطقة القطبية الجنوبية او «الانتاركتيكا» تهم ــ كما راينا في الفقرات السابقة ــ مجموع سكان الكوكب الارضي ، الذين تؤثر عليهم تلك المنطقة تاثيرا جديا بمساهمتها في تكييف حالة الطقس ، والاحوال الطبيعية العامة في الارض ، ان اهمية « الانتاركتيكا » باعتبار هذا الامر ، لاتقل عن اهمية العلاقة بين الارض ، وعوالم الفضاء الخارجي ، وهي العلاقات التي يتصب القانون الدولي اليوم ، على تعقيدها وبلورة اسسها ، بما يتفق مع الحقوق الدولية الاساسية ، فهل يسير الامر ــ بالنسبة للقطب الجنوبي ــ على نفس الوتيرة ، فيتجه النظر القانوني الى تامين حقوق ومصالح الدول جميعا في تلك المنطقة الحيوية من الارض ؟ .

المهدي البرجالي



لمحة عن نشأة الشيعة واصل تسميتها :

فرقة الشيعة هي من جملة هذه الفرق الاسلامية التي نشأت بعد وفاة الرسول (ص) نتيجة الاختلاف في من يجب ان يلي امر المسلمين ، وتتلخص فكرتها في « الايمان بأن الامام يتولى الحكم ، ويحكم بارادة الله لا بارادة الناس » (1) ، والامام هو علي بن ابي طالب الذي كان قد أوصى له الرسول في نظرهم بالخلافة ، ووصيته لم يكن الدافع اليها ما بينهما من وشائج القربى فحسب ، بل ان الله قد اوحى الى نبيه بذلك في الآية الكريمة : « وانذر عشيرتك الاقربين » (2) ، فاسناد الخلافة الى علي كان يجب ان يقبله المسلمون ، ليتمموا دينهم ، من غير أن يحاول أحد اثارة النقاش او التشاور في الامر ، حتى لا يتنكب عن محجة الدين ، وهذا في راي الامامية بصورة خاصة .

وقد اتفق الشيعة في القول بان الرسول هو اول من اطلق هذه الكلمة على من احب عليا وتابعه ، جاء في كتاب الصواعق المحرقة لابن حجر ، وفي كتاب النهاية لابن الاثير ان النبي قال : « يا علي انك ستقدم على الله انت وشيعتك راضين مرضيين » ، وجاء في الدر المنثور للسيوطي ان النبي قال : « ان هذا ـ واشار الى علي ـ وشيعته لهم فائزون يوم القيامة » (3) .

فهل يحق لنا الاعتماد في اصل تسميتهم على ما ذكروه ؟ واذا صح ان الرسول قد قال هذين الحديثين، فهل يكفي وجود كلمة شيعة فيهما ليكون اصلا لتسميتهم، مع ان هذه الكلمة تحمل معنى لغويا معروفا وبالامكان ان تقال ـ ان لم تكن قد قيلت بالفعل ـ في حق اشياع اي صحابي جليل آخر . ثم اليس ان هذه التسمية جاءت كنتيجة طبيعية من كثرة شيوعها بين الناس من دون ان يكون هناك شخص معين يرجع اليه اصل اطلاقها . ؟ اذا تجنبنا اعطاء الجواب من انفسنا وذهبنا عند أهل السنة لنستعيره ، سنجدهم لا يوافقون الشيعة على ذلك ويرفضون الاخذ برواياتهم وباحكامهم ، لان العاطفة هي التي كانت تكيفها وتوجهها بحسب ما توحي به نوازعهم المتأثرة بحب آل البيت ولذا جاءت في رأيهم غير منطقية ، وقد وقف الشيعة نفس الموقف من اهل السنة فاعرضوا عن الاخذ منهم واكتفوا بامتصاص ما هو صادر منهم ، وبذلك انكمشت كل طائفة وانطوت على نفسها وتقوقعت وعاشت في

---

1) الشيعة والتشيع ـ محمد جواد مغنية ـ ط : 1 ـ ص : 12 ـ دار الكتاب اللبناني .
2) نفس المرجع ص 14 .
3) تاريخ الشيعة ـ محمد حسين المظفر ـ ط 1 ـ ص : 50 ـ النجف .

محيط محدود بعد ان تجذرت عروق النقمة والعداوة بالنسبة لكل فئة ازاء الاخرى ، وبسبب هذه الظاهرة فمن الاجدى ان لا نتبنى جواب السنيين ، ونحاول ان نصنع من مجموع هذه الآثار التاريخية جوابا اقرب الى الواقع في اعتقادنا ، وهو ان هذه التسمية لا نستطيع ربطها بالحديثين الآنفين لاسباب شتى فهي جاءت كنتيجة طبيعية للدلالة على رفاق نذروا انفسهم لصحبة علي رضي الله عنه ، اذ نعلم ان كثيرا من الصحابة كانت تجمعهم به روابط قوية ، وقد تشيعوا له في عهد عثمان ، ومنهم ابو ذر الغفاري،وعمار ابن ياسر ، وحجر بن عدي وغيرهم ممن تبرموا بالحكم ومهدوا بطريقة غير مباشرة لثورة الجماهير ضد عثمان .

بقي لنا ان نتساءل عن سبب هذه الجفوة التي حصلت بين الشيعة واهل السنة .

الواقع ان منشأها سياسي صرف ، فلم يقو على البروز بوجهه الكالح الا بعد ان اخذت جماعة من الصحابة تتطلع الى السلطان وتريد الاستحواذ عليه ، وكأنما عاد بذلك عجاج النزعة القبلية ليملأ العراء وليفسد الجو العربي الجديد . واخذت الجماعات المختلفة تتجاذب رداء الخلافة لتستأثر به دون سواها؛ فالانصار والمهاجرون والامويون ، وغير هؤلاءممن جاءوا في اعقابهم كبني تميم ، كل جماعة من هذه الجماعات كانت تريد ان تكون هي سيدة الموقف ، مع اختلاف نظرة الواحدة عن الاخرى وتباين شعورها ازاء هذا الدين الجديد ، فبعضها كان مغموزا في اسلامه ، وكان مدفوعا بروح القبلية التي كانت ما زالت بقايا منها في النفوس ، فعادت لتفرخ بين جوانح كثير من الناس ، ولتسيطر على وجدانهم ، فاستهواهم ما كان لهم من ذكريات في مرابع الجاهلية وكلفوا بها ونفر اطمئنانهم من الاسلام ، وكادوا يشرفون بوجوههم على اعتاب الجاهلية الجاهلة لولا انهم وجدوا المجابهة القوية الرادعة ، ونقصد من هؤلاء التميميين وادعاء «سجاح» فيهم للنبوة وارتدادهم عن الاسلام في عهد ابي بكر ، ووقوفهم في وجه الخليفة الرابع علي بن ابي طالب ، ولا نريد الخوض في هذه النقطة ، ونكتفي بهذه الاشارة لنؤكد على ضوئها ان الاطماع السياسية والعصبيات تدخلت في الموضوع لتصبغه بلونها المتغاير .

هؤلاء الشيعة الذين لم يستطيعوا الانفلات من الوقوع في هذه الحماة ، لم يستطيعوا ايضا الانسلاخ عن اطماعهم السياسية ، فقد اتخذت مطالبتهم بالخلافة لونا مشفوعا بالمغيبات ، وقد اضفى عليه الفرس هالة من التقديس ، بحكم ما لهم من موروث ، ومن تعود على تقديس ملوكهم ، فاندفعوا بتأثير ذلك وبتأثير حبهم لآل البيت الى الارتماء في احضان الشيعة والدعوة لها ، وهناك عامل آخر شجعهم على هذا الارتماء ، هو ازدراء الامويين لهم الى درجة اصبحت معها مخزاة المفاضلة الاعتباطية امرا عاديا بالنسبة للعنصر العربي ازاء الموالي ، واصبح الشاعر العربي لا يجد اي تحرج في ان يقول :

يا مالك بن طريف ان بيعكم
رفد القرى مفسد للدين والحسب

قالوا نبيعكه بيعا ، فقلت لهم :
بيعوا الموالي واستحيوا من العرب

لقد تفتحت عقلية الشيعة على الفرس وتفاعلت افكارهم مع افكار هؤلاء ، فحصل تزاوج ادى الى بروز هذا اللون الجديد في العالم الشيعي ، ومع الاستمرار قوي اللقاح للعقيدة الشيعية واخذت بعد انصرام فترة وجيزة تعطي غلالا غريبة تنقصها النكهة الاصيلة ويعوزها الطعم العربي ، وبذلك اتخذت طابعا مميزا يجمع بين كثير من المتناقضات المتمثلة في جنوح الشيعة الى الجمع في عقيدتهم بين الخرافة ، والعاطفة، والسياسة ، والدين ، بل اننا نجدهم يجمعون بين مناهضة الدين وبين الاستمساك به في آن واحد كما سنرى .

فلسفة الشيعة وبواعثها :

لقد ارتكزت عقيدة الشيعة كما قلنا على قاعدة تتألف من الخرافة والعاطفة ، والسياسة ، والدين ، والتعارض مع الدين ، ورغم ان هذه المتناقضات توحي بداهة بانها بعيدة عن المنطق ، فان الشيعة استطاعوا ان يوفقوا بينها وبينه ، فجعلوها منطلقا لدعواتهم . وكانت تتألف من عناصر تجريدية وافكار اسطورية تتجاوز الواقع بمراحل كبيرة وتمعن في البعد عنه . فدعوات الشيعة اخذت تدور حول اربع نقط . هي : العصمة ، والمهدية ، والرجعة ، والتقية .

والملحوظ ان الشيعة ذهبت مذاهب شتى في تفسيرها ، فساعد ذلك على توسيع افقها ، وازجى عليه رياحا من الخيال والخرافة التي لا يستسيغها احد ، ولكن الانسان الشيعي استساغها واجهد نفسه قصد ايجاد نوع من التفاعل بينها وبين غيرها ، فنتجت

عن ذلك مضاعفات خطيرة ظهر بعضها في نزوع فئـة الى وضع احاديث وادعاء نسبتها الى الرسـول (ص) لتعزيز الموقف والنيل من الخصوم ، الشيء الذي لم يعد معه بالامكان الاطمئنان الى كثير منها ، وخاصـة تلك التي اصبحت مفعمة باستكناه الغيب ، وقد كثـر النحل بشكل مهول ، وكثـر التاويـل بالقيـاس الى الآيات القرءانية ، وحاولت بعض الفرق الاسلاميـة مجاراة هؤلاء فيما قالوا به ، وتأثـر الصوفية بهـذه العقلية وبرزت عندهم في لون آخر ، واستحدثت اشياء كانت وطأتها شديدة على الاسـلام ، واصبـح تقبـل الشيعة للافكار الغريبة مستمرا في مختلف الفتـرات التي اعقبت عهدهم الاول ، ومن ذلك ما نتج من تفاعل بينهم وبين الافلاطونية الحديثة التـي ساعدتهـم على القول بكثير من الاشياء ، حيـث استفـاد « الاثنـى عشريون » من « اخوان الصفا » الذين وضعوا لهـم تعاليم تتابرج في تسع درجات ، وهي في عمقها تنـال من الاسلام وتثير الشكوك حوله ، وقد اهتبل اشياعهم وتنكبوا عن الجادة عندما اقحم اقطابهـم العقلانيـة في أعطاء تفسيرات غريبة لبعض مقومات الدين مثل رمي الجمار ، والسير بين الصفا والمروة ، وقد اعطوا تأويلا خاصا للوحي يصطبغ بالاخلاق عندما ذكروا انه صفاء في النفس ونقاء في السريرة ، وان القرءان لا يزيد عن انه رموز يعرفها العارفون الذين لا يعطون للمادية اي اعتبار ، ويؤثرون الاستنباط والغوص للاستكشاف عن اللآلئ في الصدفات ... ومساق هذه الفلسفة عندهم اخـذ يمعـن فيما بعـد في البعـد عن روح الاسـلام واستهدف « الانسلال من الدين كانسلال الشعرة من العجين ... وضربوا سهام الراي في استنباط تدبير يخفف عنهم » (4) .

وكما لاحظنا سابقا فان الشيعـة يعتبـرون ان نشأتهم تلتصق بصميم الاسلام ، وان خلافة علي كانت بوحي الهي ، بمعنى انهم نشأوا في مهجة الديـن ، على حين اننا نراهم الآن ، وبعد فترة من الزمن ، ينزعون الى القول بمغيبات تتعارض مع روحـه وتستهـدف اجتثاث اصوله .

وهنا يتبادر الى الذهن الاعتقاد بان عناصـر هدامة اندست بين الشيعة لتكيد للدين الجديد ولتزرع الالغام بين أرجل المخلصين في هذا الحزب والكلفين الى حد الهيام بالرسول وآل بيته المطهرين ، واذا سرحنا الطرف بعيدا سنجد انه كان هناك اشخـاص كـادوا للاسلام حقا ، وعلى راسهم عبد الله ابن سبـا الذي كان يهوديا واسلم ثم ارتد الى دينه مع المرتدين ، ثم عـاد فاسلم ، ويوخذ من تاريخه انه وضـع تعاليـم لهـدم الاسلام ، والف جمعية سرية لبث تعاليمه ، واتخـذ الاسلام ستارا يستر به نياته ، نزل البصرة بعـد ان اسلم ونشر بها دعوته فطرده واليها ، ثم اتى الكوفـة فاخرج منها ، ثم جاء مصر فالتف حوله ناس من اهلها . واشهر تعاليمه الوصاية والرجعة (5) ، والمعروف ان اليهود يقولون بالرجعة ، لهذا فهي فكـرة دخيلـة على الشيعـــــة .

فما هو الباعث الحقيقي الذي دفع الشيعة الى تبني هذه الافكار ، واقحامها ضمن معتقداتهم الاخرى؟ وما هي الاسباب التي دفعتهم الى الاحتكاك بالافلاطونية الحديثة ، والجنوح نحو الخرافة .. ؟

الجواب هو ان الضراوة والقسوة والفتك الذي كان رجال السلطان يقابلونهم به ، هو الذي جعلهـم لا يميزون بين شيء وآخر ، فاندفعـوا ياخـذون بدون ادنى حيطة كل شيء اعتقدوا انه في مصلحتهم وخلطوا بين الدين والسياسة ، وحصلت هذه المعضلـة التـي اصبحت لازمة لهم ، وقد استغل سذاجة الشيعة بعض النفعيين ممن كانت لهم مصالح ودوافع خاصة وغرروا بهم وجعلوهم يعيشون في شبه غفلة عن دينهم ، واستمر اخذ الشيعة من الاخريـن حتـى بعد انصرام عهـد الامويين ، بدافع تعودهـم على ذلـك في السابق كمـا اوضحنا سالفا .

وسنحلل فلسفة الشيعة من خلال مصطلحاتهم الاربعة بقليل من الايجاز ، وسنحاول الوصول الى مدى ارتباطها بحياتهم العملية ، ولن نتوسل بالحيل ، كمـا لن نتجاوز الواقع ولن نجـيء بالاحكـام التجريديـة المختلقة ، بل سنحاول ان نبعث مظاهـر الواقـع عن طريق الفكر وان نبرز بعضا من الصلات التي نعتقـد انها تجمع بين اقوالهم وافعالهم .

العصمـــــــة :

ويقصد بها الشيعة (ان الائمة كالانبياء معصومون في كل حياتهم ، لا يرتكبون صغيرة ولا كبيرة ولا تصدر عنهم اية معصية ، ولا يجوز عليهم خطأ ولا نسيان)(6)

---

4) « فضائح الباطنية » ـ ابو حامد الغزالي ـ تحقيق د . عبد الرحمن بدوي ، ط : 1 ـ ص : 18 .

5) فجر الاسلام ـ ص : 269 ـ ط : 6 .

6) ضحى الاسلام ، ج 3 ـ ص : 226 ـ ط : 6 .

ان مجمل عقيدتهم كان ينحصر في ضرورة اسناد الخلافة الى ائمتهم ، وتشعب افكارهم وتضاربها لم يغير من هذه الحقيقة ، بل ان محور هذه الافكار المتشعبة المتضاربة يدور لاجل غاية ثابتة ، هي ضرورة اسناد الخلافة الى واحد من ائمتهم ، ولذلك حاولوا ان يضفوا على الامام هالة من التقديس المطلق ، فهو كما قال الرضا : (كالشمس الطالعة المجللة بنورها العالم ، وهي في الافق بحيث لا تنالها الايدي والابصار ، الامام البدر المنير ، والسراج الظاهر ، والنور الساطع ، والنجم الهادي في غياهب الدجى ، واجواز البلدان القفار ، ولجج البحار ، الامام الماء العذب على الظما ، والدال على الهدى والمنجي من الردى ... الامام المطهر من الذنوب ، والمبرأ من العيوب ، المخصوص بالعلم ، الموسوم بالحلم ، نظام الدين ، وعز المسلمين ، وغيض المنافقين وبوار الكافرين ، الامام واحد دهره ، لا يدانيه احد ، ولا يعادله عالم ، ولا يوجد منه بدل ، ولا له مثل ولا نظير) (7) ، فالملائكة تدخل بيوت الائمة وتخبرهم بكل شيء (8) .

لقد جسد الشيعة مثلهم الاعلى في الامام ، وساعد وجودهم في المعارضة على التأثير على عقول الدهماء كما ان تبرم الناس بالحكم الاموي ، وخاصة الموالي ، جعلهم ينحازون اليهم ، فكتب لهذه الفكرة ان تلقى القبول والرضى من لدن الكثير ، وبدافع الحماس والرغبة في تقويض سلطان بني معيط ، اخذوا يتلقون الافكار المستوردة بنهم ، دون اعارة اي اهتمام لما قد يترتب عن ذلك من اخطار كما اوضحنا سابقا ، فالمهم هو ان تساعدهم على جلب الانصار وكسبهم ، اما امر الدين ، فهذا هو الشيء الذي لم يكن يعنيهم الا من الجوانب الاخرى التي لها التصاق بمصالحهم واطماعهم السياسية .

لقد اطمأن انصارهم الى العصمة ، وقدروا ما للقول بها من تمجيد لمرغوبهم يمدهم بالرفد ، ويحبوهم بالاحترام ، ويضعهم في منزلة فوق منزلة الناس جميعا ، كما ان فيهم من قدر الامر على منوال آخر له ارتباطه بمصالحه وشؤونه الخاصة ، المهم ان الاطمئنان الى العصمة كان جماعيا بعد ان تدخلت القوة وبدا التنكيل، فكان للالم دوره الفعال في اعطاء هذه الشمولية لرواج هذه الفكرة .

المهـــديـــــة :

والمهدية هي ايضا زيادة في التقديس ومبالغة فيه ، مع جانب رمزي آخر ترمز اليه ، ومجملها ان الامام الثاني عشر له غيبة (واذا بلغكم عن صاحب هذا الامر غيبة فلا تنكروها) ، وهذا الامام هو المهدي المنتظر الذي سيخرج ليملأ الارض عدلا وقسطا كما ملئت جورا وظلما .

ونشتم من القول بالمهدية رائحة الرمزية تضوع بقوة وتخرج بها عن حيز الوقوف عند التقديس لتجعلها دلالة على ان الحكم سيعود لائمتهم ، فالواضع الاول للفكرة كان يقصد هذه النقطة ولم يرد الافصاح عنها خوفا من البطش ، غير ان طبيعة العصر وقرب عهد الناس بالجاهلية ، وقابلية العقيدة الشيعية للتكيف مع الخرافة ، قد انحرف بهذا المعنى الرمزي الى المعنى المجرد المعروف من خلال اللفظ ، فاخذ الناس المهدية بمدلول لفظها ، وساعد الجهل على اقتناعهم بمحتواها الظاهر ، وبذلك لم يؤد المعنى الذي قصده واضعها الاول الذي كان يريد المحافظة على الاشياع حتى لا يصرفهم التنكيل ويثنيهم الاضطهاد عن الحزب الشيعي، باعطائهم التأكيدات بان الخلافة ستعود للطالبيين ... ولكن ، انى للناس ان يفهموا هذا المعنى الرمزي وهم على ما هم عليه من الانغلاق والجهل ؟ . ان صفوة المفكرين والمثقفين والشعراء اتخذت المهدية نفس الفهم الخاطيء الذي اتخذه الطغام ، فالشاعر السيد الحميري كان يعتقد ذلك ويكثر من ترديده ، كما ان كثير عزة قبله كان يؤمن ان المهدي المنتظر هو محمد ابن الحنفية المقيم بجبل رضوى ولديه هناك عسل وماء كما في قوله :

وسبط لا يذوق الموت حتى
يقود الخيل يقدمها لواء
تغيب لا يرى فيهم زمانا
برضوى عنده عسل وماء

ولقد اختلف الشيعة في شخص الامام المهدي ، فالامامية يقولون انه علي بن ابي طالب ، كما ان منهم من ذكر انه جعفر الصادق ركيزتهم في الفقه والعلوم الدينية ، كما ان هناك من اعتقد غير هؤلاء ، والسبب هو ان الفكرة وجدت استعدادات لتلقيها وترويجها ،

---

7) نفس المرجع ـ ص : 227 .
8) نفس المرجع ـ ص : 227 .

فزاد البعض من عنده في اغنائها بالصور والظلال ، كأنها لوحة او قصيدة شعر ، واجتهد البعض الاخر في اعطائها الوانا اخرى دخلت بها جو الاسطورة الخالص ، وحصل تسابق سياسي هائل في المهدية بالخصوص ، حيث قال الامويون بقرب ظهور (السفياني) نسبة الى ابي سفيان،وسواد الامة كان لا يستبعد ذلك حتى بالنسبة لاي احد ، فكل فكرة اومضت في افقهم ، تركت رسوبها فيهم ، ولما كان ذلك يجد حيزه في العقول ، استغل العباسيون المهدية وتبنوها واوضحوا ان المهدي سيظهر منهم ، وبالجملة فان تسابقا سياسيا هائلا حصل في الموضوع وخرج به عن الطور ، واصبحت معه المهدية شعارا للتمويه .

أمـا الـرجعـة :

فهي تتمة لصورة المهدية ، ومجملها ان الرسول، وعلي، والحسن والحسين ، وابي بكر ، وعمر ، وعثمان، وطلحة ، والزبير ، ومعاوية ، ويزيد ، سيعودون الى الحياة ، وسيحاكم الشيعة الاخيرون وسيصلبون جزاء على ما قاموا به من اغتصاب لحقوق الائمة .

امـا التقيـة :

فهي تسمح للشيعي بان يظهر للناس خلاف ما يبطن .

وبالرغم من ان هذه المصطلحات تمثل وحدات متباعدة ، فان حماسة الشيعة اوجدت كثيرا من الصلات بينها ، بحيث امست تجسد كل القيم التي ينشدها الشيعة . وعندي ان الالم كان له دور اساسي في تبنيهم لهذه المصطلحات وفي اضافة هذه الاضافات لها ، لقد كان الالم يعتور احاسيسهم ويعتمل فيهم ، نتيجة الضراوة التي كان يقابلهم بها بنو معيط ، فالالم من أهم الاسباب التي دفعتهم الى اضفاء هذه الهالة من التقديس على المتهم ، والى البروز بهذه العاطفة الملتاعة المشبوبة التي تجمع بين لونين ، لون الغضب الحائق وحب الثار وتطلع نهم اليه ، والارهاصة الدالة على هذه الحقيقة ، ما يمتون به انفسهم من قول بالرجعة التي ستتم فيها عملية الانتقام والمحاسبة ، ولون الحزن الممض الذي كان الشعر والخطب ومختلف فنون القول الاخرى المعروفة حينئذ ، مرآة صافية تعكسه وتصوره ، وقد جاءت التقية وكانت (وسيلة يستترون بها ضعفهم واساليبهم في الدعوة السياسية ، مخافة التنكيل بهم وانقطاع آمالهم وآمال الناس فيهم) (9) ، فصانعوا بها الخصوم ، وكانت لهم وقاء في اغلب الاحيان ، والالم كذلك هو الدافع الى تقبلها والاطمئنان لها والى خلق اسباب وجودها وربط كل ذلك بسلوك علي رضي الله عنه مع الخلفاء الثلاثة الذين سبقوه .

لقد مزج الشيعة بين عاطفتهم وسياستهم في ايجاد هذه المصطلحات ، وكأنهم بترويجهم لها كانوا اقرب الى المثاليين بالمفهوم المعاصر — وهذا بالنظر الى الشيعة ككل وخلال عهدهم الاول — فهم كانوا يعتبرون ان واقعهم مريض ، ويتحتم تغييره بواقع آخر احسن منه ، ولن يتم ذلك الا بتقويض سلطان الامويين بطريقة او باخرى ، وخصومهم كانوا على كامل الدراية بما تفيض به قلوبهم ، فساموهم الخسف وقتلوا وصلبوا ، وكانت الانطلاقة الرسمية للتنكيل بهم قد ابتدأت مع فاجعة « كربلاء » ، هذه الفاجعة التي كانت هي النقطة التي افاضت الكأس ، وغمرت الجوانح بلهيب البث واوار التفجع ، واصبحت هي الطاقة التي يستمد منها الشيعة قوة حزنهم وحرارة عاطفتهم .

ولئن كنا مؤمنين اشد الايمان بان هذه الدعاوي باطلة وليست بحاجة الى تكذيب ، فانه لا يعقل منطقيا ان (شخصا قد مات سيبعث قبل يوم البعث ليحارب ويحكم ويقتص ويعدل بين الناس) (10)، ولكنه التأثر بهذه التيارات العقائدية والفلسفية المختلفة بالاضافة الى مختلف صنوف العذاب وضروب الضيم ، جعلهم يطمئنون الى كل ذلك ويجهدون انفسهم قصد ايجاد الصلات الضرورية بين هذه المصطلحات وبين حياتهم الواقعية .

يتضح من هذا التحليل المتواضع جدا انه الى جانب عمل اولئك الذين اندسوا بين الشيعة لتقويض تعاليم الاسلام ، فان الشيعة جميعا تغلبت عليها اطماعها السياسية وتفتحت بتلقائية على ما روجوه بينها من افكار ، بل انها حملتها وانطلقت تضرب بها في التيه ، وتضيف اليها كل فكرة غريبة ، فاتسعت الرقعة ،

9) تاريخ الشعر السياسي — ص : 188 — ط : 2 .

10) ادب السياسة في العصر الاموي — للحوفي — ص : 77 — ط : 2 دار : نهضة مصر للطبع والنشر .

وكثرت الالوان، وزادت بذلك فلسفتها غرابة وتعقيدا، واتضح ايضا انها كانت تحمل نقطة ثابتة في اذهان بنيها ، هي انهم اصحاب هذا الملك الذي اغتصبه منهم الامويون ، وهم ملزمون ضرورة بالدفاع عن هذا الحق الاصيل . ولا شك ايضا ان شيئا واحدا يتجلى لنا بارز الوضوح فيما اوضحناه ، وهو الالم الذي كان دوره كبيرا في اعطاء الشيعة هذه القابلية الكبيرة لتلقي مثل هذه التيارات الغريبة .

انعكاس ذلك في ادبهم :

والادب الشيعي لم يكن بمعزل عن هذه التيارات بل انه توسع في التصوير ، وامد الشيعة بالحجة والبرهان ، وكان حطبا جزلا للثورة ووقودا للتمرد على الحكم ، ورغم ان شعراء الشيعة لم يختصوا بمذهبهم اختصاص الخوارج ، فانهم كانوا صادقين في دعوتهم الى آل البيت ، ويعد شعرهم (ادبا جديدا في موضوعاته واساليبه ومعانيه ، وان لم يبلغ طابع الشعر الخارجي نصاعة وحرية) (11) ، لقد ظهر شعرهم وعليه طابع الحب لآل البيت ، وآثار التفجع (والحزن على هؤلاء المغصوبين المشردين الذين لا يملكون قوة مادية كالتي يملكها خصومهم ، ولا يجترئون على الحق كما اجترأ خصومهم ، فعاشوا يرون الدنيا عليهم ، وينقمون من السياسة مجافاتها للمقاييس الدينية والخلقية ، واطلقوا هم وشعراؤهم السنة ساخطة حزينة اثمرت شعرا غلب عليه الحزن حتى في ابواب الاحتجاج) (12) ، ويتضح شيء من هذا في هاشميات الكميت ، فقد كان فيها بحق ، صوتا مجلجلا احيانا ، رقيقا احيانا اخرى ، ولكنه في كل ذلك كان متنفسا للشيعة من آلامهم وكان يعبر عن نخوتهم وعدم خوفهم حتى من الظبا والقطيع ، فلنستمع اليه وهو يقول :

فقل لبني امية حيث حلوا
وان خفت المهند والقطيعا
الا اف لدهر كنت فيه
هدانا طائعا لكم مطيعا
اجاع الله من اشبعتموه
واشبع من بجوركم اجيعا
ويلعن فذ امته جهارا
اذا ساس البرية والخليعا
بمرضى السياسة هاشمي
يكون حيا لامته ربيعا

لقد كان الشعر يضفي من خياله على فلسفة الشيعة ما يكسبها جمالا تستجيب له الاحاسيس الشيعية وتتواجد معه ، فهو انفعال ينطق بلسان الشعور ويترجم ما يعتور الدواخل من مشاعر ، فلم يكن تعبيرا عن الافكار والتصورات فحسب ، وانما كان وجدانا ايضا ، كان حصيلة لثقل هذه السنابل الخصبة، وهو الى جانب ذلك ارتبط ارتباطا وثيقا بالعقيدة الشيعية في كل وجوهها ، وخاصة منها الوجه المتجسم في الدين ، واشترك في الدعوة اليها والتبشير بتعاليمها، وتاكيد مصطلحاتها ، بل ان الشعراء وجدوا في هذه المصطلحات لمسات من الاحساس الفني ، وصور جمالية عديدة ، فجاءت انفعالاتهم الصادقة لتعطي لقصائدهم الدفء اللازم ، فتشابك اذذاك الشعر مع تعاليم الشيعة ، واصبحت سمة ظاهرة فيه لا يتجرد عنها وباتت تؤلف خاصية هامة من خصائصه العامة ، بمعنى انه ارتبط بحياة الشيعة وامدهم بشمم . واسعفهم بهمة ، وانطلقت من اجل عقيدتهم عتاق مدارك الشعراء ، وتبارت في تمجيدهم جياد اقلامهم لتترجم ما ينتابهم من هوان وبث ، سواء من طرف الامويين ام من طرف الزبيريين الذين قال في راسهم كثير عزة عندما حبس محمد بن الحنفية في سجن عارم :

تخبر من لاقيت انك عائذ
بل العائذ المظلوم في سجن عارم

على ان هناك من الشعراء من كان شيعيا بقلبه فقط وامويا بعقله ، ومن هؤلاء ايمن بن خريم الاسدي ، ونجد جدة في معانيه وصورا جديدة اعجب بها بعض خلفاء الامويين انفسهم ، وهو في هذا النزوع العقلي الى الامويين كان مخلصا – ككثير من شعراء الشيعة – لمبدا التقية الذي يبيح له ذلك ، فلم يات اذن نكرا يبتعد به عن افق تعاليمهم ومصطلحاتهم .

ومن شعره ما قاله في الهاشميين :

نهاركم مكابدة وصوم
وليلكم صلاة واقتراء
وليتم بالقرءان وبالتزكي
فاسرع فيكم ذاك البلاء

11) تاريخ الشعر السياسي – ص : 193 .
12) نفس المرجع – ص : 192 .

بكى نجد غداة غد عليكم
ومكة والمدينة والجواء
وحق لكل ارض فارقوها
عليكم ، لا ابا لكم ، البكاء
اجعلكم واقواما سواء
وبينكم وبينهم الهواء
وهم ارض لارجلكم وانتم
لارؤسهم واعينهم سماء

انها مخزاة المفاضلة الاعتباطية هي التي جعلته يعتبر ما دون الشيعة من الناس ، ارضا لاقدامهم وهملا بالنسبة لهم ، ورواج مثل هذا القول بين الطغام ما كان ليرضى الخصوم ، بل كان يزيدهم استعدادا لمضاعفة التنكيل ، في حين انه كان يقع اجمل وقع في نفوس الشيعة الذين كانوا يعتبرون انفسهم يجالدون من اجل حق اصيل سلب منهم ، وهو خلافتهم ، وانهم اجدر بها من كل احد آخر .

* * *

ولئن كانت وضعية الشيعة قد تغيرت في عهد العباسيين ، لانقسامها الى شعبتين : طالبية معارضة ، وعباسية بيدها مقاليد الحكم ، فان تشيع الشعراء للطالبيين او العلويين لم ينقطع ، بل ازداد قوة وصلابة، وخاصة بعد ان كثر في العلويين القتل وعمل فيهم السيف ، وقد عمق التنكيل شعور العلويين بالالم بعد ان اصبحوا موزعين « تطاردهم مناياهم ... ويعيث فيهم بنو العباس » (13) ، لقد شاب قلوبهم شعور بالحسرة من هذه اللعبة التي لعبها عليهم بنو عمهم عندما استأثروا بالخلافة دونهم ، واخذوا يشدون في وجوههم كل باب ، فحجتهم القائلة بانتسابهم الى بيت الرسول (ص) لم تعد تجديهم بل اصبحت عليهم عندما دخل منطق « الفرائض » في الموضوع واصبحت معه الخلافة « تركة » او ميراثا يناله اقرب الاقارب ، وقد صور لنا الشعر ذلك أصدق تصوير ، وشارك بشكل بارز في هذه المعركة بالنسبة للجانبين ، ومن ذلك ما قاله مروان بن ابي حفصة عند مدحه للخليفة العباسي الهادي :

يا ابن الذي ورث النبي محمدا
دون الاقارب من ذوي الارحام
الوحي بين بني البنات وبينكم
قطع الخصام فلات حين خصام
انى يكون – وليس ذاك بكائن –
لبني البنات وراثة الاعمام

وقد كانت وطاة البيت الاخير شديدة على العلويين ، فقام شعراؤهم بتوضيح موقفهم من هذه القضية ، وقد قال احدهم :

لم لا يكون – وان ذاك لكائن –
لبني البنات وراثة الاعمام
للبنت نصف كامل من ماله
والعم متروك بغير سهام

ولم يقف الامر عند الاحتجاج بالشعر وباقي فنون القول ، بل تعدى ذلك عند ما استعمل العباسيون السيف لحفظ ما لهم ولتركيز سلطانهم ، حتى امسى العلويون يتحسرون لانصرام عهد الامويين ، وقد صور هذا احد الشعراء بحضرة احد ائمة هؤلاء فقال :

يا ليت جور بني مروان عاد لنا
يا ليت عدل بني العباس في النار

وقد زاد التنكيل في اساهم وتفجعهم « فكسب الادب من ذلك كله شعرا جديدا قويا حزينا » (14) ، ولعل الشاعر الذي يصور لنا استماتتهم والحاحهم على موقفهم في المطالبة بالخلافة ، هو دعبل بن علي الخزاعي الذي (كان شعره نابضا بالالم والامل والحب والكره ، وكان يسكن اليه كما يسكن الفارس الى سيفه يلصقه الى قلبه في الليل ، ويدفع به في نحور الخصوم في النهار) (15) .. كان صوتا ينطق بلسان العلويين وينافح عنهم ويرد عن اعراضهم جماح الظلامة ولجج طوفانها الكالح ، لقد هجا الرشيد والامين وحتى المأمون ، وسمى هؤلاء بغير اسمائهم :

وسموا رشيدا ليس فيهم لرشده
وها ذاك مأمون وذاك امين
فما قبلت بالرشد منهم رعاية
ولا لولي بالامانة دين

---

13) دعبل بن علي الخزاعي – عبد الكريم الاشتر .
14) تاريخ الشعر السياسي .
15) دعبل الخزاعي – الاشتر –

رشيدهم غاو وطفلاه بعده
لهذا رزايا ، دون ذاك مجون

ولئن اعتبر هذا الهجاء المقذع مجرد فورة غاضبة ترجع الى ما توحي به انفعالات ذاتية في لحظة ما ، فان ذلك لا ينفي كونها تعبر اصدق تعبير عن الشعور الحقيقي لمجموع الطالبيين الذين يتواجدون مع الشاعر في الاحساس بهذا الذي دبجته يراعته وفاضت به شاعريته ، انه التواجد ، والالم والشعور المشترك بهذا الالم ، هو الذي حدا بالشاعر الى تسجيله في تائيته الشهيرة التي مدح بها الرضا ، وقد كانت بحق صورة رائعة تنم عن امتزاج حب العلويين بعروقه ، وتفاعله الصادق المرير مع الاحداث المروعة التي انتابتهم في مختلف الفترات .

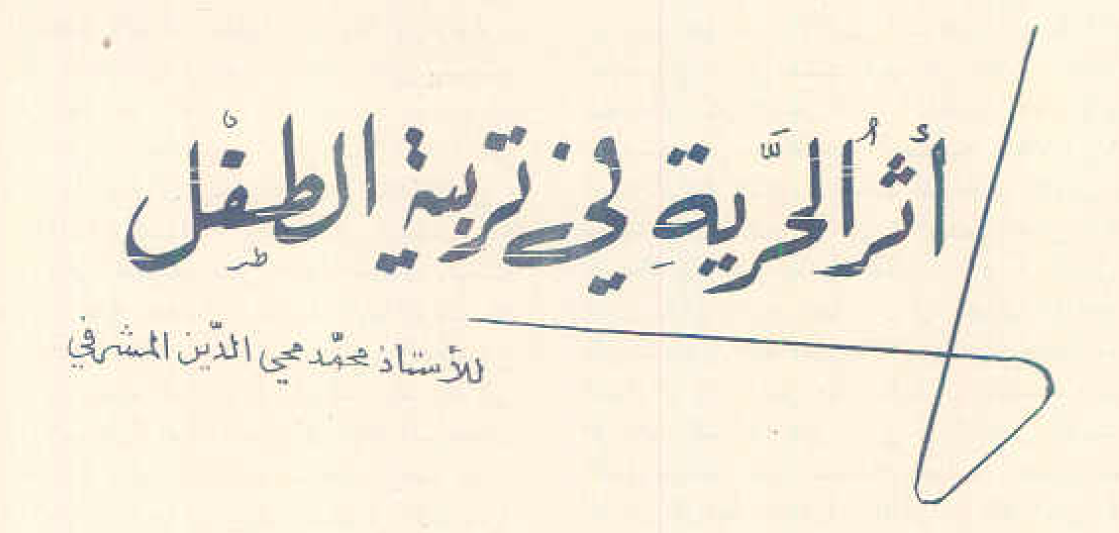
وهناك من الشعراء من نجد لهم شذرات من هذا القبيل مثل ابن الرومي الذي اجمل مأساة الطالبيين في بيته الشهير :

لكل أوان للنبي محمد
قتيل زكي بالدماء مضرج

ورغم هذه المشاركة الايجابية من الشعراء في مأساة الشيعة ، فاننا لا نعدو الحقيقة اذا اكدنا ان الفواجع التي المت بهم كانت من الفظاعة والضراوة بحيث تعد فريدة في تاريخ الامة الاسلامية كلها كما لا نعدو الحقيقة اذا اكدنا ان الشعر الشيعي رغم كل المميزات التي تميز بها ، فانه كان دون مستوى هذه الفواجع ، بحيث لم يبرز لنا الخلفية النفسية للشيعة ويجعلها بارزة الوضوح امامنا ، وان كان قد قربنا منها، وجعلنا نصيخ ببعض اليسر الى هجس ضلوعهم وآهاتهم الخافتة .

القصر الكبير : حسن محمد الطريبق





أثر الحرية في تربية الطفل

للأستاذ محمد محي الدين المشرفي

ان التربية التقليدية الاوربية التي تاثرت ، كما تعلمون ، الى حد بعيد بالتربية اليونانية والرومانية وبالتربية المسيحية خاصة فى القرون الوسطى كانت تمتاز بالشدة والقسوة على المتعلمين ؛ ذلك ان المربين فى ذلك العصر كانوا ابعد من ان يدركوا حقيقة التربية ومشاكل الطفولة او يفكروا فى السماح للاطفال اثناء الدروس حتى بقسط ضئيل من الحرية والعمل الذاتي. ومن ثم كانوا يعاملونهم معاملة شديدة اساسها القمع والكبت .

والواقع ان تلك المعاملة الشاذة كانت وليدة الاحوال والظروف الاجتماعية والدينية التي كانت تحيط بالمدرسة العتيقة ؛ فالناس كانوا منقسمين الى طبقتين : طبقة الاسياد وبيدهم زمام الامور كلها ، وطبقة العبيد والرقيق وكانهم ما خلقوا الا لطاعة الاسياد وتلقي اوامرهم فى انقياد واستسلام ! ثم ان التقاليد الدينية وذلك خاصة فى القرون الوسطى كانت تفرض على الناس بحيث لم يكن يسمح لاحد فى ان يراجعها او ينازع فيها،وتطبيق تلك القوانين السماوية بصورة صارمة جعلت الجمهور ينقاد بسهولة لطاعة اولياء الامور ؛ اضف الى ما سبق ان نظام الاسرة نفسه كان يمتاز بسيطرة الاب على افراد العائلة كلهم ، ولم يكن هناك من تحدثه نفسه بمعارضة رب العائلة فيما اصدر من الاوامر او اشار به من الراي . لذلك كله كانت المدرسة القديمة لا تعنى بوجود الطفل فضلا عن ان تفكر فى اعطائه نصيبا من الحرية والاستقلال في الراي .

فلما ذهبت الاستقراطية السائدة فى العصور القديمة وحل محلها نظام جديد ــ هو الذي افضى شيئا فشيئا الى اقرار النظام الذي اصبح اليوم سائدا فى الدول الديمقراطية المعاصرة، ملكية كانت أو جمهورية كان من المعقول ان تسري تلك النزعة الديمقراطية في جميع الهيئات الاجتماعية بما فيها المدارس الحديثة ؛ ومن ثم قامت طائفة من المربين كمونتانسي وروسو وموتسوري وغيرهم ينادون بمبدا جديد فى التربية يتلاءم مع روح العصر ، وهو مبدا يرمي الى اعطاء الاطفال قسطا كبيرا من الحرية ، بل الى اطلاق الحرية للطفل كاملة داخل المدرسة لا تتقيد بقيد .

والواقع ان اولئك المربين لم ينادوا بالمبدا الجديد لمجرد طرافته او تالبا على النظام العتيق وكفى ؛ وانما كان قيامهم بتلك الدعوة نتيجة لما اجروه من ابحاث فى ميدان التربية ودراسة لمشاكل الطفولة ، دراسة سيكولوجية صحيحة ادت بهم الى معرفة طبائع الاطفال والوقوف على ما يختلج في نفوسهم من نزعات وميول . فكان شعارهم ان الطفل لم يخلق للمدرسة تتصرف فيه كما تريد ، وانما المدرسة هي التي خلقت للاطفال ؛ فعليها اذن ان تدرس ميولهم ونزعاتهم وعليها فوق ذلك ان تعالج كافة الاطفال الموضوعين تحت كفالتها معالجة تلائم كرامتهم وشخصية كل واحد منهم حتى تهتدي بالتدريج الى تعديل سلوكهم والقضاء على اسباب الشر الكامنة فى نفوسهم .

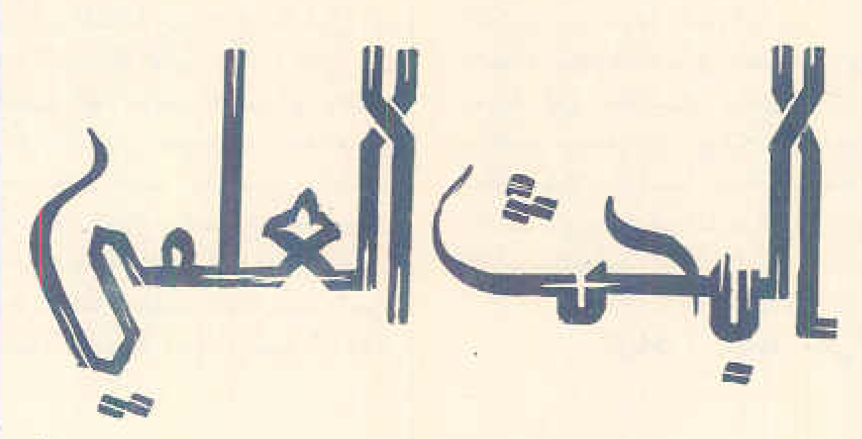
هذا وان أصحاب المدرسة الحديثة ليعللون نظريتهم السابقة بأسباب معقولة مقبولة ؛ فيقولون ان الناس لم يخلقوا فى جملتهم اسيادا حتى يسمح لهم باملاء ارادتهم على الغير ، ولا عبيدا يجب ان يتقبلوا تلك الاوامر صاغرين ويكرهوا اكراها على العمل ؛ واذا ما صح ان فى كل شخص منا نزعتين ، نزعة الى التغلب والسيطرة ونزعة الى الخضوع والانقياد – وهي حقيقة انتهى اليها العلماء بالبحث والاستنتاج – فأية حجة يستند اليها اولئك المسيطرون لحمل طائفة من الناس على الخضوع والامتثال ، وطبيعتهم تدفعهم فى الوقت نفسه الى الاستسلام والسيطرة معا ؟ اليس فى ذلك استخفاف بكرامة الانسان ؟ واذا كان لكل شخص كرامة يجب احترامها ، فمن الواجب ان يترك الطفل فى المدرسة حرا يفعل ما يشاء متى ما شاء ؛ فلا نقوم فى وجهه غاصبين لحريته ، مهيمنين على شخصيته ؛ اضف الى ذلك ان من نتائج الابحاث السابقة ان الكبت يقتل روح الابتكار ؛ وبما ان النظام الدمقراطي يرحب بكل عامل مبتكر ويجعل افراد المجتمع جميعهم فى منزلة واحدة حتى ينتفع من قدرات الجميع على الخلق والابتكار ، فقد اصبح ضروريا ان نطلق الحرية للاطفال لان اعطاءهم قسطا كبيرا منها يحملهم على الثقة بالنفس ، والثقة بالنفس تحفزهم الى الخلق والعمل المنتج ، وفى ذلك تقدم سريع للمجتمع . اما من الناحية الخلقية – وهي اهم بكثير من كل ناحية اخرى – فنستطيع القول بأن الحرية التي يسمح للطفل بممارستها فى المدرسة تمكنه بلا مراء من اظهار شخصيته وتقوية ارادته وذلك بالتغلب على نزعات الشر فيه ، نظرا لما يكون قد اكتسبه من تجارب فى المدرسة نتيجة لممارسته لحرية العمل والفكر والتصرف فى شؤونه الخاصة تصرفا يبقي على مصالح الافراد الذين يعيش معهم ؛ ومما لا شك فيه ان تلك التجارب هي التي تجعله قادرا بعد ذلك على تعديل سلوكه والتخلق بالاخلاق السامية ، بحيث يكره من تلقاء نفسه ما يجب ان يكره ويحب ما وجب ان يحب . ولعمري ان هذه المرحلة هي اسمى ما يمكن الوصول اليه وهي الغاية من التربية الحقة . اما اذا شب الطفل وهو يتلقى لاوامر من المعلم بحيث لا يتحرك الا بايعاز منه فسرعان ما تمحي شخصيته ويصبح عرضة لرياح الاهواء والنزعات السيئة .

وبديهي ان النظريات السابقة على طرافتها وجدتها لا تكتسي قيمة فى نظرنا الا اذا كانت سهلة التطبيق قابلة للتعميم ؛ فاما تطبيقها فقد شرع فيه فعلا في مدارس نموذجية كالتي انشأتها المربية الايطالية منتسوري والتي عملت فيها على تطبيق مبدأ الحرية بمعناه الواسع الشامل لا من الناحيتين العقلية والخلقية فحسب ، بل من الناحية الجسمية كذلك . وهكذا الغت المربية المذكورة المقاعد المثبتة فى الارض وجعلت مكانها مقاعد متحركة حتى لا يشعر الطفل بأية سلطة تضغط عليه كما جعلت الطفل حرا فى ان يدخل حجرة الدراسة او يخرج منها دون ان يتعرض له احد ؛ ولم يكن المتعلم فى تلك المدرسة النموذجية مقيدا بمادة من المواد . واما المعلم فكان عليه ان يتشبث بموقف المرشد والمساعد حتى تتربى فى الطفل القدرة على العمل ويتمكن من استخدام حواسه بصورة مفيدة . اما من الوجهة الخلقية فالطفل فى تلك المدرسة يعطى كامل الحرية يستخدمها كيف يشاء على شرط الا يسيء الى زملائه .

ومن الظاهر ان مدارسنا لا تتسع لهذه النظريات وذلك لاسباب مادية ومعنوية معا ؛ واذا كنا نبتهج لمبدأ الحرية فى المدرسة فاننا مع ذلك لا نقول باطلاقها كاملة للاطفال لان ذلك قد يؤدي بهم الى الفوضى وعدم الاستقرار ، بل ندعي ان الطفل لو عاش اليوم فى مدرسة يشبه نظامها النظام القائم فى مدرسة منتسوري لما استطاع ان يتابع سيره فى الحياة باطمئنان ، لان نظام الحياة ونظام المنزل مخالفان للروح التي تسود تلك المدارس المثالية . اجل ، متى خرج الطفل من المدرسة الى المجتمع فانه يرى نفسه محاطا بسياج من القوانين وضعت لصالحه طبعا ولصالح مواطنيه ، ولكنه يرى مع ذلك فى الخضوع لها والعمل بها تقليلا من حريته ونفوذه . وهناك سلطة الابوين التي لا تزال نافذة المفعول فى وسطنا الاسلامي ، ولا سبيل الى نقض سلطة الوالدين ، بل لا خير فى ذلك بتاتا . لكل هذه الاسباب نعتقد ان ليس من المصلحة فى شيء ان تترك الامور تجري على اعنتها ، لا يتحكم فى المتعلم احد ولا يخضع هذا الطفل لنظام قار ؛ فنحن نريد ان نعطي الطفل حرية معقولة اكثر من التي يتمتع بها الان ، واقل مما يرمي اليه نظام المدارس النموذجية التي سبق ذكرها ؛ نريد من الوالدين ان يخففا من سلطتهما على الطفل فيعاملاه باعتباره كائنا حيا ، له شخصية وكرامة كما نريد من المعلم ان يجعل الطفل اساسا فى تعليمه ؛ ويجب ان يرمي المعلم وراء ظهره فكرة العقاب البدني العقيمة ويحمل الطفل على استخدام مواهبه ليتمكن من التفكير السليم ، ولذلك يجب الا يقدم له درسا الا

على شكل يروق خياله ويحفزه الى النشاط والعمل المنتج ، ذلك لان نشاط الطفل هو الذي يتيح الفرصة للمعلم للكشف عن نزعاته وميوله ، فيتعهدهـــا اذذاك بالتهذيب والاصلاح ، لان المسألة مسألة تربية قبل كل شيء وبعد كل شيء ، لا مسالة تعليم فقط ؛ ومن آثار الحرية الظاهر في التعليم انها تحبب العمل الى الطفل وتشجعه على المضي في الســبيل حتى بعد انقطاعه عن المدرسة ، اذ تمكنه من تعليم نفسه بنفســه . ومبـدأ الحرية هو الكفيل باشعار الطفل بالمسؤولية ، فيعدل سلوكه تبعا لمصلحته ومصلحة مواطنيه ؛ وعليه فهـو الذي يعينه على تقوية ارادته بحيث يصبح مسيطـرا على نزعاته ، يتحكم فيها كما يريد ، ولا يخضع الا لتلك الارادة القوية ، وفي الخضوع لها تدريب له على المكاره لان الحرية الحق هي الا نفعل ما نشاء ، ولو صـح ان الحرية هي ان نفعل كل ما نريد لكنا ــ كما قال احـد المفكرين ــ عبيدا لشهواتنا ونزعاتنا المضطربة . ولكن الحرية بمعناها السـامي الصحيح ان نعمد الى كل مـا يعيننا على استئصال بوادر الشر والفســاد العالقـة بالنفس ونعمل على تزكية كل خصلة جميلة فينا حتى نحقق بذلك لانفسنا حياة سعيدة تغمرها الفضيلة ، وهناك نكون قد ادركنا معاني التربية الحق بمعناهـــا الواسع الشامل .

الرباط : محمد محي الدين المشرفي



للأستاذ عبد الرحمان بنعبد الله

عني الانسان منذ اقدم العصور بمعرفة الطبيعة واستكناه اسرارها . وكان لروح النقد والاستقصاء حظ موفور في جلاء كثير من المفاهيم التي انبهمت على الانسان في معاناته لوقائع الحياة واحداثها . ولقد تصدى الفلاسفة قبل غيرهم لتفسير ظواهر الطبيعة ومعطياتها فلم يقصروا مباحثهم على معضلة الروح ، بل تعدوها الى كل الظواهر الكونية وما توحي به من غموض والتباس .

ولقد اتى على الانسان حين من الدهر كانت فيه محاولات ارسطو وشروحه كافية لان تملأ ضميره وتشبع فضوله . بيد ان عصر النهضة بما انجبه من جهابذة العلماء والمفكرين وما ابتدعته من طرائف جديدة في البحث والدراسة تقوم على الاستقراء والتمحيص ، والتجرد العلمي قد احدث في عالم المعرفة حدثا تاريخيا حاسما يعتبر منطلقا لقواعد البحث العلمي الذي يعتبر حجر الاساس في كل دراسة رصينة أو اكتشاف وجيه يستهدف الحقيقة وينأى عن بواعث الاغراض والاهواء.

وغدا واضحا أن نظريات القدامى من امثال ارسطو تتسم بكثير من السذاجة والسطحية لانهم كانوا يعرضون لكثير من الظواهر والمعطيات المعقدة دون التأكد من خصائصها او التعرف على جوهرها .

على ان المحدثين انفسهم لم ينقطعوا عن البحث والتفكير في المشكلات الجوهرية التي ما فتئت تشغل بال الانسان وتقض مضجعه . الا انهم انصرفوا ـ رغم كل ذلك ـ الى استجلاء مشاكل اخرى كالميكانيك وغيرها مما يفرضه تطور الحياة وتعقدها ... واعتمد المحدثون كثيرا من روح النقد والحكم الموضوعي النزيه ... لقد احسوا بما كانت توسم به معارفهم وشروحهم لبعض المعضلات من نقص بالغ ، فاعتمدوا الشك المنهجي مسلكا يقودهم ، على ضوء العقل والمنطق الى المعرفة اليقينية التي تطمئن اليها النفس ، ولا يبقى معها من مسوغات الريب باعث وجيه او معقول .

وجاءت مباحث المحدثين يسيرة واقعية ، وحسب الناس وقتها أن العلماء بما استحدثوه من مناهج جديدة وما استهدفوه من غايات ميسورة قد تجاهلوا أغراض العلم الحقيقية وانصرفوا عنها الى مسائل وضيعة لا تعني بالانسان ولا تخدم الانسانية .

فهل كان علماء النهضة يتوخون من وراء ذلك ، ان يقيموا البحث العلمي على قواعد متينة تيسر له فيما بعد أسباب الوصول الى حل المعضلات الجوهرية بصورة مرضية ؟

هل كانوا يعتقدون ان البحث في المعرفة اليقينية التي لا يرقى اليها الشك امر لا يتلاءم في تلك الاعصر ، وما كانت تتسم به معضلات الانسان من تداخل وتعقيد ؟

هل كانوا يقتصرون في مباحثهم على المشاكل « اليسيرة » لانها كانت قابلة للتحليل والدراسة فيما كان غيرها من المشاكل الجدية الهامة يتأبى آنذاك على

وسائل البحث التي يتوفرون عليها ، وهي لا تشكل الا النزر اليسير ؟

هل كانوا يؤمنون بضرورة البدء بالمسائل العملية، مدنية كانت ام عسكرية ، والعمل على حلها بمنتهى الدقة والامانة لا .

لا جدال في انها جميعها مسوغات جليلة كانت تفرض نفسها على العلماء بحسب الظروف والملابسات.

صحيح ان العلم لم يكن يستهدف ، في مرحلة النشوء ، معالجة المشاكل الجوهرية سواء ما يتصل منها بالكون أو بالشؤون التقنية او الانسانية ...

كما ان العلماء لم يفكروا قط في استكشاف التلقيح او صنع الوسائل الكفيلة باتقاء آثار الصواعق، مثلا ، لانها كانت في نظرهم ذات فائدة اقتصادية او اجتماعية ...

ولكن ممارسة التجارب العملية وتشريح الجثث اشباعا للفضول وارضاء لنزعة المغامرة التي كانت تملك على العلماء مشاعرهم ؛ كل ذلك في نهاية المطاف ادى الى وضع منهج للبحث يقوم على الملاحظة الرصينة الهادفة والمراقبة الدقيقة المتكررة ، والمناقشة الحرة التي تعلو عن الاهواء وتترسم طريق الحقيقة العلمية المجردة ... ولقد تكشف هذا المنهج عن آثار جليلة في غاية الاهمية .

فلم تكن الغاية المباشرة من جهود العلماء وتجاربهم وسائل الوقاية من الصواعق او الامراض ؛ بيد ان المنهج الجديد قد يسر لهم اكتشاف الجراثيم ومكنهم من وضع التلقيح وغيره من اسباب الدفاع عن النفس .

كل هذه الكشوف ، وكثير من مثيلاتها قد حققت الحلم الذي كان يراود الانسانية منذ فجر التاريخ ويحفزها لمعرفة الطبيعة والسيطرة عليها .

والذي لا مراء فيه ان العلم ما زال يوسع آفاقه ويحقق المعجزات . وهو يسلك اليها طريقا مليئا بالعقبات والاشواك ؛ فهو يواجه شكوك المشايعين للطرائق التجريبية ممن يتوخون تحقيق النتائج العملية العاجلة ، وهو يواجه العداء الذي يناصبه اياه خصوم الاختبار الحر والتجربة العملية .

وتعتبر مكاسب العلم على الصعيد التقني غنما تعتز به الانسانية . فلقد تدرجت من الميدات الى المركبات العابرة للقارات ؛ وما زالت تنبيء بالمزيد من المكاسب في المستقبل القريب ... كما تصدى العلم ، بنجاح الى المشاكل المتصلة بالفكر والمجتمع والحياة بصورة عامة ؛ واصبح يعالج من المسائل ما كان – فيما مضى – وقفا على الفلسفة كتطور الانواع وبنية المادة والكون ...

وكلما اتسعت آفاق العلم وميادينه ، آمن العلماء بضرورة الاختصاص .. فالاختصاص شيء لم يؤمن به القدامى لانهم كانوا يخالون ان لقب العالم لا يستحقه الا الذين الموا بكل معارف العصر واحاطوا بها احاطة تعمق واستقصاء .

والمنهج الذي سار عليه العلماء حتى مطالع القرن السابع عشر لم يكن يعتمد الفلسفة – العلمية ؛ وانما كان للفلسفة ميدانها ومعطياتها ، كما كان للعلم ميدانه الذي يختص به ولا يعني بسواه . ولم تتوثق الوشائج بينهما الا بعد ذلك بكثير ...

واهل القرن التاسع عشر وقد غدت معظم المناهج الاساسية تطبيقات علمية بحتة . وفي هذا العصر بالذات تم اختراع المحرك الكهربائي نتيجة المباحث « النظرية » التي اجراها العلماء على خصائص المغناطيسية الكهربائية في المادة . واخترع الانسان الالوان المركبة والسماد الصناعي وأنواع التلقيح ... وصدق باستور حين اكد في نهاية هذا القرن بأن العلم والمنهج العلمي اصبحا يشكلان كلا لا يتجزأ .

والجدير بالاشارة ان بعض المباحث التقنية ساعدت كثيرا على تعميق معرفة الانسان بالطبيعة وفهمه لاطوارها . فلقد ادت ابحاث باستور في المشاكل العملية كوقاية دودة القز مثلا الى جلاء الطريقة التي تتم بها العدوى ودور الجراثيم في ذلك . وكثيرا ما كان العلماء يجمعون بين الاكتشاف ووضع النظريات للظواهر التي اكتشفوها .

واذا كانت هذه مراحل في البحث قد عفى عنها الزمن ، فان معرفة العلم ومناهجه بصورة أعمق تقتضي اليوم تمرسا متصلا ومكابدة دائمة . وقد انقطع لهذه المهمة الشاقة فريق من العلماء كرسوا لها كل جهودهم ومنحوها كل أوقاتهم . فمن البديهي أن « عالم الكهرباء » ليس بوسعه اليوم أن يشغل منصب الاستاذ والعالم والتاجر ورجل الصناعة كاللورد كلفين مثلا .

وفي الوقت الذي تشتد فيه الحاجة الى الاختصاص ؛ نلاحظ أن الروابط بين العلم بمفهومه

الاولى وبين الطب والصناعة والفلاحة وغيرها .. لا تزداد الا وثوقا ومتانة . وابلغ الادلة على ذلك تكاثر المختبرات الفنية والصناعية والفلاحية والطبية ...

* * *

هذا التقدم الهائل الذي حققه العلم بسرعة مذهلة في مختلف المجالات كان له اعمق الاثر على الجانب الفكري في الانسان . فاذا نحن وضعنا مشكلة الكشوف والمخترعات العلمية في موازين النفس ، تبينا بجلاء ما كان لهذه الخطوات الطلائعية في تاريخ الانسانية من صدى بعيد في بنية الفكر . فان للفكر بنية متحولة لان للمعرفة تاريخا عريقا . والتاريخ الانساني على العموم ، بكل معطياته ودوافعه بداية ونهاية تلتقيان على وفاق . والروح العلمية في جوهرها تحويل للعلم وتوسيع لآفاق المعرفة وابعادها . فبنية الفكر لا تعدو ان تكون وعيا باخطاء الماضي لان الحقيقة في مفهوم العلم تعديل لهفوات الماضي .

ملاك القول ان الحياة الفكرية في العلم تقوم اساسا على التجدد المستمر في دنيا المعرفة ، على حدود المجهول . فماهية التفكير ذاتها ان يفهم المفكرون انهم لم يفهموا بعد ، وان يعملوا على تصحيح سالف اخطائهم واغناء طرائقهم واستكمال افكارهم .

كثيرا من العلماء لا يغفلون ، في شواغلهم اليومية المضنية ، القيمة الروحية التي تقترن باهمية المشاكل الحاضرة حيث يخوض العقل معركته المصيرية . فالفارق بين الجيل الماضي والحاضر يجسم الثورة الفلسفية التي تتمخض عنها التحولات المستمرة في دنيا العلم .

لقد تعددت الكشوف وتوالت الاختراعات منذ الحرب الكونية الاخيرة ، واكد العلماء بان ما حققه العلم من تقدم منذ سنة 1945 يوازي مكاسب الانسانية من فجر التاريخ الى اندلاع الحرب العالمية المذكورة .

ومن هنا يتضح ان الفكر الانساني في مسيس الحاجة الى التكيف المتواصل الذي تنعدم بدونه بواعث الاجتهاد واسباب التعمق والاستقصاء . وبعبارة اخرى ، يجب ان يعتمد الفكر في مرحلته الحاضرة ما سماه الاستاذ جاستون باشلار بالعقلانية المتفتحة
(Rationalisme ouvert)

تلك ضرورة حتمية تفرضها بعض الاحداث الخطيرة التي كان لها اعمق الاثر على سير الركب العلمي . ونضرب لذلك مثل كشوف الاستاذ مندل بخصوص قوانين الوراثة ، التي اعلن عنها سنة 1865 في مذكرة بعث بها الى احدى جمعيات التاريخ الطبيعي . بيد أنها لم تجد آنذاك في الاوساط العلمية ما كان يتوقع لها من صدى بعيد .. وبالرغم عن المساعي المتواصلة التي بذلها الاستاذ مندل لدى مشاهير العلماء في ذلك الحين ، فقد توفي بعدها بعشرين سنة والعالم يجهل كل شيء عن شخصه وكشوفه !

واغلب الظن ان العقبات التي تحول دون قبول النظريات الحديثة وشيوعها كامنة في الاضطراب النفسي الذي ينتج عادة عن انعدام القابلية للتكيف عند بعض العلماء ممن يؤمنون بالوثوقية العلمية .
(Dogmatisme scientifique)

ونحن حين نؤكد على ضرورة التكيف المستمر او العقلانية المتفتحة على حد قول جاستون باشلار نرى ان من واجب البحث العلمي ان يتقبل النظريات والكشوف الجديدة وان يضعها على محك التجربة في غير تسامح مفرط قد يخل بجوهر الحقيقة العلمية ولا مغالاة في الوثوق بمكاسب الماضي وقواعده وبكلمة يجب ان يعمل البحث العلمي على التوفيق بين الاتجاه الثوري الذي يستهدف تقويض دعائم الماضي وبين الاتجاه المحافظ الذي يغلق ابواب الاجتهاد في وجه العلم ويعوق ركب الحضارة عن متابعة طريقه .

العلم بين المبدا والتطبيق :

لقد تعقدت اليوم مفاهيم العلم وتشعبت مقاصده بصورة اصبح معها العلماء قاصرين عن اعطائه تعريفا تطمئن اليه النفس ولا يبقى معه من دواعي الاحاطة والاستقصاء باعث مقبول .

قال عنه بالستير : انه مجموعة غامضة من المبادىء والمعطيات ...

وقال غيره : انه مجموعة من المعلومات ومنهج يستهدف العمل والتفسير ...

وقال آخرون : انه النشاط المثمر الذي وهب له العلماء والباحثون حياتهم ...

بيد اننا ، حين نعرض لمفاهيم العلم ومدلولاته ، رغم ما يلفها من غموض والتباس ، نتوخى من وراء ذلك ان نتلافى الشروح الدياليكتيكية وان نقصر البحث على مناهجه ومراميه والخصائص التي يوسم بها في عصر تأبى على العلماء ان يبلغوا الهدف او يوفوا على الغاية .

... أما الهدف فيتلخص في النهوض بالمستوى المادي والروحي عند الانسان بمكافحة الجوع والفقر والالم ، ومحاربة الجهل ايا كانت اشكاله ومظاهره .

ومن مقاصد العلم أيضا معرفة الكون واستكناه ظواهره وابتداع طرائق جديدة تيسر للعلماء اسباب الكشف عن مجاهل الكون بصورة مرضية .

وأما المنهج فتختلف اغراضه اختلافا بينا لان العلماء ينقسمون الى فريقين : فريق يستهدف الكشف عن الحقائق العلمية البحتة دون الاهتمام بالنتائج العلمية العاجلة ، وهذا الفريق يبتغي الحقيقة مجردة من بواعث الفائدة او القيمة العملية ، ويطلق عادة على النوع من البحث اسم العلم النظري أو الاكاديمي .

اما دعاة العلم « العملي » فانهم يتوخون دراسة الطبيعة ومراقبة ظواهر الحياة ، وهم ينهجون مسلكا خاصا يرمي الى تعمق المعطيات الصناعية والفلاحية والطبية والاجتماعية والنفسية ...

وبكلمة ، فان العلم الاكادمي يهتم بتفسير الواقع، فهو فلسفة للكون والحياة ، تترسم طريق الحقيقة العلمية ، لانه الهدف الذي تلتحم ، سعيا وراء تحقيقه، جهود العلماء الذين وهبوا حياتهم ومصائرهم ابتغاء للواقع خاليا من شوائب المطامح والاهواء ، فيما تغلب على العلم التطبيقي نزعة الفائدة والاستثمار ودواعي العقلانية التقنية .

يقول احد العلماء : « العلم الاكاديمي مطية الفهم، والعلم التطبيقي وسيلة من وسائل الخلق الذي لا يعني بالفهم والاحاطة » .

بيد ان الامر على خلاف ما رسمه العلماء مهما اختلفت نزعاتهم وتباينت مشاربهم ، فالوشائج وثيقة بين العلم الاكاديمي والعلم التطبيقي ، بصرف النظر عن المؤثرات التي تفصل بينهما وتخلق في دنيا البحث العلمي هوة عميقة يزداد خطرها ويقوى أثرها كلما تقدمت الدراسات وتكشفت المباحث عن مفاهيم جديدة تنتفي معها الفوارق التي تباعد بين العلم بمدلوليه النظري والعملي :

من البديهي أن وحدة العلم لا يماري فيها احد : فالجانب الفطري يستمد وجوده من معرفة الطبيعة واستقصاء اطوارها .. والجانب العملي لا يمكنه بتاتا أن يستغني عن الاسس الاصيلة في البحث العلمي التي تعتبر حتى اليوم ، منطلقا للكشوف العلمية التي وضعت على محك التجربة وفرضت وجودها في مختلف الميادين العلمية .

ان من الامثلة التي يوردها العلماء للاستدلال على تداخل المعطيات التي تعزي لكل من العلم « الاكاديمي» والعلم « العملي » ان الصناعات الكهربائية تعتمد اليوم كثيرا عن الكشوف التي كانت تستهدف الفهم والاقتناع قبل ان تهتم بالجانب العملي او « البراغماتي » كما يقولون .

كما ان التقدم التقني قد اسدى خدمات جلى للعلم « النظري » لانه ما فتيء يمده باسباب البحث كالمجاهر الالكترونية والآلات الحسابية الالكترونية وغيرها من الاختراعات التي تمخضت عنها ابحاث العلماء ودراساتهم في القرن العشرين .

فالعلم وحدة متماسكة لا يمكن الفصل فيها بين الجانب الفلسفي وجانب المنفعة الا من باب التمييز والتصنيف . ونحن نلحظ بمزيد الاهتمام ان التفاعل القائم بينهما يدفع بعجلة التطور الى الامام ويقضي على الفوارق المصطنعة التي ما زالت تباعد بينهما حتى الآن .

وليس أدل على ذلك من ان العلماء ، كل في دائرة اختصاصه ، يتوزعون رسالة العلم بمعطياتها النظرية والعملية . كما ان الاخصائيين رغم مشايعتهم للكشوف والمخترعات العملية لا يغفلون القيمة التي تكتسيها حصيلة الدراسات النظرية والدور « العملي » الذي يمكن أن تلعبه في ميدان المنجزات التقنية وغيرها ...

مكاسب البحث العلمي واصداؤها :

لقد اجمع العلماء وجمهور الباحثين بان القرن التاسع عشر يعد نقطة تحول في تاريخ الانسانية ، اذ انه اعاد الثقة الى النفوس وفتح ابواب الامل في وجه الانسان .

ومما لا مراء فيه ان مكاسب القرن الماضي تعتبر ، حتى اليوم ، منطلقا للثورة العلمية التي شهدها القرن العشرون والتي حققت ، بصورة عملية ، احلام الرواد الاولين من امثال جول فيرن وغيره من الكتاب ...

لقد المعنا فيما سبق الى الآثار الجلية التي خلفها التطور العلمي على الصعيد النفسي واكدنا بصورة خاصة على قابلية التكيف العلمي واثرها البارز على التطور الموصول في دنيا العلم ، كما خصصنا بالذكر، النتائج التي تترتب عن مواقف العلماء من المخترعات

والكشوف ، مما ادى الى احداث خلق جديد Nouvelle éthique تتناسب والقيم الجديدة التي اصطنعها البحث العلمي منذ ان وضعت الحرب الكونية الثانية اوزارها وعكف العلماء على دراسة الواقع « العلمي » و « الاكاديمي » فحققوا من المعجزات ما كان الخيال قاصرا عن تصويره وابتدعوا مناهج علمية تعتمد التحري والتجرد والموضوعية وتعتبرها شرطا اساسيا لبلوغ الحقيقة .

على ان البحث العلمي ، اذا كان يستلزم اليوم استعدادا خاصا ويلتقط « الحقيقة » حيث وجدها ، بغض النظر عن الفوارق الجنسية واللغوية والاديولوجية، فان هناك فريقا من الناس يتقبل ثماره بمزيد من الغبطة والثقة في النفس ، ويعتبرها مغنما يحق للانسانية ان تعتز به ، بينما يعارضه فريق آخر بدعوى ان العلم ينتزع من الانسان باليد اليسرى ما سبق ان منحه اياه باليد اليمنى (راجع مؤلفات هيكلي Huxley في الموضوع) والذي يستحق الاهتمام ان المتشائمين لا يرون في المخترعات والكشوف الحديثة الا الجانب الهدام ، بدعوى ان مكاسب العلم في العصر الحاضر لا تقيم وزنا للوازع الخلقي وما يستتبع ذلك من انهيار للقيم التي تحتل مكانا بارزا في حياة الانسان منذ اقدم العصور .

بيد ان العلماء لا ينكرون خطورة التقدم العلمي والامكانيات التي يتيحها لذوي النيات السيئة واصحاب الاهواء والنزوات ممن يستهدفون ابادة النوع البشري والقضاء بصورة نهائية على مظاهر الحياة في الكوكب الارضي .

وفي هذه المرحلة الحاسمة من تاريخ الانسانية يجب ان نشير الى ان معظم العلماء يضطلعون بعبء جسيم تتساوى فيه حظوظ اليأس والامل وانهم اعتبارا لذلك ، يؤدون رسالتهم ايا كانت المسوغات والاغراض ، كالعامل الذي يصنع الاسلحة او الجندي الذي لا يتورع عن القتل دفاعا عن الوطن .

واذا كنا نلاحظ ان جانب التشاؤم كثيرا ما يطغى في عصرنا على جانب الامل والتفاؤل فذلك راجع الى ان ساسة الدول الكبرى يستغلون الانتصارات التي حققها العلم في الاونة الاخيرة اشباعا لنزوات التحكم والسيطرة ، غير عابئين بما قد يجره ذلك على الانسان من ويلات الابادة والدمار .

على ان منجزات العلم رغم كل ذلك ، مليئة ببذور التفاؤل والامل في مستقبل اسعد ، يتاتى معه للانسان، القضاء على ما يعتمل في نفسه من نوازع الهدم والتحطيم ومثيرات الانانية والنرجسية ورواسب الجهالة التي ورثها عن العصور الغابرة .

الرباط : عبد الرحمن بنعبد الله

المراجع :

Le grand espoir du XX[e] siècle, par Jean Fourastié.
La recherche scientifique, par Vladimir Kourganoff.
Le nouvel esprit scientifique, par Gaston Bachelard.
Le progrès scientifique et technique et la condition humaine (ouvrage collectif).
La Recherche scientifique, par Vladimir Kourganoff.
Causalités et accidents de la découverte scientifique, par R. Taton.

ديوان المجلة



رفع الستار عن الرواية ... وانتهى   عام ... وهذا يا عروبة عام ! ؟
شيع الهلال ... وما برحت حزينة . !   المجد يسأل ، والعلا استفهام ؟
عاد الهلال ... فما لشعبك لم يعد   مستبشرا ... تزهو به الايام .. ؟
الشرق مجروح ، تفيض دموعه   وهناك في عصف الرياح خيام
هيا انظري ، فالكون اصبح كالرحا   فقد الضمير ، يسوسه الاجرام
هيا اعدي ما استطعت من القوى   فالسير في درب الحياة صدام
ترجو قيادتك الحياة ، وانت في   لهو ، وقد عم الوجود ظلام . !
انت التي فكت يداك قيوده   فاذا العوالم رحمة وسلام

* * *

ماذا استفدت من الحوادث بعد ما   جرحت قلوب ، واستهان كرام . ؟
شعب ابي انت ... تلك حقيقة ،   واليوم انت وشعبك استسلام
جربت اصناف المذاهب كلها   ماذا استفدت ... تنازع وخصام
لولا هدى الاسلام كيف توحدت   شتى القبائل فكرها اوهام
حتى طلعت ... وفي يديك رسالة   الراي شورى ، والحياة نظام
ان العروبة وحدة وحضارة   وثقافة ... لا مذهب وكلام ...
من شاء ان يبني الشعوب ، فانما   بالعلم تقصد غاية وترام

لولا غد فجرت الحان الاسى ... لكن جرحك في غد يلتام

عودي الى الاسلام يلهمك المنى ... فالسير في درب الحياة صدام

ما حكمة القرءان الا ثورة ... ملء الحياة ... ونهضة وقيام

قد اخرج الاسلام افضل امة ... يشدو بها ثغر المنى البسام

* * *

يا عالم الاسلام وحدتك التي ... كانت على اسس الاخاء تقام

اودى الزمان بما حلمت من الرؤى ... آه عليك ! ففي الشعور ضرام ...

لا يلبث الاخوان أن يتوحدوا ... حق عليهم في الاخاء لزام

العلم كان ولا يزال حضارة ... ما ذا يقول وينصح الاسلام

ولنا عقيدتنا اساس نهوضنا ... فيها اقتصاد محكم ونظام

فيها مساواة ، وحسن تكافل ... تصفو ... تجد ... وتصدق الاحكام

* * *

مد يا هلال الى العروبة بالمنى ... يلسم جراحات لها ايلام

واطلع على «القدس» الجريح ، وقل له: ... ابناء من صلوا اليك وقاموا

قد اقسموا ان يشعلوها غارة ... في نارها جثث العدو حطام ...

ولنا من الذكرى ، وهجرة « احمد » ... اسمى المواقف كلها الهام

لم يفلح الفجار فيما دبروا ... لا الوهم ينفعهم ولا الاحلام

* * *

يا خامس الايام من شهر الاسى ... غب ... لا تعد ... فالنور منك ظلام

ابت الحقيقة ان تلين لحاقد ... شعب العروبة ماجد مقدام

قالوا لنا : لا حرب . ! تلك خديعة ! ... وتسللوا ... والمجرمون لئام

واذا اللصوص على الجريمة اقبلوا ... لبسوا الدجى ... والآمنون نيام

سالت جراحات ، وفاضت اعين ... بالدمع ، وانتكست لنا اعلام

اين الضمير ، واين في الناس الوفا ... هيهات .. ما للمجرمين ذمام

وكذلك الانسان يعظم شره ... ما لم تكن للحرب فيه ضرام

لم تنته الحرب الضروس ... وانما ... من قبل ذلك وحدة ووئام .

الرباط : علال بن الهاشمي الفيلالي

دمعة على بطل الريف الاكبر

للأستاذ الشاعر محمد الحلوي

كتبت هذه القصيدة تابينا لبطل الريف الاكبر محمد عبد الكريم وانشرها اليوم وانا ارثي بها في الوقت نفسه شقيقة البطل الامير محمد رفيقه في السلاح والكفاح تمجيدا للثورة التي رفعوا مشاعلها

أرثيك بالدمع ام ارثيك بالكلم   يا ناشر الموت في الاجام والقمم ؟

من لا يهابك ميتا بعد ما ارتجفت   من بأسك الارض في طوفانك العرم !

من لا يطاطىء اجلالا اذا ذكرت   ايامك الغر يا مستنهض الهمم ؟

ارسلتها صيحة في الريف مرعبة   هبت لروعتها الدنيا على قدم

وثرت في اطلس الاحرار تقذف من   ابراجه عصب الاعداء بالحمم

ظنوا صراع اسود الريف تسلية   فاجفلوا من زئير الاسد في الاجم

شتان بين صراع الاسد غاضبة   تحمي حماها وصرع الثور والبهم !

ما كان خصمك يدري ما تخبئه   له المقادير من خزي ومن نقم

حتى فتحت عليه النار وانطبقت   عليه ايدي الثرى فانهار كالصنم !

يا ما ترصدتهم في كل رابية   وصدتهم كاصطياد الاسد للريم

غادرتهم في روابينا ممزقة   اوصالهم بين مصروع ومنهزم

قد خاضها طمعا في النصر يقطفه   قطف الزهور بلا دمع ولا الم

فخاض في حربك الاهوال وانسحقت   قواه في كل ميدان وملتحم

حرب بعثت بها في العرب ماضيهم   ومجدهم مشرقا في سالف الامم

كانت دما دافقا احيا مواتهم   وشعلة البعث جلت حالك الظلم

هبت سراعا على اصدائها امم ... نامت وثارت شعوب بعد لم تنم !
كنفخة الصور كانت يوم ثرت على ... حكم الدخيل وكالاعصار فى الاكم
علمت من رسفوا فى القيد ان يثبوا ... وان يسيروا الى اعدائهم فى دم ! !
فالتف حولك منهم كل قسورة ... يعانق الموت فى شوق وفى نهم
يسري اليهم وفى الحاظه شرر ... وفى يديه مناياهم بلا لجم
كم سطروا بالدم المصبوب من مثل ... وكم محوا به من عار ومن غمم
اذا ذكرت اباة الريف تهت بهم ... على الزمان الذي يشكو من السقم ! !
اعظم بهم من مغاوير كتبت بهم ... فى صفحة المجد ما استعصى على القلم

❋

يا يوم وقعة « انوال » وقد تركت ... اشلاؤهم عندها لحما على وضم !
لم يلبسوا قبلها خزيا كخزيهم ... فيها ولا ذبحوا بالسيف كالغنم
جرعتهم اكؤسا بالموت مترعة ... بلا نديم ولا ساق ولا نغم
ان يذكروا النصر يوما راعهم شبح ... منها وغصوا بذكراها من الالم !
نصر نكست به اعلامهم كمدا ... واختال منه بنو الاسلام فى شمم
نصر تهيبه الاعداء فالتاموا ... وناهضوك فلم تضعف ولم تجم
حتى اذا كل فى الهيجاء ساعدهم ... ولم يطيقوا اصطياد الاسد فى الحرم !
كادوك بالغدر فيها وهو شيمتهم ... اذ كنت اشرفهم فى الحرب والسلم
لو شاء ربك كان النصر خاتمة ... ورفرفت راية الاوطان فى القمم
لكنها الحرب لا تخلو مرائرها ... لمحرز النصر فيها او لمنهزم !
ان يأسروك فقد مرغت أوجههم ... وطالما اجفلوا فى الحرب كالنعم !
قد هابك الموت فى الهيجاء مكتهلا ... فلم يوافك الا فى حمى الهرم !
ما اضيق القبر عن دنيا تحل به ... من البطولة والاقدام والقيم
يا ساكن القبر فى ارواحنا سكن ... رحب كامجادك الفيحاء فى العظم
فاحلل بها قبسا واسكن بها نغما ... وغنوة نتغناها بكل فم

محمد الحلوي



بشرى لكم وبالهنا   قد نلتموا كل المنى

يا عائدين من حمى   أرض السلام والسنا

يا سعد من حج الى   تلك الديار ودنا

وطاف بالبيت الذي   شرفه الاهنا

حيث الصفا ومروة   وعيد أيام منى

وزمزم هي الشفا   من كل داء وضنى

طوبى لمن كبر ق   تلك البقاع وانحنى

وزار روضة بها   محمد شفيعنا

ومرغ الخد بها   ثم دعا واستأمنا

فمن يلذ بالمصطفى   يجد لديه مأمنا

صلى عليه وعلى   اهل رضاه ربنا

يا رب وانصر سبطه   حامي حمانا الحسنا

واحفظ ولي عهده   وصن — الهي — قطرنا

بجاه خير مرسل   ببعثه احييتنا

خير البقاع داره   طاب الحجاز مسكنا

الرباط — المدني الحمراي

تحية المؤتمر الثالث

لرابطة علماء المغرب

للأستاذ الشاعر أحمد بنشقرون

في قلب فاس مركز النبغاء ... ومنابة العلماء والادباء

نزلت وفود معاهد ومجامع ... عبقت بطيب العزمة الشماء

وتعانقت معمورة بمودة ... سلت سخائم نفرة وجفاء

وتوثبت — ربطا — لعقد مشرق ... باللامعين السادة العلماء

رسل الشريعة والبلاغة والهدى ... الناشرين الدين في الانحاء

القائمين ببث كل فضيلة ... الرافعين — الضاد — في العلياء

الخائفين من الاله بجية ... المرتجين تنعم الصلحاء

العارفين بفضل كل تجلة ... المكرمين على الوفا بوفاء

الوارثين عن النبي رسالة ... هي محض تبليغ بمحض رضاء

الناثرين جواهرا بمنابر ... المشرقين كراسي النصحاء

الراسخين عقيدة ومهارة ... الرابطين وشائج الرفقاء

العاكفين على العلوم تفننا ... الحاملين مشاعل الرشداء

البارزين بكل ناد أنجما ... الكاشفين تكاثف الظلماء

المنفقين علومهم بغزارة ... الرابحين مزيد ذي نعماء

المتقين المحسنين ذوي الحجى ... وبطول باع القادة الاكفاء

العائشين — وان فنوا — بعلومهم ... الخالدين بها على الدهماء

الهادفين تنافسا وتماسكا ... السابقين الى العلا بمضاء

الواقفين بباب رب مكرم ... المخلصين له بكل صفاء

*

علموا فكان العلم آية عزهم ... وتفتحوا عن روضة غناء

جاء الكتاب معلما لنبيه : ... قل رب زدني العلم : كالانواء

---

1) انعقد بفاس يوم الاحد 31 مارس — ويوم الاثنين فاتح ابريل سنة 1968 .

والله انزل للعباد كتابه ليكون عزة حكمة الحكماء
علموا الذي جهلوا فعز مقامهم وعلا بعلم نابغ بسخاء
نصح الاله عباده ان يسالوا للعلم اهل الذكر والاقراء
لا يلبسون بباطل حقا ، وما كتموا الحقوق وموهوا بطلاء
وعواقب الدار التي هي غاية ستكون للصلحاء والحكماء
جاء النبي مبلغا عن ربه نصحا فكان معلم النصحاء
من خان عهد الله خان رسوله فهوت امانة عهده لخواء
البعث آت ، والجزاء محقق والله يجزي كلنا بجزاء
فمن اهتدى فلنفسه في رمسه ومن اعتدى امسى على الرمضاء
في الامر بلوى من اله عالم بالصابرين الطيبي الاطواء
ولديه وسوسة الصدور جلية كاللامع المتلالىء الوضاء
السر والاعلان شيء واحد في علمه يا معشر العلماء
والله حملكم امانة دينه وعليه منكم جاد بالشهداء
ارايتم يوم التقى الجمعان ، من عرف الصواب ومن جرى لوراء
ومفاتح الغيب العظيم فواتح لسبيله في الظلمة الظلماء
والله قد جعل القلوب مكامنا للخير يعلمه وللضراء
ان كان يعلمها مرابع خيره فجزاؤها خير بخير عطاء
ان بعثرت تلك القبور وزلزلت تلك الجبال نسيفة كهباء
حمد الجهاد مكافح ومناضل متنعم في الجنة الفيحاء
والله جاد على الرسول عزيزه والمومنين بعزة قعساء
هذي الحياة تعلة ومفاتن تفضي للهو شيب بالرعناء
وجميع اعمال العباد حصيلة مكتوبة للحظة البلقاء

*

غرس الاله بجمعكم ايحاءه ولحيث يعلم جاد بالايحاء
فلانتم اهل لحمل رسالة تسمو البلاد بها على الجوزاء
ان شئتم ان تشكروه ، فشكره بذل العلوم لجاهل بطاء
واستمسكوا بالعروة الوثقى تلح آي الروابط في عنان سماء
والله يوتي فضله ونعيمه من شاء اكراما بمحض قضاء
من كان اتقى كان حقا فائزا يحظى بنعت طليعة الكرماء
شهد الاله وبعد خير ملائك واولوا العلوم الصائبوا الاراء

فهم بحكم الوحي موفوروا العطـاء   وهـم بفضـل اللـــه في لالاء

والله قد رفع الذين تعلمــوا   درجات رفع فوق هام سنـــاء

*

وبدست هذا الحفل لامع فرقـد   راس المعارف عالم الوزراء (1)

من نسل سيدنا علـي اصلـــه   اكرم ببيت ضــم تحـت رداء

ودعا الرسول له بطهر شامـل   من كل رجس أو مشين خنـــاء

ومدينة العلم السنية ، بابهـــا   علم الرسـول به على الارجـــاء

الله كرم وجهه عــن سجـــدة   لسواه ، فاق بذا على الوجهـــاء

وترى « بنهج بلاغة » آدابـــه   فترى الغزير الواكف الانـــداء

في هجرة للمصطفى منصـــورة   جاد الكريم له بخيـر فـــداء

خرج النبي ونام فوق فراشــــه   ذاك الامام الوافـر الاهـــداء

ورث الوزير بلاغة حياشـــــة   من جده السامي على النظـــراء

فبدا بكـل مهمـــة اهلا لهـــا   وبراس « تربية » اليف بنـــاء

انا نرحب بالوزيـر صديقنـــا   في الدرس ، مبهجنا بلطف لقـاء

يلقاه عبد الله (2) مفتر السنـــى   فتيمنـوا باعـادة الطفـــراء

من فاض من حزن اللباقة نبعـه   فبدا الشجير (3) بطلعة خضـراء

انا لا ارشح للامانــة غيـــره   هو في الامانة مجمـع الامنـــاء

ساس الطبائع فاستعاد رباطهـا   ومضى بخطو الساسة الحكمـاء

حتى تكون مجمع متماســــك   شمل الذين ارى : بطـول رداء

*

والعاهل الملك الطموح مقـــدر   في العالمين مطامـح النبـــلاء

حسن الفعال اذا يخطط اصبحـت   هذي البلاد سخيـة بثـــراء

ما زال يغمر ملكـه بمهابـــة   متعـززا بالرايـة الحمـــراء

بالعلم رصع تاجه من غابـــر   بالعرش دامت هيبـة العلمـــاء

ندعو له ولنسلـه في جمعنـــا   وولي عهد ، طلعـة الامـــراء

الحاج أحمد بن شقرون
نائب عميد كلية الشريعة بفاس

---

1) هو العلامة الجليل الاستاذ سيدي عبد الهادي بوطالب
2) هو العلامة البحاثة المطلع سيدي عبد الله كنون
3) مكان ذو شجر – والمقصود مجمع الرابطة .



الشاعر : يا فؤادي لا تلمني   فكفى منك التجني

ان تكن تجهل حبي   فيمينا لست مني !

ان اكن عشت بنيا   فالهوى وحده يغني

كف عني كل لوم   يا فؤادي ، ولتدعني

* * *

القلب : انا مرآة التصافي   لست أرضى من يجافي

كيف تعنو لهواها   وجفاها غير جاف ؟ !

حطم القيد ، وهيا   للاحاديث اللطاف

انما الحب محيط   هائج ، دون ضفاف

* * *

الشاعر : انا سباح خبير   هزني العزم الكبير

انا غواص وعندي   همة ليست تخور

اعشق الجوهر ، واللؤ   لؤ فى العمق كثير

وانا حر طليق ،   فى الهوى عبد اسير

* * *

القلب : عجبا منك ! أتدري   اي سر فيك يسري ؟!

انت اقوى من دم فى   كل عرق صار يجري :

انـه الحـب طـوى سـ ـرك في الكـون وسـري !

فلنعـش كالعطـر غـوا حا علـى تيجـان زهـر

* * *

الشاعر : أيهـا القلـب كفانـا نحـن نحيـا لهـوانـا

فلقد كـان الهـوى للـ روح امنـا وامانـا

وبغير الشـق يغـدو الـ عيش هـولا وهوانـا

انمـا الحـب لنـا غـو ر وذخـر لسـوانـا

الخاتمـة

فلتـزل منـا الشكـوك انمـا الحـب سلـوك

ليس بدعا ما نقاسـي فالهـوى فينـا شريـك

انـه كالذهـب الابـ ريز في الخلـد سبيـك

انمـا الحـب على عـر ش من النـور ، مليـك ! !

الرباط : محمد بن محمد العلمي

من هـا هنـا اتفقـا ..

رأى مالك بن دينار يوما حمامة مع غراب ، فعجب من اتفاقهما ، وليسا من شكل واحد . فلما مشيا اذا هما اعرجان ، فقال : من ها هنا اتفقا !

حول خطبة طارق

للأستاذ : عبد الله كنون

قرات في العدد الماضي من مجلة دعوة الحق الغراء ، المقال النفيس الذي كتبه الدكتور عبد السلام الهراس حول خطبة طارق بن زياد المشهورة، متعرضا فيه للشك الذي ساور بعض الباحثين في نسبة هذه الخطبة لصاحبها ، ومعقبا على ذلك بما ينقض اقوال الشاكين، ويعيد اليقين بصحة النسبة المذكورة .

وقد احسن بذكر جملة من المصادر التي اوردت هذه الخطبة ، اذ كان الراي السائع ان المقري وحده هو الذي اثبتها ، ومن ثم كان الشك فيها يراود القوم ، فاتى الدكتور الهراس بخمسة مصادر اخرى اثبتت نص الخطبة ، وبعضها يرتقي الى ما قبل المقري بعدة قرون ، وبعضها مما عرف بالتثبت والتحري وصحة الرواية والنقل كابن خلكان . وانا اضيف الى هذه المصادر ، مصدرا ءاخر لايقل عن ابن خلكان تثبتا وتحريا وثقة ، وهو من اهل القرن الخامس واوائل السادس، واعني به الامام ابا بكر الطرطوشي صاحب سراج الملوك

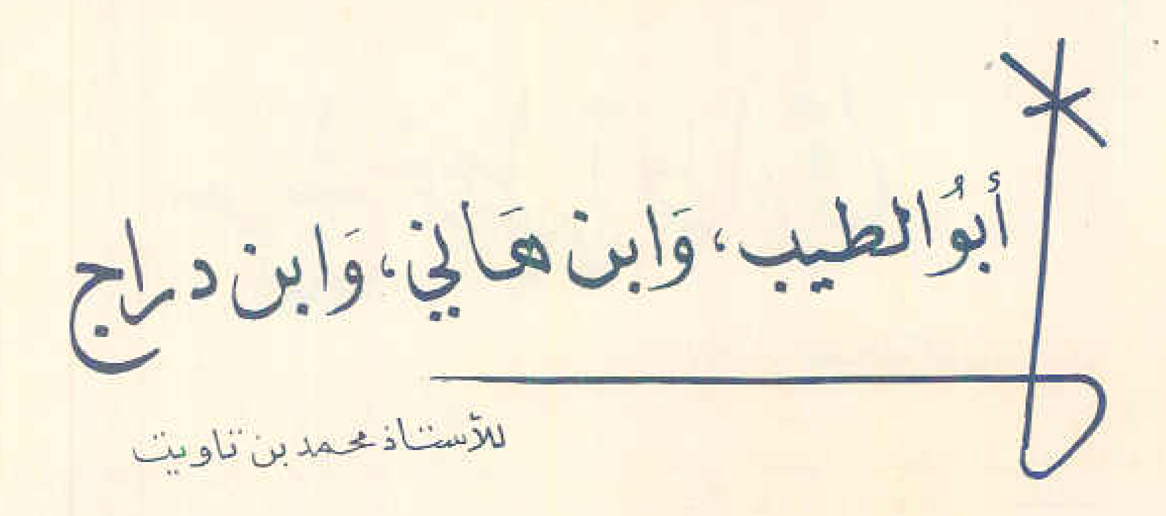
فقد ذكر هذا العالم الحجة خطبة طارق مسلما لها غير شاعر بادنى شك في صحة نسبتها اليه وأورد طرفا منها ، وذلك في الباب الحادي والستين من كتابه المذكور الذي عقده لذكر الحروب وتدبيرها وحيلها واحكامها .

وهذا نصه ليضم الى النصوص التي تضمنها المقال المنوه به .

«ولما عبر طارق مولى موسى بن نصير الى بلاد الاندلس ليفتحها ، وموسى اذ ذاك بافريقية ، خرجوا في الجزيرة الخضراء ، وتحصنوا في الجبل الذي يسمى اليوم جبل طارق ، وهم في الف وتسعمائة رجل ، فطمعت الروم فيهم ، فاقتتلوا ثلاثة ايام ، وكان على الروم تدمير ، استخلفه لذريق ملك الروم ، وكان قد كتب الى لذريق يعلمه : ان قوما لاندري امن الارض ام من السماء قد وصلوا الى بلادنا ، وقد لقيتهم ، فانهض الي بنفسك . فاتاه لذريق في تسعين الف عنان ، ولقيهم طارق وعلى خيله مغيث الرومي ، مولى للوليد ابن عبد الملك ، فاقتتلوا ثلاثة ايام اشد قتال ، فراى طارق ما الناس فيه من الشدة ، فقام فحضهم على الصبر ، ورغبهم في الشهادة ، وبسط ءامالهم . ثم قال: اين المفر ، البحر من ورائكم ، والعدو امامكم ، فليس الا الصبر منكم والنصر من ربكم . وانا فاعل شيئا ، فافعلوا كفعلي ، فوالله لاقصدن طاغيتهم ، فاما ان اقتله ، واما ان اقتل دونه .. فاستوثق طارق من خيله، وعرف حلية لذريق وعلامته وخيمته ، ثم حمل مع أصحابه عليه حملة رجل واحد ، فقتل الله تعالى لذريق بعد قتل ذريع في العدو ، وحمى الله تعالى المسلمين، فلم يقتل منهم كثير ، وانهزم الروم فقام المسلمون يقتلونهم ثلاثة ايام ، واحتز طارق راس لذريق وبعث بها الى موسى ، وبعث بها موسى الى الوليد بن عبد الملك وسار مغيث الى قرطبة وسار طارق الى طليطلة ، ولم يكن همه غير المائدة التي يذكر اهل الكتاب انها مائدة سليمان بن داود عليهما السلام ، فرفع اليه ابن اخت لذريق المائدة والتاج،فقومت المائدة بمائتي الف الف فيها من الجواهر التي لم ير مثلها » (1) .

طنجة : عبد الله كنون

1) سراج الملك ص 154 المطبعة الازهرية .



أبو الطيب، وابن هانئ، وابن دراج

للأستاذ محمد بن تاويت

توجه الاستاذ البحاثة السيد محمد بن تاويت صاحب مجلة « تطوان » فى الشهر الماضي الى القطر التونسي الشقيق لالقاء مجموعة من المحاضرات بالجامعة التونسية

وقد قضى الاستاذ ابن تاويت اسبوعا حافلا مع زملائه الاساتيذ وابنائه الطلبة حيث كان اول مغربي تقبلته الجامعة التونسية ، ونصبت له منصتها لالقاء دروس عامرة قيمة ، كما اجرت معه الصحيفتان التونسيتان « العمل » و « الصباح » حديثا عن حياته الحافلة وقدمتاه الى الجمهور التونسي كباحث وعالم من كبار المحققين العرب الذين عملوا على تحقيق الكتب التي صدرت بالعربية والانجليزية ، ومثلوا بلادهم فى اكثر من مظاهرة ثقافية على الصعيد العربي والعالمي

ويسرنا ان نقدم فى هذا العدد المحاضرة الاولى التي القاها الاستاذ ابن تاويت بعنوان :

ابو الطيب ، وابن هانيء ، وابن دراج

يعتبر القرن الرابع ازهى عصور العربية فى العالم الاسلامي على العموم ويعتبر هؤلاء الشعراء الثلاثة مظهرا من مظاهر هذا العصر المزدهر حيث نبغ فى اوله المتنبي وفى أواسطه ابن هانيء الاندلسي وفى أواخره ابن دراج القسطلي .

واذا كان هذا الاخير قد عمر فاتاه الاجل الى أوائل القرن الخامس فقد كان اول الثلاثة قد تأخر عن أوائل الرابع ، على حين نجد ابن هانيء ثاني الثلاثة يمثل أواسط القرن الرابع بكل تحديد .

ومن المصادفات ان تكون هذه السلسلة محكمة الحلقات ، فقد توفى المتنبي وابن هانيء فى مقتبل الشباب ، وقد امر امره فى فنه ، كما انه توفى وابن دراج فى سن السادسة عشرة ، على ابواب الشهرة الفنية ان لم يكن قد ولج تلك الابواب بالفعل .

واذا صح ان نعد لهؤلاء الشعراء مناطق نبوغهم الجغرافية ، فللمتنبي الشرق الممتد من مصر الى اقصى ايران ، ولابن هانيء الشمال الافريقي الى الحدود البيزنطية بشمال الشام ، بما ينضم الى هذا من صقلية وكريت ، ولا تنضم الاندلس لاننا لا نحفظ له شعرا تعلق بها ، ولابن دراج الاندلسي بما فيها البرتغال الحالية ومناطق من المغرب الاقصى مثل سبتة الحمودية .

أجل لقد شارك هؤلاء فى احداث هذه الاقطار بفنهم جميعا واعيانهم الا ابن هانيء حيث لم يشارك فى احداث بعضها الا بفنه .

وكانت بعض هذه الميادين يتجاذبها المتنبي وابن هانيء معا ، مثل مصر والشام ، بل كان بعض رجالها يتردد اسمه بعينه فى شعر الشاعرين ، مثل القائد

الروسي الدمشقي الذي كان اقرب القواد الى ملك الروم واعظمهم شأنا في تلك الاحداث .

لم بين الشعراء الثلاثة اوجه تشابه في كونهم نشأوا من ابوين مغمورين ، لا يعرف عنهما للمتنبي الا كون ابيه كان سقاء بالكوفة ، ولابن هاني الا كون ابيه الشاعر انتقل من افريقية الى الاندلس في طلب الرزق ولا يعرف عنهما لابن دراج الا كون ابيه منحدرا من سلالة صنهاجية ، كان لها شان في قديم الفتح ، كما كان لسلالة ابن هانيء المهلبية من مجد في مشارق الارض ومغاربها .

وجميعهم نشأ بالمدن او قريبا منها ، فالمتنبي قريبا من الكوفة ، وابن هانيء قريبا من اشبيلية ، وابن دراج قريبا من جيان في متوسط الاندلس او طبيرة في غربها على الخلاف او نقول انهم جميعا نشأوا بقرى قريبة من المدن التي لا شك انهم تلقوا بها ثقافتهم الاولى على الاقل .

وجميعهم تقلبت بهم الاجواء واعتمدوا على فنهم وسيلة من وسائل الحياة ، وجابوا الاقطار وعاشوا للناس في فنهم ، ولم يعيشوا في هذا الفن لانفسهم وان كانوا في هذا درجات ينسى المتنبي نفسه فيها ولا ينتفض الا انتفاضة تنبعث عن لذاعة الاخفاق في المسعى ويتمتع ابن هانيء بالرضى عن نفسه شيعيا متحمسا في مذهبه ، وينعم ابن دراج ردحا من الزمن بنشوة الانتصارات الاسلامية التي نراه فيها مترنحا طروبا مغنيا بامجادها مدويا صادحا بالحانها ، وهو الى جانب ذلك كاتب من كتاب الدولة التي رضي عنها ورضيت عنه ، ولكنه في احيان اخرى تلذعه آلام الاخفاق والاعواز فينتفض في غمرة تسلمه من امير الى امير وتجعله يمدح هذا ويعرض بذاك الممدوح سابقا ولا يعرم ويعربد كما يفعل المتنبي او ينطلق في غلوائه كما يفعل ابن هانيء . والشعراء على كل حال اكثر الناس تعرضا لتقلبات الاجواء ، ومهما يكن فجميعهم سايروا احداثا تجلت في الصراعات المديدة بين الاسلام والمسيحية ، فكانوا لسان ساداتهم وسجل انتصاراتهم ، هذه خطوط زمنية ومكانية وماسات عائلية ونفسية وظروف حل بها اولئك الشعراء ومارسوا وقائعها او راقبوها عن كثب فطبعت شعرهم بطابع خاص متفاوت في القوة ، كما سنرى ، وهذه موهبتهم الفنية، والاصداء التي احدثوها في الناس حولهم ومن بعدهم ، فالمتنبي كاد الاجماع الادبي ينعقد على جودته ، وابن هانيء معاصره يشبه به فهو متنبي المغرب وسيده

المعز يريد ان يفاخر به شعراء المشرق ، وابن دراج متنبيء آخر للمغرب ، صدق في قوله عنه تلميذه ابن حزم ، لو لم يكن للاندلس شاعر غيره لكفى .

والمتنبيء وابن هانيء من سلالة عربية يمنية على الغالب ، كلاهما يحتفل بجزالة الاسلوب وفخامة الالفاظ وصلصلة الاجراس والارتفاع بالمعاني الى مستوى المبالغات الطائرة في اجواء لا تعرف لها مناطق وحدودا ، الخافقة باجنحتها في ضرب الامثال الوهمية تارة والحكمة اخرى .

اما ابن دراج فهو من سلالة صنهاجية يعتمد المعاني في القالب قبل كل شيء وهو مع ذلك محتفل بالالفاظ مهذب لها تهذيبا تنسل معه تلك المعاني ، ولا يستعمل من الحلية غالبا الا ما يزيدها حلاوة ، ولا يثقلها تكلفا ، فهو الى هذا شاعر المعاني ، والالفاظ تبع لها ، والمتنبي شاعر المعاني والالفاظ معا ،وابن هانيء شاعر يعتمد على الالفاظ فتبهره غالب اكثر مما يعتمد على المعاني فيسكن اليها . وقد يكون لهذا الانطلاق نحو رنين الالفاظ وجعل المعاني تبعا لها في بعض الاحيان ، احوال كان عليها الشاعر ابن هانيء وهو في ظرف غير شعوري حتى انه قد يخرج على نطاق يحدده له الدين والاخلاق ، وهو ما كان قد وقع فيه المتنبي نفسه ، وقد اخذه خمار الطمع فلم يشعر بما قال،لكن ابن دراج كان من المثبتين في فنهم المهذبين له ، ولهذا جاءت اشعاره العيديات أجمل ما له من اشعار ، وجاءت الاخرى دون ذلك وهي متفاوتة هذه المرتبة ، ومع هذا فلا نريد أن نقول ان شاعر الفاطمية كان شاعر الالفاظ ، كما قال عنه النقاد فيما مضى ، وعلى راسهم ابن رشيق من المغاربة والمعري من المشارقة ، فهذا في الواقع اجحاف بحق الشاعر الفذ الذي صور عصرا هو امجد العصور وازهاها للفواطم ، صوره في انتصاراته المتعاقبة سواء منها ما كان في المغرب الاقصى وفي تخومه النائية ، وما كان يصطخب به ميادين اخرى تمتد من هذا المغرب الى مصر وتصعد الى شمال الشام وكذلك ما كان يزخر به حوض الابيض المتوسط وتموج باساطيله وهي تناطح السماء وتلاطم الامواج وتقارع اساطيل اخرى كانت اعظم الاساطيل لعهدها ، ولم يكتف ابن هانيء في تصويره لهذه المشاهد المرئية الهائلة ، بل تعداها ، وكان عليه ان يتعداها ، الى تصوير عقائد عميقة الفكرة عويصة التاويل ، فكانت هذه المعاني العظيمة والمعقدة في آن ، مصورة في شعره ادق تصوير ومسجلة فيه اخلد تسجيل ، لدرجة ان بعضها كان شعر ابن هانيء هو المرجع الوحيد فيها ، وهو الذي

يلقى اضواء على بعض الاركان الغامضة على التاريخ فيهـــا .

الى ما لذلك من ابتكارات الشاعر في تنسيـــق المعاني بصورها الرائعة وهي في الواقع عنصر الجمال في شعره ، وليست الالفاظ وحدها تهدر فيه غالبا .

ومن قبل وجدنا الجاحـظ ومدرستـه يجعـل الالفاظ وحدها مزية الشعراء حتى انه قال في الحيوان ان المعاني مطروقة في الطريق ، وانما الشان في الالفاظ وعلى كل منـذا نظر الى الظاهـر والا لما كان للالفاظ شان لولا المعاني التي تحلها . لقد قال المعري وقد اطلع على شعر ابن هانيء : رحـى تطحن قرونـا ، والمنصف يرى في قرائته لشعر ابن هانيء ، انها ليسـت رحـى تطحن قرونا ، بل كانت هذه الرحى تجود لنا في بعض الاحيان بدقيق مبارك ، يختمر بافكار راقية ، وربمـا كانت هذه الافكار مستوحاة من الثقافة العربية ، التي كانت قد انتهت آنذاك الى هذه الفلسفة والتفكيـــر المنظم ، فكان المتنبي نفسه من المستفيدين المستغلين لذلك ، في مهارة الشاعـر البـارع ، وقـدرة العالـم المتصـرف في علمه ، وقد الف معاصر المتنبي ، ابو علي الحاتمي رسالة رد فيها حكم المتنبـي الـى اصولهـا الفلسفية اليونانية ، وخصوصا فلسفة ارسطو منها ، كما كان حذق المتنبي في علمه ، مما مكن له في ذلـــك الاسلوب الذي ابتدعه ، فحير به قراءه واطربهم آونة اخرى ، وكذلك قيل في ابن هانيء انه كان يشتغـــل بالفلسفة اليونانية ، ولا شك انه كان على حظ عظيـم من العلم ، واطلاع واسع على اساليب الفطاحل وكبار اللغويين ، مما جعل شعره بتلك الصفة ، الى جانـب الافكار الفلسفية ، التي نخص المنطق منها بالذكر ، فان تعابيره واضحة في شعره في بعض الاحيان وهو يشير الى بعض اصوله . .

وطبعا فان استعداد الشاعر الفطري ، وميوله الفنية ، كان لهما الفضل الاول في هذا الاتجاه ، زيادة على ما هناك من ملابسات ، لعلها كانت توحي الى كلا الشاعرين ، بذلـك الفن القـوي الصـارخ بالوانـه ، فالمتنبي اشتهر بأمداحه خصوصا للعظمـاء والامـراء العصاميين ، ولا شك ان هؤلاء جميعا كانوا حريصين على العظمة في كل شيء ، ومنها الامداح التي تسجل اعمالهم وتصور شخصياتهم في هالة من المهابة ، وكذلك ما حفظ لنا من شعر ابن هانيء ، كان جله في مـــدح عظماء الدولة الناشئة وخليفتها وولي عهده ، وكانت هذه الدولة ، دامغة بالعظمة والقوة ، طافحة بالنخـوة

التي اباحت لشاعرنا ان يؤله خلفاءها ، بل ربما املت هي عليه ذلك .

وعلى العموم ، فان شعر هذا الشاعر في صيغته وفي توليده للمعاني ، ثم في لغته القشبة وتعابيره الممتازة لما يجعل المعز لدين الله على حق ، حينما قال كلمته الاسيفة ، ويكفي ان نقرا قصائده في المديح والرثـاء ، فنشـعر بهذه العظمة تستولي على مشاعرنـا ، وتمـلأ بصائرنا ، ولكن الشاعر كان منكود الحظ ، فانهم في بلاده الاصيل بما كان جديرا ان يفخر به في غيرهـا الا وهو الفلسفة ، نعم ان افكاره الفلسفيـة ، كانـت من الاسرار في عظمته ، فهي التي ولدت فيه تلك القـدرة على توليد المعاني ، وهذا التوليد هو مهمة الفيلسوف الحق ، وقدما قال ابو الفلسفة اليونانية سقراط : اني لا اصنع الا ما تصنع امي ، لان امه كانت قابلة ، تباشر التوليد في الاناسي ، فكان ابنها يباشره في المعاني .

ولعلكم تشعرون في هذا الكلام عن ابن هانـيء بشيء من التناقض او من الحاجة الى التوضيح فيه .

ولهذا فنقول : ان التوليد الذي نجده في شعـر ابن هانيء كثيرا ما يكون مصدره الالفاظ نفسها فهـو قد نشأ بسبب من تلك القرابة التي احسها بين أجراس الالفاظ ، فتولدت بذلك معان وكان الجناس نوعا منه او صورة مصغرة من ذلك التوليد .

ولا شك ان من العوامل التي تزيد فيه وتنميـه القافية فهذه القافية كثيرا ما تولد لشعرائنا عامة او يولد البحث عنها معنى ياتي الى رحاب الشاعر ويسلم عليه قضاء وقدرا — كما يقال في التركية — فيحسـن الشاعر استقباله ويوفيه حقه من الضيافة وعليه منها حسب ما يكون في هذا الشاعر من كرم خيال ولباقة حـــس .

هذه العوامل نفسها قد تقوى جدا وربما لا تكون بهذه القوة خصوصا ان بنيت القافية على روى مـن الضمائر المعترف بها في هذا البناء كالكاف او النون ، فمن الاول نجد هذه القصيدة لابن هانيء وقد قال في مطلعهـــا :

فتكات لحظك ام سيـوف ابيـك
وكؤوس خمر ام مراشـف فيـك
أجلاد مرهفة وفتـك محاجـر
ما انـت راحمـة ولا اهلـوك
يا بنت ذي السيف الطويل نجاده
اكذا يجوز الحكم في ناديـك

قد كان يدعوني خيالك طارقا
حتى دعاني بالقنا داعيك

عيناك ام مغناك موعدنا وفي
وادي الكرى نلقاك ام واديك

منعوك من سنة الكرى وسروا فلو
عثروا بطيف طارق ظنوك

ودعوك نشوى ما سقوك مدامة
لما تمايل عطفك اتهموك

حسبوا التكحل في جفونك حيلة
تالله ما باكفهم كحلوك

وجلوك لي اذ نحن غصنا بانة
حتى اذا احتفل الهوى حجبوك

واوى مقبلك اللثام وما دروا
ان قد لثمت به وقبل فوك

فمثل هذه القوافي تجعل الشاعر في حل من تداعيها او لا تلزمه بذلك التوليد الذي يطغى بنمائه ويسترسل فيه الشاعر كما نجده لابن هانيء في تلك المذهبة التي كانت آخر ما قيل من شعر في المعز وزادت في عدد ابياتها على المائتين . اعني تلك التي استهلها بقوله :

اصاخت فقالت وقع اجرد شيظم
وشامت فقالت لمع ابيض مخذم

ففيها نجد الابيات التي قدت في اسلوبها على ما لزهير في تلك المعلقة :

ومن يتيقن ان للعفو موضعا
من السيف يصفح عن كثير ويحلم

وما الراى الا بعد طول تثبت
ولا الحزم الا بعد طول تلوم

رايتك من ترزقه يرزق من الورى
دراكا ومن تحرم من الناس يحرم

ومن لم تؤيد ملكه يهو عرشه
ومن لم تثبت عزه يتهدم

الى ان يقول :

وما الجود جودا في سواك حقيقة
وما هو الا كالحديث المرجم

ويقول قبل :

اذا لم تكرمك الطباع بحبه
فلست على ذى نهية بمكرم

فهذه نجدها تلد معانيها وتفرح بنماء عظيم عملت فيه الالفاظ اكثر مما عملت المعاني ، مما جعل ابن رشيق ، مستندا عليها ، يحكم على شاعرنا بانه شاعر الفاظ جوفاء فيها صخب ولا بركة فيها ، او هي رحى تطحن قرونا كما قال المتنبي .

وقد قال النقاد ومن آخرهم احمد امين رحمه الله انها بنيت على معلقة عنترة ، والواقع انها بنيت على معلقة زهير ، وليس فيها لعنترة الا القليل مما لا يتعدى من عدد الانامل، ومنه في المصراع الاول « اجرد شيظم »

ولا نتساق مع ابن رشيق ولا نقسو قسوةالمعري، فان الشاعر مع استرساله هذه كان تداعيه يسعفه بجديد في هذه القصيدة ايضا :

حقيقة ان التداعي عموما هو الرافد الاول للشاعر الحق ، غير ان المسالة هنا اخص من التداعي الذي قد يوحي بصورة مبعثرة مبثوتة هنا وهناك ، وفي خلقة قد يخونها الابداع والتنسيق المنسجم الذي لا يكتفي بالخيال ، حتى يحتكم الى العقل فيسلمه تسليم المقن الحصيف ، ومن اجل ذلك كان المتنبي الشاعر صديق ابي العلاء الفيلسوف ، الذي حكم لابي الطيب بانه حكيم كذلك ، وما ضر هذا شاعريته الممتازة ، كما لم تضر شاعرية ابي العلاء فلسفته الانسانية الممتازة ايضا . ومهما يكن فابن هانيء كان خياله وذكاؤه يسعفانه فيطيل في نفسه الذي لا يخلو من الابداع وخصوصا ما يكون ذلك في الامداح والمراثي ، وكانت المراثي ، اعتمادا على قول ارسطو ، لا تختلف عن الامداح ، فهو قد قسم اغراض الشعر وحصرها ، في كنت وانت ولست ، فالمسالة اذن زمنية ، في الفرق بين المدح والرثا ، وان كان هذا غير حق .

ولم يكن ابن هانيء ولا كان المتنبي موفقا في باقي الاغراض الشعرية الا ان المطالع الغزلية التقليدية فيها كان ابن هانيء موفقا كل التوفيق ، ولم يكن كذلك المتنبي مما جعله ينعى على الشعراء مطالعهم الغزلية التقليدية بقوله :

اذا كان مدح فالنسيب المقدم
اكل فصيح قال شعرا متيم

ولكن لماذا نجده نفسه متيما او مدعيا ذلك في عدة من قصائده المديحية التي غالبا ما اخفق بمطالعه الغزلية فيها ، لان طبعه لم يكن يستجيب الى هذا الغزل او ذاك النسيب ، على حين كان طبع ابن هانيء يستجيب له كما وجدنا في تلك الكافية وكما نجد في مطلع هذه الفائية الجميل :

اليلتنا اذ ارسلت واردا وصفا
وبتنا نرى الجوزاء في اذنها شنفا

وبات لنا ساق يقوم على الدجا
بشمعة نجم لا تقط ولا تطفا

اغن غضيض خفف الليل قده
وثقلت الصهباء اجفانه الوطفا

ولم يبق ارعاش المدام له يدا
ولم يبق اعناث التثنى له عطفا

نزيف قضاه السكر الا ارتجاجه
اذا كل عنه الخصر حمله الردفا

يقولون حقف فوقه خيزرانة
اما يعرفون الخيزرانة والحقفا

جعلنا حشايانا ثياب مدامنا
وقدت لنا الظلماء من جلدها لحفا

فمثل هذا المطلع يصح ان نعده في خمريات ابن هانيء العباسي ولا نعده في غزل الجمهرة التي كان من اول الاسلاميين فيها ذو الرمة كما قصد اليه من سماه بذلك مراعيا ما في غزل سلاقي الصيد من فتور وونى عند ادراك الصيد ، فابن هانئنا يصدر عن طبعه :

بعيشك نبه كاسه وجفونه
فقد نبه الابريق من بعد ما اغفى

ومع هذا فهو لم يخلص لنفسه في فنه اخلاص ابي نواس اذ عرف لاول امره مداحا لكبراء اشبيلية ، وامرائها الذين كان منهم من عمل على نجاته بنفسه الى عدوة المغرب ، فكان الشاعر ازاء فنه بمثابة ابي تمام ، فكلاهما بدت عبقريته في شعره للناس ، لا في شعره لنفسه ، وحتى الشعر الغزلي الذي كانت دواعيه تلامس حياة كلا الشاعرين ، لم يبرع احدهما فيه براعة صادرة عن صدق وشعور عاطفي ، وانما برعا فيه وهو صنعة محض ، تحدو تلك القصائد المدحية كما قلنا ، فكان غزلهما ايضا غزلا للناس لا لهما ، وكذلك يقال في الرثاء ، فرثاء ابي تمام للمعتصم مثلا هو ارقى بكثير من رثائه لجارته التي احبها ، وكذلك كانت مراثي ابي هانيء لآل جعفر ، لا تختلف ، كما ان ابن دراج ليست له مراث في اهله على شدة تعلقه بهم وعن امداحه لهم ، وكم نعثر له على شيء من ميراثه لعائلته او اقاربه بخلاف ابي الطيب فقد رثى جدته لامه.

وبهذا كله خالف ابن هانيء ايضا من تقدمه من شعراء الاندلس مثل الغزال واحمد بن عبد ربه وسعيد بن عبد ربه او عاصره مثل الرمادي . هؤلاء جميعا اخلصوا لانفسهم في فنهم ، ولا نجد في هذا الغزل جزالة ابن هانيء وجلبته بل الفاظه كمعانيه رقيقة فيه وهي كذلك في وصف الرياض ومجالس اللهو .

ولنعد الى ابن دراج فنجده كالمتنبي وابن هانيء مادحا وراثيا لاولئك الذين كانوا على سبب بممدوحيه الامراء وغير الامراء من كتاب وقضاة وغيرهم ، وهو اشبه بالمتنبي في كون الحرص على المال كان يتجلى في شعره ، على عكس ما كان يتجلى في شعر ابن هانيء من التجرد المدعى لمجرد المدح ، وكان ابن دراج يتوسل ويستدر عطف الممدوح بالاولاد وكثرة الصبية في تصوير مؤثر حقا ؛ الا انه لم يكن كالمتنبي حريصا على هذا المال لعقدة من العقد النفسية التي تمكنت منه منذ النشأة الاولى بل كانت الحاجة الملحة هي الدافعة له بالتصريح والتلويح ، ولولاها لما كان منه ذلك ، كما يقول وهو صادق .

وهو مطيل في غالب قصائده التي يحتفل بها واهمها العيديات طولا يفوق به المتنبي ، ولكنه لا يصل في هذا الطول الى الرقم الذي ضربه ابن هانيء فتعدى المائة في الغالب والمائتين في النادر ، وهو مسجل لاحداث ممدوحيه وخصوصا منهم المنصور محمد بن ابي عامر الذي حظى عنده وظهر على مسرحه لاول مرة فاستكتبه ورافقه في بعض غزواته التي سجلها في شعره تسجيلا دقيقا ، كما سجل بعضها في نثره كذلك، فهو بهذا ايضا يفوق المتنبي كثيرا ويفوق ابن هانيء قليلا ، ويشاكهه ــ وهذا من الفاظه الرائجة ــ في كونه انفرد دون التاريخ بتسجيل دقائق فاتت التاريخ او اهملها ثم صار يستمدها من شعره وحده .

وعلى حين يهذب الفاظ شعره ويسلسلها في ذوق مرهف واحساس رقيق نجده كذلك يستعمل الفاظا محلية ، مما لم نجد له صدى لا في شعر المتنبي ولا في شعر ابن هانيء ، وكان الى جانب هذه المحلية في تلك الالفاظ على جانب كبير من تصوير هذه المحلية المتقلبة التي تعرضت لها في الفتنة البربرية ، كما هو مذكور في كتب التواريخ او الفتنة الاندلسية ، كما هو في الواقع الذي اقره ابن عذارى في الجزء الثالث من كتابه . لقد عدم الناس الاطمئنان وشكوا في مثلهم العليا فانهاروا او خاسوا بضمائرهم فطوحوا بالوفاء نحو القائمين على شؤونهم ، فكان من هؤلاء الناس ابن دراج نفسه ، فبعدما كان يشيد بالمنصور ثم بابنه عبد الملك الذي اقره على ما كان عليه ايام والده نجده لاول الامر يشيد باخيه عبد الرحمن الملقب بشنجول وشكان ــ وهذا من الفاظه الرائجة ايضا ــ ما نجده ينصرف عنه ويتوجه الى المهدي محمد بن هشام فيمدحه ويعرض بسابقه

ثم يعرض بهذا ويمدح خصمه سليمان بن الحكم ثم يعرض بهذا بعد أن انصرف الى القاسم بن حمود فأخيه علي ثم ينصرف عن هؤلاء جميعا ويعود الى البيت الاموي فيمدح آخر ملوكه المرتضى ، واخيرا نجده عند الصقالبة العامريين في شرق الاندلس ، ثم التجيبيين الأمريين في وسطها بسرقسطة حيث حل رحله وتنفس صعداءه الى حين .

فهو بهذا فاق المتنبي في الواصلية ، ولكنها واصلية ضرورة وحيرة وفتنة ، افصح عنها بقوله :

في جاهلية فتنة عبدت بها / دون الالة مضلة الارباب
تستقسم الازلام في مهجاتها / وتسيل أنفسنا على الانصاب
غيرا من الايام اصبح ماؤها / غورا واعقب صفوها بعقاب
وبوارقا للقى اضرم نورها / نارا وصاب غمامها بالصاب
فلما فقدت النفس الا قدر ما / اشجى به لحلول كل مصاب
وبها رزيت الاهل الا لابسا / بؤسا يزيد به اليم عذابي
وبها رفعت حجاب ستري عن مها / تركت شبا قلبي بغير حجاب
وجلوت في خطب الجلاء عقائلا / قصرت عنها همة الخطاب
سرب المقاصر والملاعب صنته / فاطرتهن مع القطا الاسراب
ذعرت بحن الانس تحت حجالها / واستانست بضراغم وذئاب

الى غير هذه الصرخات المشجية التي تمثل لنا ذلك التدهور وتلقي اضواء على اسبابه التي قيدت شاعرنا ، ولكننا مع هذا لا يمكننا ان نعفيه من مبدا الوصولية التي ظهرت في ميله للصنهاجية والزناتية ان كان في هذا الميل مطابقة الكلام لمقتضى الحال – كما يقول البلاغيون – وفي ميله عليهما جميعا ان كان في هذا الميل ايضا تلك المطابقة البلاغية الوصولية ان اردنا الحق كما نجد في صفحات ديوانه من 180 الى 175 .

هذه نواح خلقية ، وان كان لها اتصال بالناحية الفنية على كل حال ، أما الناحية الفنية المجردة – ان صح هذا التجرد – فهي بالاضافة الى ما تقدم ،تتخلص من تلك الاناقة التي فتن بها الاندلسيون منذ ابن عبد ربه الى ابن الخطيب وتلميذه ابن زمرك . فلا نجد في شعره بالخصوص ، تلاعبا بالالفاظ لمجرد التلاعب ولا تقليبا لها على نحو ما تفعل الايدي الساحرة لمجرد ذلك التكنيس ولا تعبيرا للصور في اوضاعها لمجرد الانبهار من هذا الوضع المتغير ، كما نجد ذلك في مقابلات المتنبي وابن هانيء بالخصوص مما يضطرنا في بعض الاحيان ان نقف متسائلين متفهمين ؛ بل نجد فيه الاناقة المحبوبة والحركات المتماسكة في خفة ولطف ورفق بالمشاهدين لها ، كما نجد في هذا المطلع المجمل البسيط :

نجوم الصبا اين تلك النجوم / نسيم الصبا أين ذاك النسيم
اما في التخيل منها ضياء / اما في التنشق منها شميم
فيلحقها من ضلوعي زفير / ويدركها من دموعي سجوم
لقد شط روض اليه احن / وغارت مياه اليها اهيم
اوانس يصبح عنها الصباح / نواعم ينعم منها النعيم
كواعب تصفى الهيا السعود / كواعب تصبو اليها الحلوم
ليالي اذ لا حبيب يصد / وعهدي اذ لا عذول يلوم
واذ لا صباحي رقيب عتيد / ولا ليل وصلي ظلام بهيم
وكيف وشمس الضحى لي اليف / واني وبدر الدجى لي نديم
وخمري من الدر مسك مذاب / وروضي من السحر دل رخيم
واوجه ارضي زهر تروق / وملء سمائي نجوم رجوم
فشيطان لهوي مطاع مطيع / وشيطان همي ، طريد رجيم
غزارة عيش أراها الشرور / بأن الزمان صديق حميم
وغمرة شك اتاها اليقين / بأن رضيع الاماني فطيم
وغصن شباب علاه المشيب / كغصن رياض علاها الهشيم
فيا عجبا لصروف الزمان / شهودا لنا وهي فينا خصوم

الى غير هذه الابيات من مطلعنا هذا . وهي على ما فيها من تأنق ظاهر تلتزم البساطة في نفس الوضع وتحافظ على معانيها المتسلسلة . ولا تبخسها حقها في شيء بحيث انها لو ترجمت الى لغة اخرى لما فقدت كثيرا من جمالها .

وهذا في غالب شعره ، ويمكن ان نعممه في قصائده التي كان يجد لها من الوقت ما ينقحه فيه ويهذبه ، كما قلنا وتلك قصائده العيديات ، فكان شاعرنا فنانا بحق يطلب الوقت اول ما يطلب ليبدع في فنه ، ولهذا فاننا نجده قد يسف في بعض قصائده المرتجلة لمناسبة طارئة فنحسه فيها يقتلع من موهبته شعره اقتلاعا وينحته من قريحته وكانما ينحت في صخر صلد فيضطر الى ان يعود الى جرابه ليبحث فيه علّه يسعفه بحزازات قد تبهر بالوانها ، ولكنها لا قيمة لها بين تلك الجواهر التي كانت تتلألأ في أشعار الفتوح والانتصارات الاولى على تاج المنصور ابن ابي عامر فابنه المظفر او في تلك الانتصارات التي لابسها اخيرا على عهد التجيبيين. فمن تلك قوله في مطلع قصيدة رثى بها منذر التجيبي :

فلهفي عليه والكماة تهابه
ولهفي عليه والملوك مطيعوه
ولهفي عليه والوغى تستخفه
ولهفي عليه والكتائب تقفوه
ولهفي عليه والضيوف تزوره
ولهفي عليه والركائب تنحوه
ولهفي عليه والاماني تؤمه
ولهفي عليه والخلائق ترجوه
ولهفي عليه والمصاحف حوله
بخط كتاب الله فيها ويتلوه
ولهفي عليه حاضرا كل مسجد
ودعواه اشياع له ومصلوه
تلهف قلب ليس يشفى غليله
سوابق دمع لاعج الحزن يحدوه
واشكو الى الرحمن ترحه فجعة
فمن لم يبت داع الى الله يشكوه

وهكذا نجده غير موفق في هذا الحدث الذي داهمه على بغتة ، وهو ما وقع للمتنبي ايضا في رثائه لام سيف الدولة ، فقال قصيدة ، من ابياتها هذا البيت السخيف :

صلاة الله خالقنا حنوط
على الوجه المكفن بالجمال

وقد يوفق في رثائه كما قلنا توفق المتنبي في رثاء ابي شجاع ، اذ قال في مطلع قصيدته وهو بمصر :

الحزن يقلق والتجمل يردع
والدمع بينهما عصي طيع
يتنازعان دموع عين مسهد
هذا يجيء بها وهذا يرجع
النوم بعد ابي شجاع نافر
والليل معي والكواكب ظلع
اني لاجبن من فراق احبتي
وتحس نفسي بالحمام فاشجع
ويزيدني غضب الاعادي قسوة
ويلم بي عتب الصديق فأجزع
تصفو الحياة لجاهل او غافل
عما مضى فيها وما يتوقع
ولمن يغالط في الحقائق نفسه
ويسومها طلب المحال فتطمع
اين الذي الهرمان من بنيانه
ما قومه ما يومه ما المصرع
تتخلف الآثار عن اصحابها
حينا ويدركها الفناء فتتبع

وهكذا تعجبنا هذه الابيات ولكن لا ننسى فيها هذه الحكم والعبر وهذا التحدث عن نفس الشاعر واخلاقه بهذه المناسبة ، واذا كنا قد نفينا عن ابن دراج صفة التلاعب بالالفاظ فليس ذلك على البتات بل انه قد يتلاعب في بعض الاحيان فيحسن التقليب والتنكيس كقوله في هذين المطلعين :

سلام على الايام تسليم اقبال
بآمال تحقيق وتحقيق آمال
دواليك من دهر يواليك بالنجح
ففتح الى عيد وعيد الى فتح

بل انه قد يستهويه الرنين اللفظي احيانا قليلة فيفعل ما فعل ، واكثر ما ورد ذلك في هذه الابيات لسبب سنعرفه :

بمراى هداهم الى هدى هود
وعاد اليهم باحلام عاد
فمن راحة ريحها الارتياح
ومن ماء صاد الى كل صاد
ربيع المصيف ربيع الشتاء
مريع الحزون مريع الوهاد
ومن روضه سروات الكماة
تثنى على صهوات الجياد

وبذلك يكون من تداعيه ما توحي به الالفاظ رنينها واجراسها ، وان كان الغالب عليه ان قرابة المعاني هي التي ترفوه بالخيال المنشىء كما ان كثرة اطلاعه برفده بخياله المفيد ، ومن هذا الاخير ما حصل له في قصيدة اللامية التي اتينا بمطلعها آنفا حيث استفاد فيها من لامية امرىء القيس :

الا عم صباحا ايها الطلل البالي
وهل يعمن من كان في العصر الخال

وفي بعض الاحيان قد توقيه قرابة المعاني بما التعبير في غنى عنه فيقع التكرار مثلا كما في قوله :

وعرفانه في شعار الحروب
وتبيانه في صريخ المنادي
وترديده في مجال الطعان
وتكريره في مكر الطراد

فالبيت الاول ليس فيه الا تصوير لفظي ، بينما الثاني ليس فيه الا تغيير جرس والمعنى واحد ، ولابد ان نذكر انه في هذه القصيدة كان على غير ما يرام من ممدوحه يحيى بن منذر التجيبي ، ومن هنا أتى تكلفه في داليته المذكورة ، اذ نجدها تجأر بالشكوى فتقول :

ايغرب عندك نجم اغترابي
ومطلعه لك في الارض باد
واسقى الورى عنك ماء الحياة
وارسف منك حمى الثماد
ورعى فيك حصيد الخلود
وحظى منك لقيط الحصاد
سدادا من العوز المستجار
واكثره عوز مهن سداد
قضاء له في يد الاقتضاء
زمام ومن سابق البغي حاد
كعلمك من خطب دهر رماني
بأسم واش وغاو وعاد
يسلون بين الاماني وبيني
سيوف القلى ورماح البعاد
زمان كان قد تفدى لسعي
لعاب افاع وحيات واد
فاودع من نفثه حر صدري
سماما ليالي منها عدادي

فانظروا كيف استوى في فنه الشاعر وقد انطلق يتحدث في صدق وحمية وتخلص من تلك البهرجة المتكلفة التي لم تكن في الموضوع المقصود والحكم والامثال من المواقف التي يقفها او يقف عندها طويل قارىء ديوان المتنبي ، كما يقف نحوها قارىء ديوان ابن هانىء ، وهي قليلة جدا في شعر ابن دراج الذي يغلب عليه الفن الشعري اكثر مما يغلب عليه التفكير الذي يقرب من الفلسفة في تلك الحكم والامثال التي عرفت لكلا الشاعرين المتنبي وابن هانىء .

وقد قلنا ان ابن دراج كان موفقا في فنه الذي افسح له الوقت في الابداع به ، وغالبا ما كان الارتجال يخونه في فنه ، وقيل ان من القصائد التي اقترح عليه ان ينظمها قصيدة معروفة كان قد أشار عليه بها ابن عامر في معارضة قصيدة ابي نواس :

اجارة بيتنا ابوك غيور
وميسور ما يرجى لديك عسير

فعارضها ابن دراج بقصيدة تعد من عيون قصائده ، ومطلعها :

دعها عزمات المستضام تسير
فتنجد في عرض الفلا وتغور

ولكن القارىء لهذه القصيدة يجدها كذلك من العيديات التي احتفل بها الشاعر ، وكذلك يقال في رثائه الذي وفق فيه لاحد الفقهاء ، وقد توفي في طريق الحج فوفق في رثائه الذي يصرح بانه كان تعزية ولا شك انه وجد فيه فسحة ايما احتفال فليست اذن من مرتجلاته ، ولو امر بها ، كما حدث هذا منه ايضا حينما امر بانشاء كتاب فتح من لدن ابن ابي عامر ، فاجاب انه لا يتأتى ذلك في اقل من يومين او ثلاثة ، وفعلا تركت لابن دراج فسحة زمنية فجاء كما يقول مترجموه « بنسخة الفتح ووصف الغزاة من اولها الى آخرها ومشاهد القتال وكيفية الحال باحسن وصف وابدع رصف »

وبهذا ايضا يخالف زميليه السابقين المتنبي وابن هانىء ، فلا نعرف لهما نثرا فنيا على الاطلاق ، ونعرف لهذا نثرا قيما عظيما في الذخيرة مثلا ، وان كان صاحبها ابن بسام — بالرغم من كونه قد وصفه بانه معجز في ورده وصدره يبهر العقول ويباهي الغرر والحجول ، ويسامي التيجان والاكاليل ويسهل التقليد والتاويل — يحكم بأن شعره كان اعلى درجة من نثره ، وخصوصا في المدح ، فان شعره يتمتع بمزايا عظيمة قلما توجد في غيره ومع ان المقارنة بين النثر والنظم ، تصعب اذا اردناها للحكم والفصل الحق بينهما ، فاننا مدركين لذلك لا نرى باسا في ان نناظر بينهما وهما على اتصال في موضوع واحد ومن شاعر واحد ومناسبة متحدة في

الزمان كذلك ، وهو متيسر لنا في قصيدة بعث بها الى امير يمهد لها بالنثر ثم يختتمها بالنثر كذلك ، فيبتدىء التمهيد بقوله : يا سراجي المنير في مظلمات الامور ، ولوائي المنشور لعاديات الامور ، وعتادي المذخور لملمات الدهور ، والله جارك اكرم مجير من نكب الجد العثور بجارك المستجير لنجم حرمتك الا يغور ولكور نعتك الا يحور مستقدما في عنان السرور الى اكلاء العمر المعمور بطيب ذكرك المأثور ومستجزلا لبلائك المشكور اجزل جزائه الموفور الى آخر التمهيد الطويل وينتقل منه الى القصيدة فيستهلها بقوله :

واهد بها في الفلا والسرى
ويوم التلاقي وحين الثواء

وهي زهاء تسعين بيتا ، اول ابياتها مرتبط بمعناه وقافيته مع التمهيد والاسجاع الست والعشرين قبله ، ويختم القصيدة بالبيت :

وان رعت الارض منهم جنوبا
تسلوا برعي نجوم السماء

ففي هذه القصيدة مع هذا النثر يمكن ان نجيء بهذه المقارنة ، وان كانت كذلك مقارنة جزئية في بعض جوانبها .

وعلى كل حال فالسلاسة والانطلاق الذي نجده في شعر ابن دراج لا نجده في شعر المتنبي وابن هانىء على الغالب ، وشعره خير ما يمثل غزوات المنصور ابن ابي عامر بتلك الطريقة التي تخالف ما نهجه منها ابن عبد ربه في تسجيل غزوات الناصر ، يقول فيه ابن حيان : « ابو عمر القسطلي سباق حلبة الشعراء العامريين وخاتمة محسني أهل الاندلس اجمعين » ، وقد فرق بينه وبين غيره ، ابو عامر بن شهيد بقوله : « والفرق بين أبي عمر وغيره ، ان ابا عمر مطبوع النظام شديد اسر الكلام » .

نعم ان امداح الشاعر هي التي نجدها بين ايدينا ، وقليلا نجد له نسيبا في حداثته كما يقول مثلا من قطعة :

سامنع قلبي ان يحن اليك
وانهى دموعي أن تفيض عليك
اغدرا ولم اغدر وخوفا ولم اخن
لقد ضاع لي صدق الوفاء لديك
بفعلك عيب الحسن عندي وان غدت
مهاه التقى والشمس مشتبهيك

ومن اخرى :

شوق شديد ووصل من حبيبين
فليت شعري ما خطب العذولين
وليت شعري اذ لا ما وشعرهما
افي السويداء من قلبي ومن عيني
وهل امكن من اذني عذلهما
فيها اذا قام عذري في العذارين

وهو على كل حال ، وقد قاله في الصبا كما قال ، اذا قورن بغيره من النسيب الذي جعله فاتحة بعض امداحه ، وقد قاله في كهولته وشيخوخته . على ان ابن دراج وهو بهذه القدرة كان في بعض الاحيان يستعين بالمتنبي كما نجد كذلك في قصيدة كانت من اواخر قصائده مدح بها منذر بن يحيى التجيبي ومطلعها :

لعل سنا البرق الذي انا شائم
يهيم من الدنيا بمن انا هائم

حيث استعان بقصيدة المتنبي في سيف الدولة :

على قدر أهل العزم تاتي العزائم
وتاتي على قدر الكرام المكارم
وتعظم في عين الصغير صغارها
وتصغر في عين العظيم العظائم

لا يكفي ان نقرا في قصيدة ابن دراج هذه الابيات لتذكرنا باخواتها من قصيدة المتنبي :

ظماء وما غير الدماء مشارب
لهن ولا غير القلوب مطاعم
غرست الفلا منها غياضا ارومها
حماة الحمى والصافنات الصلادم
وعودتها طعم السباع فاشفقت
باغبابه أن تدعيه البهائم
فملكت تاج الملك تاج مليكة
لتاجيهما تعنو الملوك الخضارم
وتوجتها فوق الاكاليل والذرى
خوافق تغشاها النور القشاعم
وغادرته ما بين طودين اطبقا
حتوفا تصادى نفسه وتصادم
اقاطيع ملء الارض اصوات خيلها
وانامها عما يكن تراجم
وافعال خفض كنت تشكلها له
برفعك قد اوقت عليها الجوازم
ومن اعربت فيه اعاظم يعرب
فمستصغر في اصغريه العظائم

الى ان يقول في النهاية :

ولا عدم الاشراك انك ظافر
ولا عدم الاسلام انك سالم
جهاد على الكفار بالنصر مقدم
ووجه على الاسلام بالفتح قادم

ومن القريب ان استقلال النحو الذي عرف به الاندلس نجده كذلك في بيت من تلك القصيدة التي قالها المتنبي :

اذا كان ما تنويه فعلا مضارعا
مضى قبل ان تلقى عليه الجوازم

ولعل الشاعر اراد ان يعارض بهذه القصيدة العامرة الطويلة اختها التي تعد من امهات قصائد المتنبي ، الا انه زاد عليها مطلعا غزليا رقيقا طويل النفس في جماله وشعر نفسه بانه اجاد في هذه القصيدة اجادة فاق بها المتنبي فقال :

وصرت بها اقلام ضيفك صرة
تصر لها الآذان بصرى وجاسم
فزودها الركبان شرقا ومغربا
ووافت بها جمع الحجيج المواسم
ومالي لا ابلي بذكرك في الورى
بلاء تهاداه القرون النواجم
واطلعه شمسا على كل امة
يكذب فيها عن سنا الشمس زاعم
فيحسدني فيك العراق وشامه
واياك في عبد شمس وهاشم
بخست اذن سعي اليك وهجرتي
وما حملت مني اليك المناسم

وينتقل لذكر اولاده :

وبين ضلوعي بضع عشر مهجة
ظماء الى جدوى يديك حمائم
تلذ الليالي لحمها ودماءها
وطعم الليالي عندهن علاقم
قطعت بهن الليل والليل جامد
وخضت بهن الآل والآل جاحم

ويطيل في هذا كعادته في قصائده وخصوصا بعد المنصور الذي تعرض بعده للفاقة والشيخوخة مما جعله لا يخلي قصائده من هذا الوصف المشجي ولعله كان قد تعرض لناب الفقر قبل اتصاله بالمنصور او ان طبعه كان نازحا ، ولهذا نجده في قصائده التي مدح بها المنصور لاول ما وفد عليه يصف وداع أهله وصفا مؤثرا حقا كما يصف بقوله :

ولما تواثت للوداع وقد هفا
بصبري منها انة وزفير
تناشدني عهد المودة والهوى
وفي المهد مبغوم النداء صغير
عيي بمرجوع الخطاب ولفظه
بموقع اهواء النفوس خبير
تبوا ممنوع القلوب ومهدت
له اذرع محفوفة ونحور
فكل مفداة الترائب مرضع
وكل محياة المحاسن ظير
عصيت شفيع النفس فيه وقادني
رواح بتلاب السرى وبكور
وطار جناح البين بي وهفت بها
جوانح من ذعر الفراق تطير
لئن ودعت مني غيورا فانني
على عزمتي من شجوها لغيور

وهذا اللون مما يمتاز به ابن دراج عن زميليه ايضا وان كان ابن هانيء يذكر اهله او بنته هذا الصدد بقوله يا هذه ، ومن القصائد التي نحا فيها منحى المتنبي وهي من اواخر قصائده ايضا قصيدة في منذر ابن يحيى يستهلها :

بشراك من طول الترحل والسرى
صبح بروح السفر لاح فاسفرا

فقد نظر فيها الى المتنبي في ابن العميد بتلك الرائية التي وجدنا ابن حبوس يستقلها كما استغلها معاصره هذا ابو عمر ابن حربون . كما تقدمت الاشارة الى ذلك فيما مضى .

هذه جوانب من ابن دراج تتصل مرة بالمتنبي وتفترق مرة أخرى ؛ كما تتصل احيانا بابن هانيء وتنفصل عنه احيانا كثيرة اخرى ، واتصالها بالشرق كان للمزاحمة الشديدة التي لاقاها الاندلس آنذاك من هؤلاء المشارقة ، وعلى راسهم صاعد الذي كان يتحدى زمرة شعراء المنصور ، كما كان هؤلاء جميعا يتحدونه في شدة وعنف .

ونعود مرة اخرى الى ابن هانيء ، فنجده على عكس ابن دراج يحاول ان يحشو شعره كذلك بالحكم والامثال والعبر ، فيوفق في ذلك الى حد ، ويساعده تفكيره المتفلسف ، ولكنه قد ينسى الروح الشعري

الذي يريد أن يتنفس تنفسا قصيرا بتلك الحكم العقلية او يحسوها حسو الطائر ، وسرعان ما يطير عنها ، كما كان يفعل المتنبي نفسه ، ويستقلها في رفق ولطف بل كان ابن هانيء في بعض الاحيان يتشبث بها تشبث المستميت فيزهق روحها الشعري ، واذا به كالمعري حكيم متعمق ينسينا لذاذة الشعراء ، كما في قوله راثيا والدة جعفر بن يحيى الاندلسي :

صدق الفناء وكذب العمر
وجلا العظات وبالغ النذر
انا وفي آمال انفسنا
طول وفي اعمارنا قصر
لنرى بأعيننا مصارعنا
لو كانت الالباب تعتبر
مما دهانا ان حاضرنا
اجفاننا والغائب الفكر
فاذا تدبرنا جوانحنا
فاكلهن العين والنظر
لو كان للألباب ممتحن
ما عد منها السمع والبصر
خرست لعمر الله السنتنا
لما تكلم فوقنا القدر
هل ينفعني عز ذي يمن
وحجوله واليمن والغرر
ومقالي المحمول شارده
ولساني الصمصامة الذكر
ها انها كأس بشعت بها
لا ملجأ منها ولا وزر
افنترك الايام تفعل ما
شاءت ولا نسطو فننتصر
هلا بأيدينا اسنتنا
في حين نقدمها فتشتجر
فانبذ وشيجا وارم ذا شطب
لا البيض نافعة ولا السمر
دنيا تجمعنا وانفسنا
شذر على احكامها مذر
لو لم ترينا ناب حادثها
انا نراها كيف تأتمر
ما الدهر الا ما تحاذره
هفواته وهناته الكبر
والليث لبدته وساعده
ودريتاه الناب والظفر
في كل يوم تحت كلكله
ثرة جبار ام دم هدر
وهو المخوف بنات سطوته
لو كان يعفو حين يقتدر
اقسمت لا يبقى صباح غد
متبلج واحم معتكر
تفنى النجوم الزهر طالعة
والنيران الشمس والقمر
ولئن تبدت في مطالعها
منظومة فلسوف تنتثر
ولئن سرى الفلك المدار بها
فلسوف يسلمها وينفطر

وهذا النفس الطويل ان حاولنا تحمله وهو في الرثاء كما تحملناه من المعري في رثائه للقاضي ، ومن ابن هانيء نفسه وهو يثور بعرامة واهتياج ، هذه الثورة على الطبيعة ومحاولة الانتصار على نظام الكون فيها فيقول :

افنترك الايام تفعل ما
شاءت ولا نسطو فننتصر
هلا بايدينا اسنتنا
في حين نقدها فتشتجر

فاننا نجد سآمة في هذه الحكم والامثال ، وهي واردة في غير الرثاء ، كما نجد ذلك في قصيدة له يمدح بها جعفر بن علي الاندلسي فيستهلها بقوله :

هل آجل مما أؤمل عاجل
أرجو زمانا والزمان حلاحل
واعز مفقود شباب عائد
من بعد ما ولى والف واصل
جرت الليالي والتنائي بيننا
ام الليالي والتنائي هابل
فكأنما يوم ليوم طارد
وكأنما دهر لدهر آكل
اعلى الشباب ام الخليط تلددي
هذا يفارقني وذاك يزايل
في كل يوم استزيد تجاربا
كم عالم بالشيء وهو يسائل
ما العيس ترحل بالقباب حميدة
لكنها عصر الشباب الراحل
ما الخمر الا ما تعتقه النوى
او اختها مما تعتق بابل

فمزاج كاس البابلية اولـق
ومزاج تلك دم الافاعي القاتـل

ومع ذلك فابن هانيء اقل من المتنبي في استعمال الحكم وأقل منه كثيرا ابن دراج الذي نجد اطول نفس له في قصيدة رثى بها احد الفقهاء واستهلها بقوله :

ما احسن الصبر فيما يحسن الجزع
واوجد الياس باغداعدم الطبـع

وكما قلنا في ابـن دراج انه قـد استعان قليـلا بالمتنبي ، فان ابن هانيء استعان به على الرغم من عدم اعترافه بالمتنبي ، كما نجد ذلك في قصيدة يخاطب بها معيره لديوانه :

مهلا فلا المتنبـي بالنبـي ولا
اعد امثاله في شعره السـورا
تهتـم علينـا بمـرآه وعلكـم
لم تدركوا منه لا عينا ولا اثـرا
ويلمه شاعرا اخملتمـوه ولـم
نعلم له عندنا قدرا ولا خطـرا
فقد حملتم عليـه من قصائـده
ما يضحك الثقلين الجن والبشرا
اذ تقسمون براس العير انكـم
شاقهمتوه فهل شلفهتم الحجـرا

ومع هذا فان ابياتنا هذه تفيد ان ابن هانيء طالع الديوان مطالعة تمعن فيه واقبال عليه ولذلك يقول في ذلك الديوان :

اصم اعمى ولكني سهـرت لـه
حتى رددت اليه السمع والبصرا
كانت معانيه ليلا فامتعضت لـه
....

الى آخر الابيات .

واستفاد منه كما نجد واضحا في بعض قصائده التي كان ينظر فيها الى شعر المتنبي ، كقصيدته التي مطلعهـا :

يوم عريض في الفخار طويـل
ما تنقضي غرر لـه وحجـول

فهو في هذه ينظر الى قصيدة للمتنبي في سيف الدولة ومطلعها :

ليالي بعـد الظاعنيـن شكـول
طوال وليل العاشقين طويـل

وفيهـا يقـول :

طلعن عليهـم طلعـة يعرفونهـا
لها غرر ما تنقضـي وحجـول

ويقول ابن هانيء :

متكشـف عـن عزمـة علويـة
للكفـر منهـا رنـة وعويـل

وقال المتنبي :

بوجهك ما انساكه من مرشـه
نصيـرك منهـا رنـة وعويـل

ويقول المتنبي :

وما هي الا خطرة عرضت لـه
بحران لبتهـا قنـى ونصـول

فيقول ابن هانيء :

قل للدمستق مورد الجمع الذي
ما اصدرته له قنـى ونصـول

ويقول المتنبي :

وعادت فظنوها بموزار قفـلا
وليس لها الا الدخـول قفـول

ويقول ابن هانيء :

منع الجنود من القفول رواجعـا
تبـا لـه بالمنديـات قفـول

ويقول المتنبي :

وان رحيلا واحدا حال بيننـا
وفي الموت من بعد الرحيل رحيل

فيقول ابن هانيء :

فكفاك وشك رحيله عن ارضـه
عن أن يكون العام منك رحيـل

ويقول المتنبي :

اغركم طول البـلاد وعرضهـا
على شروب للجيوش اكـول

فيقول ابن هانيء :

حتى اذا ارتعص القنا وتلمظت
حرب شروب للنفوس اكـول

ويقول المتنبي :

لمن هون الدنيا على النفس ساعة
وللبيض في هام الكماة صليـــل

فيقول ابن هانيء :

وليسمعن صليلهـا في هامهـم
ان كان يسمع للسيوف صليل

وهذه قصيدة اخرى لابن هانيء في المعز استهلها بقولـــه :

كدابك ابن نبـي الله لـم يـزل
قتل الملوك ونقل الملك والدول

فهذه تنظر الى قصيدة للمتنبي في سيف الدولة:

اعلى الممالك ما يبنى على الاســل
والطعن عند محبيهـن كالقبـــل

وفي هذه يقول :

وعزمـة بعثتهـا همـة زحـــل
من تحتها بمكان الترب من زحل

وقال ابن هانيء :

سرى مع الشهب في عليا مطالعها
فكان اولى بأعلى الافق من زحل

ويقول المتنبي :

ما زال طرفك يجري في دمائهـم
حتى مشى بك مشي الشارب الثمل

فيقول ابن هانيء :

مرنحا من خمار الحتف سحـه
وليس يخفى مكان الشارب الثمل

ويقول المتنبي :

الفاعل الفعل لم يفعل لشدتـــه
والقائل القول لم يترك ولم يقـل

ويقول ابن هانيء :

لم الق في الناس مجهول البصيرة او
مسوفا نفـه قولا بـلا عمـــل

ويقول المتنبي :

لما تكشفت الاعداء عن ملـــل
من الحروب ولا الآراء عن زلـــل

ويقول ابن هانيء :

لم اتقف المرء يعصي من هداه ومن
نجاه من عثرات الدحض والزلل

ويقول المتنبي :

على الفرات اعاصير وفي حلـب
توحش لملقى النصـر مقتبـــل
ووكل الظن بالاسرار فانكشفت
له ضمائر اهل السهل والجبـل

فيقول ابن هانيء :

وطبق الارض من مصر الى حلب
خيلا ورجلا ولف السهل بالجبل

ويقول المتنبي :

فلا هجمت بهـا الا على ظفـــر
ولا وصلت بهـا الا الـى امـــل

فيقول ابن هانيء :

فلستمن سخطه المردى على خطر
ما دمت من عفوه المحيي على امل

ويقول المتنبي :

الجو اضيق ما لاقاه ساطعهـــا
ومقلة الشمس فيه احير المقـل

ويقول ابن هانيء :

لم يترك اليوم منهم غير شرذمـة
لو انهم اثمد ما حس في المقـل

ويقول ابن هانيء :

تكنفته المساعي فهو يرفل مـــن
وشي الربيع ووشي المجد في حلل

فيقول ابن هانيء :

اذا خلعت على عرض لهم حلـــلا
وجدتها منهم في ابهى الحلـــل

وهذه قصيدة اخرى في يحيى بن علي الاندلسي ، استهلها بقوله :

تظلم منا الحب والحـب ظالـــم
فهل بين ظلامين قاض وحاكـــم

نظر فيها من بعيد الى قصيدة للمتنبي في مدح سيف الدولة ، استهلها بقوله :

اذا كان مدح فالنسيب المقدم
اكل فصيح قال شعرا متيم

وفيها يقول :

اخذت على الارواح كل ثنية
من العيش تعطي من تشاء وتحرم
فلا موت الا من سنانك يتقي
ولا رزق الا من يمينك يقسم

واخرى كذلك في جعفر الاندلسي استهلها بقوله:

هل آجل مما أؤمل عاجل
ارجو زمانا والزمان حلاحل

نظر فيها الى قول المتنبي : لك يا منازل في . . .

ومن القريب انا نجده في قصيدة يرثي بها والدة جعفر بن يحيى ينظر فيها الى قصيدة للمتنبي يهجو بها كافورا ، ومطلع تلك :

الا كل آت قريب المدى
وكل حياة الى منتهى

اما مطلع قصيدة المتنبي فهي :

الا كل ماشية الخيزلى
فدا كل ماشية الهيدبى

وفيها يقول :

ومن جهلت نفسه قدره
رأى غيره منه ما لا يرى

ويقول ابن هانيء :

ولم ار كالمرء وهو اللبيب
يرى ملء عينيه ما لا يرى

ويقول :

وبين الشمال وبين الجنوب
في هبوة من مهب الصبا

وقال المتنبي :

وهبت بجسمي هبوب الدبور
مستقبلات مهب الصبا

وقال :

واسود مشفره نصفه
يقال له انت بدر الدجى

فقال ابن هانيء :

فجاءت بهذا كشمس النهار
وجاءت بهذا كبدر الدجى

وقال المتنبي :

فلما انخنا ركزنا الرما
ح فوق مكارمنا والعلى

فقال ابن هانيء :

دعائم ايامنا في الفخار
واكفاء آبائنا في العلى

ويقول المتنبي :

فمرت بنخل وفي ركبها
عن العالمين وعنه غنى

فقال :

وانت اليمين فصل بالشمال
فما بيد عن يد من غنى

الى جانب هذا هناك ابيات منتشرة في قصائد مختلفة ، تناولت بعض المعاني التي تناولها المتنبي ، ولكن التناول مختلف في مراده ، ولهذا لا يمكننا ان نقول أن ابن هانيء اخذ المعنى أو بعضه من المتنبي ، فان كنا قد ارتكنا في مثل هذا التناول المختلف الى القول بالنظر من ابن هانيء فما كان ذلك منا الا لان الارتباط بالقصيدة كان شديدا في الوزن والقافية وتكرر الاتصال بين ابياتها وبين ابيات ابن هانيء ، فكل ذلك كان كما قيل يشد بعضه بعضا ، أما الابيات الاخرى مما لا نقطع فيه بالاخذ فهي كما يأتي :

قال المتنبي :

كل حلم اتى بغير اقتدار
حجة لاجيء اليها اللئام

وقال ابن هانيء :

وكل اناة في المواطن سودد
ولا كأناة من قدير محكم

وقال المتنبي :

واذا خامر الهوى قلب صب
فعليه لكل عين دليل

وقال ابن هانيء :

الم يبد سر الحب ان من الضنى
رقيبا وان لم يهتك السر هاتك

وقال المتنبي :

يكاد من صحة العزيمة ما
يفعل قبل الفعال ينفعل

وقال ابن هانى :

عرفت فى كل صنع الله عارفة
فما تهم بامر غير منفعل

فهذه جهات كما نرى عند الامعان يختلف بعضها عن بعض وان حامت كلها حول معاني طرقها الشاعران معا . وايضا فان المتنبي وابن هانىء كليهما يغلوان فى امداحهما فيتطرف بهما ذلك الغلو الى انتهاك حرمة الدين الحنيف ، ولم يكن المتنبي فى اضطرار الى ذلك لولا رقة دينه .

اما ابن دراج فقد سلم من ذلك كله ، ولم نجد له الا نزوة خفيفة فى التشيع ، وهذه امثلة للمتنبي غلا فيها والحد ، صراحة او ضمنا كقوله :

انا مبصر واظن اني نائم
من كان يحلم بالاله فاحلما

وقوله متغزلا ومفتخرا :

يترشفن من فمي رشفات
هن فيه احلى من التوحيد

وقوله فى صديق :

او كان صادف رأس عازر سيفه
فى يوم حركة لأعيى عيسى
اكان لج البحر مثل يمينه
ما انشق حتى جاز فيه موسى
او كان للنيران ضوء جبينه
عبدت فصار العالمون مجوسا

وقوله فى بدر بن عمار :

لو كان علمك بالاله مقسما
في الناس ما بعث الاله رسولا
لو كان لفظك فيهم ما انزل الـ
ـقرءان والتوراة والانجيلا

وقوله فى مدح ابى القاسم طاهر العلوي :

وابهر ءايات التهامي انه
ابوك واجدى ما لكم من مناقب

وقوله فى مدح سيف الدولة :

ان كان مثلك كان أو هو كائن
فبرئت حينئذ من الاسلام

وكذلك عرفت عن ابن هانىء هذه المبالغات ، كقوله في المعز :

ندعوه منتقما عزيزا قادرا
غفار موبقة الذنوب صفوحا

ويقول فيه ايضا :

أخشاك تنسى الشمس مطلعها كما
انسى الملائك ذكرك التسبيحا

ويقول فيه ايضا من أخرى

لاصليتها نارا هي النار لا التي
تنتخ فيها الف عام وتمرخ

ويقول فيه ايضا من اخرى

راى أن سيسمي مالك الارض كلها
فلما رآه قال ذا الصمد الوتر

ويقول فيه فى مطلع اخرى :

ما شئت لا ما شاءت الاقدار
فاحكم فانت الواحد القهار

ويقول فيها :

ان قيل من خير البرية لم يكن
الا كنكم خلق اليه يشار

ويقول فيه من اخرى :

وما كنه هذا النور نور جبينه
ولكن نور الله فيه مشارك

ويقول فيه من اخرى :

امديرها من حيث دار لشد ما
زاحمت تحت ركابه جبريلا

وفيها يقول :

وعلمت من مكنون علم الله ما
لم يوت جبريلا وميكائيلا

ويقول فيه من اخرى :

لو كنت انت ابا البرية كلها
ما كان فى نسل العباد مبخل

ويقول فى مدح ابي الفرج الشيباني :

ولم اقسك بشيبان وما جمعت
لكنما انت عندي كل ربعي

لا بل ربيعة والاحلاف من مضر
بل انت كل تهمي ونجدي

بل شسع نعلك عدنان وما ولدت
بل انت وحدك عندي كل انسي

ومن كان كابن هانىء معاقرا للخمور سامدا في خدمة ممدوحيه ، هان عليه أن تصدر منه هذه المبالغات ، ولم يفجأ الناس بها ، وخصوصا ان كانت فى حق ربابين التشيع ودهاقين الغلاة ، فان هؤلاء كانوا الموحين بتلك المبالغات التي لو لم تجد لها ابن هانىء لوجدت لها كثيرا من شعراء آخرين ، وفعلا فقد صادفنا هذا الاستهتار بالعقيدة او الالحاد فيها من شاعر كان كاتبا فى هذه الدولة ، وهو محمد البديل الذي مدح عبيد الله لما كان برقادة ، اواخر القرن الثالث بقوله :

حل برقادة المسيح
حل بها آدم ونوح

حل بها احمد المصفى
حل بها الكبش والذبيح

حل بها الله ذو المعالي
وكل شيء سواه ريح

نعم كان هذا من اولئك المادحين للغلاة فى امرهم ، اما المتنبي فلم يكن له من دافع الى تلك المبالغات المرهقة الا طبعه الحاد المستهتر وحرصه الصارخ على المال قبل كل شيء ، وبذلك كان مدحه لمن حلم فيه بتحقيق مآربه . واما ابن هانىء فكان مادحا للامراء بالاندلس ثم للخلفاء ورجال الدولة العظام فى المغرب ، والغالب كما قلنا انه كان مدفوعا فى غلوه باسياده من المعز الى ابي الفرج الشيباني الذي قال فيه :

ولم اقسك بشيبان وما جمعت
لكنما انت عندي كن ربعي

لا بل ربيعة والاحلاف من مضر
بل انت كن تهامي ونجدي

بل شسع نعلك عدنان وما ولدت
بل انت وحدك عندي كل انسي

وهكذا يدفعه التملق دفعا حثيثا الى هذه المبالغات المفرطة ، بل يدفعه ذلك الى السخف من الكلام ، كان يقول مهنئا يحيى بسلامة القصد :

لو ناب عنها قصد شيء غيرها
لوقيت معصمها بحبل وريدي

فاردد اليك نجيعها المهراق ان
كان النجيع يرد بعد جمود

او فاسقنيه فانني اولى به
من أن يراق على ثرى وصعيد

كانت الفاظ ابن دراج كما قلنا مهذبة ، اما زميلاه فكلهما يستعمل الفاظا جاهلية واساليب فخمة ، لكن ابن هانىء يزيد على ذلك ويغرق فيه ولا يكتفي حتى ياتي بتلك القوافي المبنية على حروف ناشزة كالخاء مثلا فى قصيدة مطلعها :

سرى وجناح الليل اقتم افتخ
ضجيع مهاد بالعبير مضمخ

فحييت مزور الخيال كانه
محجب اعلى قبة الملك ابلخ

وما راع ذات الدل الا معرسي
وملقى نجادي والجلال المنوخ

وخرق له في لبدة الليث مرتع
وفى لهوات الارقم الصل مرسخ

اذا زارها انحطت عقاب منية
وليس لها الا الجماجم افرخ

يحل على الامواه تبلع دونها
رؤوس العوالي والمذاكي فتشدخ

وهذه القصيدة مدح بها المعز لدين الدين ، وايسر ما فيها من غريب هذه الابيات ، اما الباقي وهو نيف وخمسون ، ففي غاية الغرابة .

ولعل الشاعر كان فى مواقفه هذه مدفوعا بعوامل لا نعرفها ، وقد علمنا فى بعضها ان الشاعر تعمد الغريب لان الممدوح نفسه يروقه ذلك ، كما حصل فى قصيدة مدح بها ابا الفرج الشيباني ، ومطلعها :

قولا لمعتقل الرمح الرديني
والمرتدى بالرداء الهندواني

ففيها يقول عن ممدوحه :

قريب عهد باعراب الجزيرة لم
ينطق بدارا ولم ينسب الى عي

من ليس يالف الا ظل خافقة
أو سرج سابقة او رحل عيدي

لا يشرح القوم وحشي الغريب له
ولا يسائل عن تلك الاحاجي

وكان ابن دراج وابن هانيء يطفح شعرهما بالروح الاسلامي ، بخلاف المتنبي في شعره ، وحتى العروبة نفسها في شعر ابن هانيء وابن دراج اقوى منها في شعر المتنبي ، ولا نعرف غير عربي في امداح ابن هانيء الا جوهرا الصقلي ولا في امداح ابن دراج الا المقالبة العامرية ، بينما نجد في شعر المتنبي خصوصا قبل اتصاله بابن العميد اجناسا من البشر وامشاجا من الناس .

وفي مدحه للاعاجم يشيد بأجدادهم ومفاخرهم ، وربما نال من العرب أو من بعض قبائلهم ، مثل قوله في مدح الروذباري :

فارسي له من المجد تاج
كان من جوهر على ابرواز
نفسه فوق كل اصل شريف
ولو اني له الى الشمس عازي
وبآبائك الكرام التاسي
والتسلي عمن مضى والتعازي
تركوا الارض بعد ما ذللوها
ومشت تحتهم بلا مهماز

ويقول في مدحه لابن العميد :

من مبلغ الاعراب اني بعدها
شاهدت رسطاليس والاسكندرا
ومللت نحر عشارها فاضافني
من ينحر البدر النضار لمن قرى

وفي مدح دلار يقول :

ارادت كلاب ان تفوز بدولة
لمن تركت رعي الشويهات والابل
ابى ربها ان يترك الوحش وحدها
وان يومن الضب الخبيث من الاكل

اما كون الروح الاسلامي طافحا بها امداح ابن هانيء فهذا لا يفاجئنا منه وهو في ركاب دولة قامت على فكرة دينية متطرفة ، ولهذا نجد في شعره كثيرا من الاقتباس القرءاني ، على حين لا نجده في شعر المتنبي الذي لم يكن مدحه منبعثا عن انتصارات دينية ، وحتى ما كان منها انتصارا على الاروام النصارى ، فانه لم يثر في شاعرنا وازعا دينيا ، ولا نبض منه نابض، لان انتصارات سيف الدولة كانت انتصارات بطولة وفروسة قبل كل شيء ، فالدمستق القائد الذي كان رحى تلك الحروب ، بحكم انه اقرب قائد الى الامبراطور الرومي واخصه به ، نجده يذكر بالانتصار عليه في شعر ابن هاني ، وقد كلل بفار الدين ، بينما نجده في شعر المتنبي لا ذكر له ولا للعرب المنتصرين عليه ، كما في قصيدته التي مطلعها :

نزور ديارا ما نحب لها مغنى
ونسأل فيها غير سكانها الاذنا

وعلى كل حال فابن هانيء في مدحه له شخصية الشاعر المعتز بنفسه ، استطاع ان يحافظ عليها لانه لم يتقلب في اجواء مختلفة ، كما تقلب المتنبي الذي كان اعتزازه بنفسه ، سرعان ما يتبدد ويتحطم على صخرة الطمع ، وكانت امداحه تلبس لكل حالة لبوسها ، فهو يمدح طاهر بن الحسين العلوي ، بلهجة العلوية :

كذا الفاطميون الندى في بنانهم
اعز امحاء من خطوط الرواجب
اولئك احلى من حياة معادة
واكثر ذكرا من دهو الشبائب
نصرت عليا يا ابنه ببواتر
من الفعل لا فل لها في المضارب
وابهر ءايات التهامي انه
ابوك واجدى ما لكم من مناقب
هو ابن رسول الله وابن وصيه
وشبههما شبهت بعد التجارب

وسأله شيعي لم لا تمدح عليا فقال :

وتركت مدحي للوصي تعمدا
اذ كان نورا مستطيلا شاملا
واذا استقل الشيء قام بذاته
وكذا ضياء الشمس يذهب باطلا

وفي مدحه لابن العميد يجعله المهدي حقيقة ، اما ما يدعيه الفاطميون فلا اساس له ، فيقول :

فان يكن المهدي من بان هديه
فمزاولا فالهدى ذا فما المهدى
يعللنا هذا الزمان بذا الوعد
ويخدع عما في يديه من النقد
هل الخير شيء ليس بالخير غائب
ام الرشد شيء غائب ليس بالرشد

نجد ابن هانيء يكرر الصور في قصائده ، وكذلك المتنبي وابن دراج ، الا انه اقل تكرارا لها : واكثر ما وقع ذلك من الاولين في جعل الممدوح احق بالمدح من غيره ، وانه الناس حقيقة وغيره بهائم ، وانه الكريم وغيره لئام ، وانه لو وزع كرمه بين الناس لما كان في الدنيا بخيل ، كما نجد ابن هانيء يكرر هذه المعاني ، وينقلها من مدح الخليفة المعز الى غيره من قواده ،

فيجعل شسع بعضهم كما رأينا افضل من عدنان ، وما ولد عدنان .

كان ابن هانيء يحدو بعض المذهبات ، فكانت تسمى بذلك على عهده ويسميها هو ، ولهذا يتعمد فيها قوافي واساليب عرفت كمعلقة زهير التي جعل على وتيرتها ميمية طويلة جدا كانت آخر مدحه للمعز لدين الله . كما نجد لابن دراج تقليدا لامرىء القيس في لاميته، اما المتنبي ، فقد تنكب ذلك الا في رجز ، مدح به عضد الدولة وتعمد فيه النهج على الارجاز المعروفة للعجاج ورؤبة . وكان ابن دراج وابن هانيء كلاهما يقتبس من القرءان ، كقول ابن دراج :

لا يلاف شمل المسلمين برحلـه
تشج بمشتاها كؤوس مصيفهـا

بجمع كأن الجـو مرآة عينيـه
اذا ما سرى او بالغدو والاصـال

وآواني الى ركـن شديـد
واوفـى بـي على أمـل متـاح

ان جاهدوا في الله حق جهـاده
وعلى النفوس لربها مجهودهـا

والارض مشرقة بنوري ربهـا
والفجر منبلج لعيـن المهتـدى

وبيعة عـرف الاسـلام ابتهـا
فلم يخروا لها صمـا وعميانـا

كما يستعمل في رفق الفاظا تتصـل بالقـرءان وهذه كقوله :

سور لمجـدك رفعـت آياتهـا
اعلام آدابـي وذكـر مناقـب

بفواتح من كـل مـدح سائـر
وخواتم من كـل حمـد ذاهـب

فاستشرف الثقلان اخطب شاعر
واصاخت الدنيا لاشعر خاطب

فخطبت والعواء بعضه منابري
وأممت والجوزاء بعض محاربي

وكتبت منها لليالـي مصحفـا
تتلوه السنة الزمـان الدائـب

فـلا تـزل فـوق مـا كنـ
ـت لي مع العسـر يسـرا

وهي على كل حال استعمالات لا يحس بهـا في تلك الاقتباسات الا من كان على ذكر من القرءان ، اما ابن هانيء فكان يوغل في هذا ، وربما زاد عليه الحديث النبـوي . فمن القرءان نجده يقتبس فيقول :

التعابير القرءانية :

فيه تنزل كـل وحـي منـزل
فلأهل بيت الوحي فيه ثلثاء 20

ويعطي الجزا والسلم عن يد صاغر
ويقضي وصدر الرمح فيه قصيد 57

فلا تسألاني عن زمانـي الذي خـلا
فو العصر اني قبل يحيى لفي خسر 216

لذلـك ناجـى اللـه موسـى نبيـه
فنادى ان اشرح ما يضيق به صدري 220

وهب لي وزيرا من اخي استعن بـه
وشـد بـه أزري واشركـه في امـري

يا مشـرفي اسجد لـه من بينهـم
ياباطل ازهق يا حقيقة حصحصي 230

تصغي اليه قطوف الهـام دانيـة
وان اسماعها عنه لفـي شغـل 130

اما المتنبي فلا نجد له هذا الاقتباس .

ومما يحمد للشاعرين الاندلسيين ترفعهمـا في هجوهما ، وغالبا لم يكن لهجوهما عدوا شخصيا بـل كان عدو الدين والعقيدة التي يحميها الممدوح وينافح عنها . وكان ابو دراج حتى في عداوته الشخصية ينتقم فيها بامداح اعداء اعدائه فيعرض بهؤلاء او يهجوهم هجوا معتدلا .

اما المتنبي فعدوه الالد هو العدو الشخصـي وغيره تابع ومكمل لاطار ممدوحه ، وهجـوه لهـذا العدو الشخصي لا يقف عند حد من الاخلاق والمروءة بل يتعدى كل ذلك في انطلاق مفحش الى اقصـى مـا يمكن ان يتصور الافحاش ، ولا يقف عند هذا الحـد الخلقي بل يتعداه الى التصوير الكاريكاتوري الخلقي وفي هذا التصوير بالذات يتصـل مـع ابن هانـيء في تصويره للأكول الذي لم يقصد هجوه كما نظن ، بـل اراد العبث به واضحاك اخوانه من رقادة فيقول :

انظر اليه وفي التحريك تسكيـن
كأنما التقمـت عنـه التنانيـن

يا ليت شعري اذا أوما الى فمـه
احلقـه لهـوات ام ميادين

كأنها وخبيث الـزاد يضرمهـا
جهنم قذفت فيها الشياطيـن

تبارك الله ما امضـى اسنتـه
كأنما كل فـك منـه طاحـون

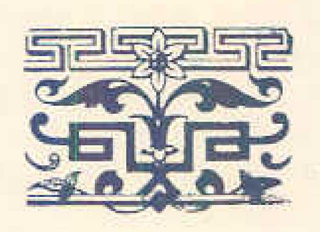
كأن بيت سلاح فيه مخـتزن
مما اعدته للرسل الفراعين
اين الاسنة أم اين الصـوارم ام
اين الخناجر أم ابن السكاكين
كأنما الحمل المشوى في يـده
ذو النون في الماء لما عضه النون
لف الجداء بأيديها وارجلها
كأنما افترستهن السراحين
وغادر البط من مثنى وواحدة
كأنما اختطفتهن الشواهين
يخفض الوز من قرن الى قدم
وللبلاعيم تطريب وتلحين
كأن في فكه ايتام ارملة
او باكيات عليهن التبابين
كأنما ينتقي العظم الصلب له
من تحت كل رحى فز وهارون
كأنما كل ركن من طبائعه
نار وفي كل عضو منه كانون
كأنما في الحشا من خمل معدته
قرنفل وجواريش وكمون

قوموا بنى فلقد ريعت خواطرنا
وجاذبتنا الاعنات البراذين
تحتم فخذوا من شدقه وزرا
اولا فانتم سويق فيه مطحون
فليس ترويه امواه الفرات ولا
يقوته فلك نوح وهو مشحون
فمثل رقادة في كفه وسط
ونحن مقدونس فيه وطرخون

فهذه الروح من السخرية المرحة والدعابة اللاذعة التي نجدها في هذا التصوير تكاد تكون مظهرا خاصا من مظاهر الجو الادبي الاندلسي ، ومن تتبع ادب ابن شهيد او ابن زيدون في هذا المعنى فانه يلمس هذا الطابع لمسا قويا ، ومازالت اشبيلية بالخصوص وهي موطنه الاول يسودها هذا المظهر من خفة الروح، والنكتة الحادة .

وبعد فما زالت هناك مواطن للمقارنات ضعف ما قلنا ، ولكن الوقت لا يسمح .

تطوان : محمد بن تاويت



ابحاث مغربية

القيسرية واخواتها

للأستاذ عبد القادر زمامة

في التخطيط الحضاري للمدن الاسلامية ، التي اسسها العرب لاول مرة ... او عملوا على تجديدها وتعميرها وازدهارها ... نجد عدة اسماء لاسواق تجارية واماكن صناعية .. اخذت مكانتها في كتب المؤرخين والجغرافيين والرحالين .. كما اشتهرت على السنة الناطقين . واقلام الموثقين ..

وكان هذا التخطيط يجعل المنطقة المحيطة بالمساجد الكبرى في المدن الاسلامية بمثابة القلب النابض بالحركة التجارية وما اليها ..

فمسجد عقبة بن نافع في القيروان ، ومسجد عمرو بن العاص في مدينة الفسطاط . والجامع الاموى بدمشق . والمسجد الاعظم بقرطبة . ومسجد المولى ادريس اولا ، ثم مسجد القرويين ثانيا في فاس ... كانت وما تزال هي المنطقة الحية في هذه المدن الاسلامية .. وبها توجد الاسواق الرئيسية التي تدور حولها الحياة الاقتصادية .

والمؤرخون والرحالون والجغرافيون المسلمون الذين كتبوا عن هذه المدن منذ القرن الثالث الهجري ، كانوا يركزون وصفهم الجغرافي للمدن الاسلامية حول هذه المنطقة الحساسة ... فابن عبد الحكم .. وابن حوقل .. والبكري .. وغيرهم ممن وصلتنا آثارهم نجدهم يلاحظون هذه الحقيقة الحضارية بدقة اثناء وصفهم ..

وعلى ضوء هذا سنلم هنا بالبحث عن بعض هذه الاسماء ... التي كانت معروفة لبعض الاسواق في المدن المغربية والاندلسية .

وبعض هذه الاسماء قد انقرض فعلا من الاستعمال . وبعضها في طريق الانقراض . وقسم منها ما يزال حيا في الاستعمال الى الان .. ودليل حيويته انه ما زال ينقل من اسم سوق قديمة . في مدينة قديمة .. الى اسم سوق جديدة . في مدينة جديدة . كما هو الشان في كلمة « القيسرية » فهذه الكلمة تطلق اسما على كل سوق اختيرت للتجارة في البز وما اليه .. في المدن الجديدة في المغرب .. كما كان الحال في المدن القديمة ..

وللقيسرية اخوات كالتربيعة . والمتجرة ، والجوطية ، والقاعة ، والرحبة ... وسنعطي هنا بعض المعلومات عن اسمائها ومسمياتها ..

1) القيسرية

ماذا تعني كلمة القيسرية ؟ وهل هي عربية الاصل ؟ ، وما شان الناس الذين يكتبونها تارة بالسين، وتارة بالصاد ؟ ، وما شانهم ايضا حين يكتبونها بالف فاصلة بين السين والراء او فاصلة بين الصاد والراء ؟

فقد شاهدنا وسمعنا لهذه الكلمة اربع صيغ هكذا :

قيسارية ــ قيسرية ــ قيصارية ــ قيصرية .

واسارع الى القول : ان معاجمنا العربية بمختصراتها ومطولاتها اهملت ــ فيما اعلم ــ هذه الكلمة . وسكتت سكوتا غريبا عنها ... وحتى الذين تناولوها لم يفيدونا شيئا في الاجابة عن هذه الاسئلة التي طرحناها ..

ولولا كتب التاريخ والرحلات والجغرافية لكنا نعدها كلمة (عامية) أو محرفة عن (اللاتينية) أو شيئا شبيها بذلك ..

فياقوت الحموي صاحب معجم البلدان ، يذكر المدينتين : قيسارية الشامية ... وقيسارية الرومية ... وكتاهما عنده بالسين والالف الفاصلة بينهما وبين الراء ... والنسبة اليهما قيسراني على غير قياس ...

والمؤرخ ابن عبد الحكم وهو من رجال القرن الثالث الهجري والثالث عشر الميلادي ... في كتابه فتوح مصر والمغرب . لما ذكر الخطط التي كانت لمدينة الفسطاط ... ذكر في نصين فريدين : القيساريات ـ بالالف ـ جمع « القيسارية » بالالف[1]

وفي النص الثاني نجد ابن عبد الحكم يقول :

« وبنى عبد العزيز بن مروان القيساريات : قيسارية العسل ، وقيسارية الحبال ، وقيسارية الكباش .. » ثم يقول :

« والقيسارية التي يباع فيها البز .. وهي التي تعرف بقيسارية عبد العزيز » ثم يقول :

« وبنى هشام بن عبد الملك قيساريته التي تعرف بقيسارية هشام .. يباع فيها البز القسطاطي »

فمن هذين النصين وقد كتبا في القرن الثالث الهجري نجد مدلول الكلمة .. كما نجد رسمها بالسين والالف الفاصلة بينها وبين الراء ..

والمؤرخ الكندي وهو من رجال القرن الرابع الهجري نجده في كتاب الولاة وكتاب القضاة يذكر قيسارية مصر المضافة الى عبد العزيز (2) ... وفي الملحقات التي اضيفت الى هذا الكتاب نجد قيساريات اخرى : قيسارية الاخشيد ، وقيسارية البز ، وقيسارية العسل ، وقيسارية هشام (3) .

فرسم الكلمة هو هو عند ياقوت . وعند ابن عبد الحكم . وعند الكندي .. وقد قيل عن المدينتين اللتين ذكرهما ياقوت انهما منسوبتان الى « قيصر » ملك الروم .. ومن المعلوم ان الاضافة والنسبة تقعان لادنى ملابسة ..

واذن فان النسبة الى كلمة « قيصر » التي اختار العرب كتابتها بالصاد منذ العصر الجاهلي تبعا لنطقهم .. تمت في هاتين المدينتين : الشامية والرومية على غير قياس حيث ان الصاد قلبت سينا ، وزيد بعدها الف .. كما انه حصل شذوذ آخر في النسبة الى المدينتين : فقيل القيسراني بدل القيساري ..

فهل يكون ما حصل في المدينتين من النسبة الى « قيصر » على غير قياس هو الذي حصل في السوق المعروفة بالقيسارية ... ؟ فهي سوق منسوبة الى « قيصر » لادنى ملابسة ! وحصل فيها ما حصل في اسم المدينتين .. ؟

ام هناك قصة اخرى لاسم هذه السوق .. ؟

سوف لا نجيب عن هذا السؤال قبل ان نلقي نظرة على الكلمة في اقلام الجغرافيين والمؤرخين المغاربة والاندلسيين ، كما القيناها عليها في اقلام المشرقيين ...

فابن الابار الاندلسي في كتابه التكملة المطبوع بمدريد سنة 1886 م (4) يحكي قول بعض مترجميه :

« وقد ناولني مصنف الترمذي بدكان قعوده بقيسارية قرطبة » .

والجغرافي احمد بن عمر العذري المعروف بابن الدلائي (5) ، وكذلك ابو عبيد البكري (6) وكلاهما من أهل القرن الخامس الهجري يكتبان الكلمة كما هو معهود « القيسارية » بالسين والالف . وقد ذكر الاول قيسارة الاندلس . كما ذكر الثاني قيسارية القيروان .

وصاحب القرطاس يذكر لنا قيساريتي فاس : الاولى بعدوة القرويين . والثانية بعدوة الاندلس .. على وادي مصمودة (7) ... !!

---

1) انظر رقم 158 ، ورقم 185 من القسم التاريخي المطبوع بالقاهرة سنة 1961 م .
2) انظر ص 55 من طبعة بيروت سنة 1908 م .
3) انظر فهرس كتاب الكندي ص 663 .
4) انظر ص 296 من الجزء الاول .
5) انظر كتابه المطبوع بمدريد بتحقيق الدكتور عبد العزيز الاهواني سنة 1965 ص 86 .
6) انظر كتابه ص 22 المعروف بالمغرب في ذكر بلادافريقية والمغرب .
7) انظر ص 65 من الجزء الاول ط الرباط .

اما صاحب « الاستبصار » الذي الف كتابه اواخر القرن السادس الهجري في ظلال دولة الموحدين ... فاننا نجده مرة واحدة في كتابه المذكور ... يرسم الكلمة هكذا : القيصارية بالصاد (8) .

وابن القاضي في جذوة الاقتباس يكتب الكلمة كالمعهود عند المؤرخين والجغرافيين (9) ... « القيسارية » .

أما المحققون من رجال التوثيق والعدالة والفتوى والضبط فقد راينا خطوطهم في الوثائق والفتاوى والحوالات الحبسية يكتبون الكلمة هكذا ... « القيسرية » بالسين وبدون الف ... ويظهر انهم كانوا يعتبرون كتابتها بالصاد خطأ .. كما يعتبرون كتابتها بالالف خطأ ايضا .

بعد هذا ننتقل الى الذين ينسبون القيسرية الى « قيصر » ويكتبونها بالصاد .. فهؤلاء يقولون : ان نفس نظام السوق وهيآته ومتاجره المصطفة ماخوذ عن النظام البيزنطي ... وذلك ان الحكومة البيزنطية كانت تبني سوقا مربعة الشكل يحيط بها سور .. وليس لها الا باب واحدة . وبها صفوف من الدكاكين .. يؤدي المتمرون بها للدولة اجرا معينا كل شهر .. وهي تراقبهم وتمنع تسرب الغش الى المصنوعات والمبيعات .. وهشام بن عبد الملك اقتبس النظام البيزنطي واستعمله اولا في الشام ثم انتقل الى الاقطار الاسلامية الاخرى .. ولا سيما في المغرب والاندلس (10)

ونلاحظ ان ابن عبد الكريم وهو اقدم نص بين ايدينا يذكر كلمة « القيسارية » لا يشير ابدا الى النظام البيزنطي ولا يشتم من كلامه ان نظام هذه السوق كان مقتبسا اسما او مسمى من الدولة البيزنطية ..

كل هذا ونحن في عرض مقتضب عن « الكلمة » في المصادر التاريخية والجغرافية . العامة والخاصة . وقد آن ان ادلي برايي في الموضوع ليكون الى جانب الآراء ياخذ حظه من الصواب او الخطأ ..

يلفت نظر الباحث في مادة قسر من المعاجم هذه العبارات : « القيسري الكبير ... القسرى المعظم من الابل .. »

واذا كانت عباراتهم تحاول ان تجعل الكلمة تدور حول الرجل الكبير المسن .. والجمل العظيم .. فهذا مجرد تمثيل ضيق مداول الكلمة حتى لم يلتفت اليها انسان وهو يحاول البحث عن اسم سوق يسمى القيسرية ، بينما المعاجم تذكر الرجل الكبير ! والجمل العظيم .. !

فلماذا هذا التضييق في معنى القيسري ... ؟ ولماذا لا يكون معنى القيسرية السوق الكبيرة المعظمة ... ؟

فالكلمة في نظري عربية اصيلة ... ولا مجال فيها للصاد ... ولا لقيصر .. فهي « قيسرية » بدون الف .

واذا كانت المعاجم قد نسيتها او تناستها .. فان الاستعمال اليومي عند العوام وبعض الخواص قد زادها الفا .. وهنا يجب ان نلاحظ ان بعض العلماء والموثقين ممن قد راينا خطوطهم في المخطوطات والصكوك والوثائق يكتبونها على اصلها اللغوي « قيسرية » بدون الف .. كما اشرنا الى ذلك آنفا .

ولعل الاصل في هذا الاستعمال اللغوي الفصيح انهم كانوا يقولون : السوق القيسرية اول الامر ... ثم حذفوا الموصوف واقتصروا على الصفة .. كما هو الشان في كثير من الاعلام الاصطلاحية حيث تقوم الصفة مقام الموصوف ..

والرحالة المقدسي في كتابه (احسن التقاسيم) يجمع القيسرية على قياسر .. !

ويظهر ان الجغرافيين والمؤرخين الذين كتبوها بالسين والالف انما قلد بعضهم بعضا منذ القرن الثالث الهجري .. واقدم نص عندنا في ذلك هو النص الذي نقلناه عن ابن عبد الحكم ..

وصاحب « الاستبصار » الذي رسمها بالصاد ص 140 علما على السوق المعروفة ... نجده ايضا يرسمها بالصاد علما على المدينة الشامية التي رسمها غيره بالسين (11) ...

---

(8) انظر ص 140 من طبعة جامعة الاسكندرية .
(9) انظر ص 27 .
(10) انظر « ورقات في الحضارة العربية بافريقية » الجزء الثاني ص 72 .
(11) انظر ص 106 .

هذا عن كلمة « القيسرية » . أما عن مكانتهـا الاقتصادية ودورها الحضاري . ونشاط رجالها في العمل والاكتساب والرحلات .. فتلك قصة اخرى .

2 الجوطيـة

لا تخلو مدينة مغربية من جوطية او جوطيات .. فالمدلول الاصطلاحي معروف عندنا لهذه الكلمة .. فمن لوازم الجوطية ازدحام المشترين والمشتريات .. والبائعين والبائعات .. وارتفاع اصوات « الدلالين » بالمزايدة على البضائع .. كما أن من لوازمها ان تضم انواعا من سقط المتاع .. ثياب وادوات وغيرها .. وفي المدينة الواحدة نجد جوطية البالي .. وجوطية الملح .. وجوطية الحوت .

فمن اين جاءت هذه الكلمة ؟ ان هذه المادة ليست قاموسية ولا لغوية بالمرة ..

غير اننا نجد مادة لغوية اخرى قريبة منها وتؤدي نفس المعنى وهي مادة « جوق » التي يقول اصحاب المعاجم عنها انها « دخيلة » او « معربة » [12] . فالجوقة : الجماعة .. وجوق الناس بمعنى جمعهم . وتجوقوا بمعنى اجتمعوا ..

واذن فان الاصطلاح المغربي انقلبت فيه القاف طاء فيما يرجع للجوطية .. فمن اجل ان هذه السوق يتجوق الناس فيها حول سقط المتاع بيعا وشراء ومزايدة .. اخذت هذه الاسم .. بعد تصحيف بعض حروفـه ..

والغريب ان اللهجة المغربية الدارجة احتفظت بكلمة « جوقة » والافعال المأخوذة منها في الاستعمال اليومي .. فيسمون الجماعة المحيطة بحادث سيارة .. او مشعوذ او عراك .. جوقة .. لان الناس تجوقوا .. اي اجتمعوا .. اما فيما يرجع لاسم السوق فقد اخذت الطاء مع ياء النسبة مكان القاف ..

وهناك في أولاد عمران بالقرب على ضفة نهر سبو كانت تقع قرية « جوطة » التاريخية الشهيرة التي التجأ اليها الادارسة ايام فتن مغراوة ... وما زال بعضهم ينتسب اليها الى الان .

ويظهر ان اسم هذه القرية غير بعيد مما وقعت الاشارة اليه .. فمن الجائز ان تكون هذه القرية سميت بهذا الاسم « جوطة » لانها كانت سوقا كبرى يجتمع فيها أهل تلك النواحي ... ويتجوقون فهي « جوقة » اولا ... ثم « جوطة » ثانيا ..

وهذا مجرد استنتاج لا اقل ولا اكثر .. اذ لا نعلم نصا في الموضوع .

وقبل ان نودع كلمة « الجوطية » نشير الى ان الاصطلاح المغربي اضفى على مداول كلمة « القيسرية » الجدة والطرافة . فهي سوق الجديد من الثياب والطريف من الالوان والانواع .. بينما اضفى على كلمة « الجوطية » معنى البلى والقدم .. مع الجلبة والزحـام ..

3 المنجـرة

المنجرة : اسم مكان لحقته التاء كما لحقت بعض اسماء المكان الاخرى .. وهي تعني مكان أهل النجارة . ولا شك ان المنجرة كان لها شأن عظيم يوم كان للنجارين عمل هام في تشييد البناء وما تلزمه من سقوف وابواب وما اليها .

غير انه حدثت ملابسات في بعض المدن المغربية اعطت لكلمة « المنجرة » مدلولا آخر .. وذلك ان كثيرا من المنجرات كانت ضمن مشمولات الاحباس .. يكتريها النجارون للعمل بها .

وحدث في بعض الظروف ان ناظر الاحباس احتاج الى محل ليتخذه مقرا لعمله في مراقبة الاحباس والنظر في مصالحها وتعهدها فلم يجد انظف ولا اليق به من احدى هذه « المنجرات » فاتخذها مقرا لعمله .. واعتاد الناس ان يذهبوا الى « المنجرة » ليتصلوا بالناظر في كل شيء يهم الاحباس .. منذ ذلك الحين

فاطلاق « المنجرة » على مقر نظارة الاحباس اصطلاح معروف بفاس ومكناس .. ولعله يوجد في بعض المدن المغربية الاخرى .

وقد كانت « المنجرة الكبرى » بالقطانين مقرا لناظر احباس فاس .

كما كانت « المنجرة الصغرى » بنفس الحي مقرا المحتسـب .

---

[12] انظـر تاج العروس . في المادة

4 التربيعـــة

التربيعة : تعني قطعة مربعة مسورة معدة للصناع والمحترفين .. وهذه الكلمة معروفة قديما في الاندلس والمغرب .. وفي الكتب التاريخية والجغرافية الشيء الكثير عنها .. ولكل تربيعة اسم خاص . فهناك تربيعة مكة .. وتربيعة ابن عيسى .. وتربيعة الخياطة .. الخ ..

واذا كانت السوق غالبا للتجارة ...

فان التربيعة غالبا للصناعة ...

وقد نسيت كلمة « التربيعة » ولم يبق لها وجود الا في الكتب التاريخية والحوالات ورسوم الاملاك وعلى السنة بعض المهتمين بالاعراف والاصطلاحات المتعلقة بالخطط الحضارية المغربية ...

هذه جولة قصيرة في القيسرية واخواتها وهي لم تعد الاسماء وبعض ملامح وظلال المسميات .

فاس : عبد القادر زمامة

– ابراهيم واسماعيل –

قال ثعلب في اماليه : الاسماء الاعجمية لا تعرف العرب لها تثنية ، ولا جمعا .

فأما التثنية فتجيء على القياس ، مثل ابراهيمان واسماعيلان ، فاذا جمعوا حذفوها فردوها الى اصل كلامهم . فقالوا اباره ، واسامع ، وصغروا الواحد على بريه وسميع .



ابو العباس بن المواز السليماني الحسني ، احد فحول الوعاة ، وابطال الادب الكماة ــ شب وشاب في طلب العلم والادب والحكمة قراءة واقراء وتاليفا وافتاء، تربى في حجر الرياسة متدرجا في مدارج الكياسة الى ان جال جولاته في معترك السياسة ، وتقلب في عدة وظائف علمية ومخزنية ايام الدول الاربع ــ الحسنية والعزيزية ــ والحفيظية ــ واليوسفية ، خاض غمارها استقلالا وحماية بما اوتيه من دهاء ولباقة ــ من الكتابة الى السفارة الى العضوية بالمجلس التحسيني لكلية القرويين الى قاضي القضاة ، ورئيس المجلس الاستئنافي القضائي بالرباط حيث استوطنه . وبرهن على باعه الطويل في العلم ، ومقدرته الفائقة بما كتبه في الرد على المرحوم الفقيه الحجوي الذي كتب ناهيا عن القيام اولادة الرسول الاعظم صلوات الله عليه فتصدى له المترجم بالنقد بما اسماه : (حجة المنذرين على تنطع المنكرين) طبع طبعة حجرية (فاسية) وقد وفق في الجواب الذي كان صفعة قاسية على المنكر ، وكيف لا يوفق رجل قام يدافع عن الشفيع الاعظم ؛ وعندما برز هذا التاليف لعالم الوجود وتصفحه علامة المغرب وفيلسوفه النادرة المرحوم (1) ابو عبد الله محمد (فتحا) بن احمد الرافعي الازموري ثم الجديدي ، وكان مغرما بمطارحة المسائل العلمية ــ بعث لمؤلفه (مترجمنا اسئلة ستة ــ 1) تحقيق ما لزم لثالث اقليدس من القول بالطفرة كما لزمت داهية النظر ابراهيم بن سيار حين قال بتركب الاجسام من اجزاء فعلية لا تتناهى . 2) الذب عن حجة الاسلام الغزالي في مقالته الشهيرة :ليس في الامكان ابدع مما كان) . فانه عند امعان النظر فيها يتبين انها جارية على قول الحكماء القاضي بانحصار الحكمة الالهية في هذا العالم، وبانتهاء القدرة القوية الى اعطاء كل موجود ما هو ضروري له و افضل ، وان عدم القابل لا يستلزم عجز الفاعل ، او على القول بشيئية المعدوم ووقوف استعداداته تحتما عند حد ما تعينت به وتشخصت من الوجود الخارجي ولوازمه وهو آئل الى الاول (2) .

---

1) توفي محمد بن محمد الرافعي البوعزيزي الازموري يوم الجمعة14 رجب عام 1360 ه(8 غشت 1941م)

2) اشبع الكلام على هذه المقالة الشيخ مرتضى في شرحه على الاحياء بما يزيد على 16 صفحة ، كما تكلم عليها صاحب الذهب الابريز ، واشار اليها الشيخ الطيب ابن كيران عند قول المرشد : وجائزا ما قبل الامرين ، وقد لمح اليها الملك المعظم الحسن الثاني أيده الله في كلمته الارتجالية التي القاها في جمهرة العلماء الذين وفدوا على المغرب من مختلف الاقطار الاسلامية للمشاركة في المهرجان الديني الذي اقيم بمناسبة « ذكرى مرور 14 قرنا على نزول القرءان الكريم » لمح اليها مشيرا الى انه لا ينبغي التاثر بها والجرى على ما تحمله من مفاهيم .

3) رايه فيما يذهب اليه ابو اسحاق الشيرازي والسيد الالوسي وغيرهما في تنزلات الكلام القديم وتعيناته بالمظاهر – الامكانية التي منها الحروف – والاصوات .
4) نظره في القول بعدم بقاء الاجسام زمانين كما هو راي زينون الاكبر من قدماء الفلاسفة ، وصرح به الحاتمي في مواضع . 5) ما يعتمد عليه من الدلائل العقلية في استحالة معرفة الذات العلية بالكنه .
6) نظره فيما يذهب اليه خطيب الراي من ان التصورات لا يمكن اكتسابها . – فاجابه المترجم برسالة وسمها : (دفع الوسواس عن مخالفة الانفاس) والجواب عن هذه الاسئلة الشائكة يبرهن عن سعة في العلم وقوة في العقل ورسوخ قدم في المعرفة . رحم الله الجميع .

من مؤلفاته : – كتاب في التعليم وطرقه بالمغرب بطلب من احد الاجانب الفرنسيين – فحرر نبذة في الموضوع تحدث فيها عن اساليب التلقين وطرقها المتعارفة وقتئذ معطيا رايه في اصلاح الوضع وتحسين المناهج حسبما جد في عالم التربية والتعليم (1) .

ومنها : كتاب « اللؤلؤ السني في مدح الجناب الحسني » وهو عبارة عن نظم في العروض ، احتوى مقدمة وخاتمة ضمنه مدح امير المومنين المولى الحسن الاول – قدس الله روحه – ختمه بكلمة فيما ورد من مدح الشعر والاجازة عليه . (2)

ومن آثاره : « رسالة نيل الارب في بيتي العقل والادب » طبع بالقلم الفاسي .
ومنها : – انشاؤه بيعة اهل القبائل الحوزية – للمولى عبد الحفيظ رحمه الله ، انظر نصها بالاتحاف للمؤرخ المرحوم المولى عبد الرحمن بن زيدان .

وله قصائد ومقطعات رقيقة بديعة منها : تهنئة المولى عبد الحفيظ بالظفر بابي حمارة يقول فيها : (3)

جاءت لنا البحر انباء من الظفر
فكان ريح الصبا من نفحة الخبر
اهدت لنا غربة انسا بشائرها
والانس حال النوى من منتهى الوطر
وللنفوس بقدر البشر تسلية
والبشر تهواه طبعا انفس البشر
يا منبئا بفتوح للعلا اتسعت
فداك وهو قليل قوة البصر
ردد علينا احاديث السعود بما
نالت جيوش العلى من مسعد القدر

ومن شعره قوله منبئا ومتنبئا بالحرب العالمية الكبرى الاولى (4) :

وقائلة ما في طوايا زماننا
فقلت لها قولا لمن يتفرس
اراه بطول السلم قد ضاق صدره
فهم برفرات بها يتنفس

ولما رشح لوظيفة رياسة مجلس الاستيناف – كتب اليه المؤرخ الاديب بوجندار مهنئا بهذه القصيدة الرائية :

اتتني صباحا وهي حاملة بشرى
تهلل وجه الدهر من اجلها بشرا
وقد فتنت لما اتت فكاننا
سكارى بها انسا ولست ترى خمرا

الى آخرها ، ولم يلبث المترجم ان اجابه بهذه الخريدة السحرية شاكرا :

طبيعة اهل المجد تستتبت البدرا
كما ان داعي الود لم يطق الصبرا
فما ارتكزت في همة المجد حكمة
جمالية الا اقتضى نورها النشرا
وما خلقت مرآة ود وحصنت
دعائمه الا وتستوجب الشكرا
ولما تجلت لي خريدة فكركم
افادت فاصبت من بلاغتها الفكرا
ولاحت كما تبدو الثريا بانجم
تواصل جوزاء المجرة بالشعرى
وحيت فاحيت مهجة انست بها
وهنت فابدت من شذا طيبها عطرا

---

1) والكتاب مخطوط ، توجد منه نسخة بخزانة الاستاذ الجليل السيد علال الفاسي ..
2) طبع طبعة حجرية (فاسية) ، يوجد بخزانة الكاتب .
3) اذ نظم المولى عبد الحفيظ جيشا قويا شتت جموع الثائر ابى حمارة وذلك عشية يوم الاحد 5 شعبان عام 1327 هـ (20 غشت 1909 م) وادخل الى فاس في قفص من حديد .
4) المشتعلة سنة 1914 م .

وزارت فوقت بالمكـارم منكـــم
وعين الرضى ترنو لما جاوز القدرا
ولا شك ان الخير والعلـم والعـلا
صفات يقيد الشعر من اهلها البشرى
لكم واجب الشكر الـذي لا تطيقـه
على نبة حسنى خصصتم بها ذكرى
وبى اسف من اجل سقمكم الــذي
يداركـه المولـى بعافيـة تتـــرى
ويمــن شفــاء لا يغــادر علـــة
وتجديد عز دائم يرتقـي النســـرا
واني على شـوق اعـود جنابكـــم
قياما بحق ما استطعت له حصـــرا
كما انـي ارجـو دعائكـم الـــذي
يرى مستجابا عند من يمنح الســترا
تداركنـــا سبحانـــه بعنايـــــة
فانــه يكفينـا واياكــم الامـــرا

وفى وظيفه برياسة الاستيناف استوطن الرباط وبه توفي يوم الخميس 13 صفر الخيـر عـام واحـد واربعين وثلاثمائة والف 1341 هـ (1922 م) وصلى عليه بالمسجد الاعظم ، ثم حمل على ظهر سيارة خاصة الى فاس حيث مرقده الاخير رحمه الله .

الرباط : **عبد الله الجراري**

ـ الثعلـب والعوسجـة ـ

اراد ثعلب ان يصعـد على حائط ، فتعلق بعوسجـة ، فعقرت يد ه ، فاخـذ يلومها فقالت : يا هذا ، قـد اخطات حين تعلقـت بـي ، ومـن عادتـي أن اتعلـق بكـــل شــــيء . . .

وثائق اندلسية حول :

العلاقات السياسية بين مملكتي غرناطة والمغرب في منتصف القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي)

للوزير لسان الدين ابن الخطيب
تحقيق د. محمد كمال شبانة

تقديــــــم :

يطيب لي أن اقدم اليوم للمعنيين بشؤون الاحداث المغربية في ذلك العصر — الوثائق الثلاث التالية ، من مخطوطة « كناسة الدكان ، بعد انتقال السكـــان » لمؤلفه المؤرخ الوزير ابن الخطيب ، التي نتابع نشر وثائقها لاول مرة على صفحات مجلتنا الغراء « دعوة الحق » .

فأما الوثيقة الاولى فهي عبارة عن رسالة بعث بها السلطان ابو الحجاج يوسف الاول ابن الاحمر ملك غرناطة ، الى معاصره بالمغرب السلطان ابي عنـــان فارس المريني ، وتتضمن الرسالة اغتباط الاندلسيين وتهنئتهم بالفتوح التي حققها ملك المغرب في شمـــال افريقيا ، وبخاصة عندما اخضع الولايات التي ثارت ضده في تلك المناطق ، واستعادتها الى حظيرة المملكة ، كما كانت على عهد ابيه السلطان ابي الحسن . ولقد وردت هذه الوثيقة غير مؤرخة ، بيد انه يحتمل تاريخها عام 752 هـ (1352 م) تمشيا مع الاحداث التــي تشير اليها الرسالة .

واما الوثيقة الثانية فهي رسالة من سلطان الاندلس المذكور الى معاصره بالمغرب نفسه ، وذلك في غرض التنويه باستيلاء ابي عنان فارس على مدينة بجاية ، ثم خضوعها له بالتالي ، متضمنة التهنئة بهذا الانتصار العظيم ، والاعلام بما كان له من دوى في ارجاء المملكة الاندلسية ، بل وفي انحاء المعمور شرقه وغربه ، على حد تعبير منشىء الرسالة (ابن الخطيب) .

وقد وردت هذه الوثيقة مؤرخة في 12 ربيع الاول 754 هـ (17 مارس 1353 م) . واما الوثيقة الثالثة فهي رسالة من سلطان الاندلس نفسـه ، الى معاصره بالمغرب ابي عنان فارس ، في غرض التهنئة بانتصاره على الامير ابي ثابت الزياني صاحب بجاية ، وانتزاعه هذه المدينة منه ، وقد وردت الرسالة غير مؤرخة ، ولكن تاريخها يوافق عام تحرير سابقتها ، لاتفــاق الفرض في الاحداث الجارية المتوالية يومئذ . هذا ولابد أن نشير هنا الى أن هذه الوثائق الثلاث تعتبر خاتمة القسم الثاني (1) من المخطوطة (الكناسة) وهوالقسم الذي يشكل تركيزا على الاحداث المغربية ، ويبـــرز الطابع المغربي من فحوى رسائله ، وعليه فسنبـــدأ بنشر القسم الثالث في العدد القادم ان شاء الله ، وهو ما يغلب على فحواه طابع الاحداث الاندلسية .

وفيما يلي نقدم الوثائق الثلاث التي اشرنا اليها :

---

(1) كان القسم الاول ، كما نشرنا في الاجتماعيات ، وهو عبارة عن عقد زواج نصري ، جرت رسومه في قصر الحمراء بغرناطة بين السلطان يوسف الاول ابن الاحمر ، بصفته وليا على اخته ، وبين أحد القواد من بني نصر . راجع : « دعوة الحق » العدد 9 و 10 من السنة التاسعة (صفر 1386 — يونيه 1966) .

الوثيقــة الاولــى :

ثم ورد كتاب آخر (1) يشـرح الكائنة (2) ، قطع الرسول به البحر (3) من جهة البلاد الشـرقية ، فكتب في جوابه ما نصـه :

« المقام الذي اكواس أنباء فتوحه على غبــوق الزمان وصبوحه تدور دراكا، وكفلاء (22 : أ) سعوده توسـع آماله القصية لحاقا بغايتها وادراكا ؛ وايــدي القدر في حالي الورد والصدر تسلق أعداءه اشراكا ، وحدود صوارمه تأبى فصولها المميزة ان تدع في امره اشتراكا . وعناية الله تصحب ركابه ، وتحف جنابه كلما رام سكونا او اعمل حراكا . مقام محل اخينا الذي اخبار نصره لا تمل على الاعادة ، وآثار فخره مسطرة في أوراق السعادة ، وآية صنع الله له خارقة حجــاب العادة . ونيته الصالحة الخالصة لله ضامنة له بلوغ الارادة . ابقاه الله يمهد قواعد الملك الاصيل فــلا يعارضها فرق . ويستخلص ديونه فلا يتعذر عليه منها حق . ويشيم (4) بوارق النصر العزيز فلا يخلف منها برق . ويقتحم الاهوال وصدره رحب ووجهه طلق ، فكلما عرضت غاية بر كان له سبق . معظم مقامه الذي استوجب التعظيم بكل اعتبار . ومقابل ملكه بكل اجلال واكبار . المثنى على مكارمه التي جيادها للغايات ذات ابتدار . وديمها في انهمار فلان (ابو الحجاج يوسف ابن اسماعيل ابن الاحمر) .

سلام كريم . طيب بر عميم . كما حيا نسيــم الصباح بطيب هبته . ورفعت راية النهار على هضبته. يخص مقامكم الاعلى . ومثابتكم الفضلى . ورحمة الله وبركاته .

اما بعد حمد الله الذي طوقتنا مواهبه العميقة تطويقا . وأوضحت لنا هدايته من الشكر طريقا . الذي جعل عزمكم للنجح رفيقا . ولم يعدم آراءكم السديدة توفيقا . (22 : ب) وشفى سيوفكم عليل ذلك القطر فاصبح بعد الاشفاء مفيقا، ورد الى عصمة ملككم عقائل تلك الاقطار وقد سامتها الفتنة مفارقة وتطليقا، فاجتلت بكم وجه السعادة طليقا ؛ وآوت الى الظل الذي جعله الله باجتماع كلمة الخلق (5) خليقا . والصلاة (والسلام) على سيدنا ومولانا محمد رسوله الذي اطلع نــور الرسالة والهداية فأرشد ضالا وانقذ غريقا ، وسام كلمة الكفر طمسا وسبب الفرقة تمزيقا ، الذي تعتلق من جاهه عند انبتات الاسباب سببا وثيقا ، ونقصد منه يوم الفزع الاكبر ملجا بالفوز حقيقا ، ونؤم منه في الدنيا والآخرة شفيعا شفيقا . والرضا عن آله وأصحابه الذين اختارهم له حزبا وفريقا ، فصدقوا ما جاء به عن الله تصديقا ؛ ونصروا دعوته حتى بلغت مراد اللــه منها تغريبا في الارض وتشريقا . والدعاء لمقامكم الاسمى بالنصر الذي يستعذب منه منسم النصل (6) ريقا ، والصنع الذي يبدي روض العناية الالهية أنيقا ، فانا كتبناه اليكم — كتب الله لكم نصرا يطبق مفاصــل الآمال تطبيقا ، وسعدا يفوق سهامه (7) الى اغراضها تفويقا ، وعزا يوسع فصول التمهيد والتخليد تثبيتا في الارض وتحقيقا — من حمراء غرناطة — حرسها الله — وليس بفضل الله سبحانه الا الارتياح الى البشايــر المتناة ، والانس بلقاء المآمل المتمناة ، والكلف بوجوه الفتوح (23 : أ) المجتلاة ، والترحيب بالانباء التــي تفلي الينا نواصي الفلاة (8) ، وتركب متون السفن تجري في اعنة الرياح المرسلات . ونحن — على مــا تعلمون من الود الذي استقرت اركانه وشهر مكانه ، ونمحض الى جهة الوجوب امكانه — نعتد بملككم الذي ترفع شانه ، ونؤمل من ظهوركم على اعداء الله يوما يرتقب زمانه ، ونثني عليكم ثناء الروض باكره مــن القطر هتانه .

والى هذا — وصل الله سعدكم ، وبلغكم مــن فضله قصدكم — فاننا ورد علينا كتابكم الذي ظفــر التعريف بالظفر واكده ، وعضد اخاءه وايده ، مركب

---

(1) لم يذكر امام الرسالة انها وردت في الريحانة . وان كنا قد وجدناها في معظم نسخها .

(2) يعني بها الاهوال التي قاساها ابو عنان في اخضاع المناطق الشرقية — في بجاية وافريقيــة — لحكمه . كما كانت على عهد ابيه .

(3) الابيض المتوسط .

(4) يشيم : يعلم . يقصد ان ابا عنان ذو درايــة بمظان النصر ومواطنه .

(5) في نسخ الريحانة « الحق » بدل « الخلق » . ولعل كليها مناسب .

(6) طرف السلاح المقوس . والمنسم في الاصل مثل مسجد : قبل باطن الخف . وقيل هو للبعير كالسنبــك للفرس . كذا في القاموس .

(7) فوق السهم تفويقا : جعل له فوقــا . واذا وضعت السهم في الوتر لترمي به قلت أفقته افاقة . والمقصود في عبارة المتن : انه ذو حظ وافر اذا ما أراد اصابة الغرض .

(8) المعنى : ان انباء النصر تخترق الصحاري .

ظهر الثبج (9) خائضا لجته ، ويصدع أحشاءه مستهديا محجته ، فاستجلينا غرة البيان الحر ، وقلنا : عادة البحر أن يقذف بالدر . أي كتاب وسعه الخطاب الفصل ووشاه ، وزائر لا يبعد الله ممشاه . جددنا العهد بسماع فصوله ، والشكر لصلته وموصوله ، وروينا حديث النصر متفقا على اختلاف الطرق . وقابلنا منه نسخة الغرب بنسخة الشرق ، وقلنا : هذا أصل أبي بحر (10) والى مثله ترد النسخ العتيقة ، وبه تحصل الثقة الوثيقة . واثنينا على مجادتكم التي لم تقتصر في تعريفنا على خبر واحد ، ولا وتقت فيه بأول وافد ، حذرا مما يعترض برد الرسائل من غوائل الطرق وطرق الغوائل ، فثابرت على تحصيل هذا الغرض حتى حصل ، وصحب كل واحد منهما خبير سعدكم فسلم ووصل . (23 : ب) فتقرر ما سناه الله لملككم من اعزاز لملكه ، وتورط عدوكم في هفوة الردى ومهواة الهلكة ، والفتح الذي قام بحساب الفتوح مقام الفذلكة ، وان من ناواكم لما تناولت عزماتكم طرده وعكسه ، ونازعته خصما سيوفكم نفسه ، وجرت عليه جيوشكم الجرارة اذيال الهزائم ، واذكت عليه سعودكم عيون الزمن النائم ، فمروا وعقبان الخيل في اعقابهم ، وعيون النجوم تأخذ المراقب في ارتقابهم ، وراموا التنكر فعرفوا ، واستظهرو عليهم سعدكم بالعدل والعلمية فصرفوا ، وقد وكلهم الندم بعض الاباهم ، وعوضهم القهر من امتطاء الذهم الاداهم ، وأصبحت البلاد قد سكن هائجها ، ومقدمات العزم قد صدقت نتائجها ، والكلمة قد اجتمعت ، واحكام الخلاف قد ارتفعت ، وادوية السياسة نجعت ونفعت .

وقد كنا لاول ورود هذا الخبر أعطيناه حقه من السرور بمقدمه ، وعينا رسولنا الذي اوفدناه على بابكم الكريم لتقرير ذممه ، والقاء ما يسع في استيفائه عادة مجده وكرمه . ونحن الان نعيد هناءكم ، ونذيع على هذه المحافظة ثناءكم . وان ذهبنا الى تقرير ما عندنا من السرور بسروركم ، والابتهاج بانتظام أموركم ، رمنا تحصيل حاصل ، واجتهاد وادع واصل . فجميع ما ينالكم من عز النصر وعلو الامر نصيبنا الاوفر فيه ، وحظنا منه الحظ الذي لا يرجحه (24 : ا) غيره ولا يوازيه ، وعائدته على قطرنا (11) بما يكبت طوائف أعاديه ، ويسكب بالامداد غيوث عواديه . فثقوا منا بالتشيع الضافية أثوابه ، والخلوص المفتحة أبوابه . الله تعالى يعلي ملككم الوثيقة أسبابه . ويؤيده حتى تمضي في جهاد أعداء الله عصابه . والسلام (الكريم عليكم ورحمة الله وبركاته (12)) " .

الوثيقة الثانية :

واستولى — رحمه الله — (13) على مدينة بجاية (14) ، ثم ثار بعض كبار وطنها بقائده وقتلوه . وامتنعت عنه . واستدرك أهلها بعد ذلك الامر . فتغلبوا عليه ، ورجعت دعوته اليه . ووصل كتابه يعرف بذلك في أوائل ربيع الاول من عام أربعة وخمسين وسبعمائة (15) (فصدرت مني مراجعة عن سلطان قطر الاندلس أبي الحجاج بن نصر — رحمه الله — بما نصه (16)) : —

" المقام الذي اشرقت بأفقه الاعلى نجوم الفتوح وجرت جياد سعوده في ميدان النصر العزيز طلق الجموح ، وجاءت دولته الفارسية على ايضاح السعد باحسن الشروح ، وتاود الدائل ارتياحا بعزه تاود الغصن المروح . مقام محل اخينا الذي حديد سيفه بينه وبين مغناطيس الفتوح خاصية عجيبة ، وغريم سعده له في اعماق الليالي والايام وجيبة ، ومنادى طاعته اذا دعا كانت له المسالك قريبة والممالك مجيبة ، السلطان الجليل ، الرفيع ، الشهير ، الاسعد الاوحد ، الامجد ، الاطهر ، الاظهر ، الاحفل ، الاكمل ، الاعز ، الامنع ، المجاهد ، الامضى ، المؤيد ، المعان ، المنصور ، الاعلى ، جواد الاجواد ، أسد الآساد ، السعيد الدولة ، العظيم (24 : ب) الصولة ، المعظم ، الموقر ، المبجل ، المؤمل ، امير المؤمنين ابي

---

(9) ظهر الثبج : سطح البحر .

(10) ابو بحر ، محدث رواية من بني اسد ، شهر بالرواية الاصيلة ، والخبر الموثوق به حكى عنه ابن عيينة ، كذا في اللسان .

(11) الاندلس (مملكة غرناطة النصرية) .

(12) ما بين القوسين زيادة ساقطة من الكناسة ، واردة بنسخ الريحانة .

(13) يعني السلطان أبا عنان فارس المريني ، كما سيرد في مقدمة الرسالة .

(14) انظر الوثيقة الخامسة عشرة (الهامش) .

(15) الموافق (17 مارس 1353 م) .

(16) زيادة ساقطة من " الكناسة " ولكن وجدناها بنسخ الريحانة ، وان لم يثبت أمام الرسالة أنها مثبوتة بالرياحة .

عثمان ، بن محل والدنا السلطان الجليل ، الرفيع ، الكبير ، الشهير ، الطاهر ، الظاهر ، الاوحد ، الاوحد ، الاسمى ، الفاضل ، العادل ، المجاهد ، الامضى ، المعظم ، الاعلى ، صاحب الجهاد المبرر ، والسعي المشكور ، المقدس الارضى ، امير المسلمين ابي الحسن ، بن السلطان الجليل ، الرفيع ، الكبير ، الشهير ، الطاهر ، الظاهر ، الماجد ، الحافل ، الجواد الباذل ، المعظم ، الموقر ، المجاهد الارضى ، صاحب الرفد المبذول ، والثناء الموصول ، امير المسلمين ابي سعيد ، ابن السلطان الجليل ، الكبير ، الاوحد ، الاطهر الاسعد ، الاظهر ، (الاسد (17) ، الامجد ، العادل ، الفاضل ، الصالح ، المجاهد ، المرابط ، الارضى ، صاحب الحرب والمحراب ، امير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين ، المقدس الارضى ابي يوسف ، ابن عبد الحق ، ابقاه الله والمحامد بذكره كلفة ، والقلوب على طاعته مؤتلفة ، والسيوف والاقلام بخدمته متصفة ، والالسنة في الاقرار بعجزها عما يجب له منصفة . معظم مقامه الذي تعظيمه فرض لازم ، والقول باجلاله واكباره قول جازم ، وموقر ملكه الذي له التوقير محالف ملازم ، الامير عبد الله يوسف ، بن امير المسلمين اسماعيل ، بن فرج ، بن نصر (18) .

سلام كريم ، طيب بر عميم ، كما زحفت للصباح شهب المواكب ، (25 ق : أ) وفجر الفجر نهر النهار فطفا فوقه حباب الكواكب ، يخص مقامكم الاعلى ، واخوتكم الفضلى ، ورحمة الله وبركاته .

اما بعد حمد الله الذي آلاؤه العميمة لا يحصر عددها ، وصنائعه الكريمة لا ينقطع — عمن توكل عليه — مددها ، وفتوحاته لاوليائه وصفوة خلفائه لا يبلغ بالافهام امدها ، الفتاح العليم ناصر العزائم ومؤيدها ، وموفق الآراء ومسددها ، الذي اذا قرب مسافة امل فمن ذا يبعدها ، واذا اعطى فمن ذا يسوف عطاياه او يرددها ، والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله ذي المعجزات التي هي الشمس ضل من ينكرها او يجحدها ، امام الرسل الكرام وسيدها ، واحمدها ومحمدها ، وخاتم النبيين الذي كمل به عددها ، وشفيع الخلائق يوم الفزع الاكبر ومعتمدها ، الذي ندخر محبته ونجدها ، ونلجأ الى ظلال وسيلته فلا يخلفنا — ان شاء الله — موعدها ، ونمحض الود في مرضاته ونصل اليد لاقامة سنته ومفترضاته فتتعرف الاعانة ونتعودها ، والرضا عن آله واصحابه وانصاره واحزابه الذين هم كنوز الملة السمحة وعددها ، وانجمها التي لا يضل من يسترشدها ، فبنصرهم طالت يدها واستقام اودها ، حتى اورثهم الله ما زوى له الارض بالعزائم القائمة على اساس اليقين عمدها ، غدان لهم أدنى الممالك وابعدها ، وسطا بمثلث الامم موحدها ، وتمت كلمة الله صدقا وعدلا (25 : ب) يتوارثها عن الآباء ولدها ، وينافس فيها اليوم غدها . والدعاء لمقامكم الاسمى بالنصر الذي يثبت آيات الفخر ويخلدها ، والسعد الذي يصون ملابس العز ويجددها ، ولا زالت حجج سيوفكم المالكية يسيب شاكلة الحق من يتقلدها ، وادوية سياستكم المرضية يشفى العليل مركبها ومفردها ، ومشارع جودكم العميم تروي من يردها — فانا كتبناه اليكم — كتب الله لكم عناية يتضح مقصدها ، وسعادة تروي احاديث الصنع الجميل وتسندها — من حمراء غرناطة ، حرسها الله ، ولا زايد بفضل الله سبحانه ، ثم بما عندنا من التشيع في مقامكم — اعلى الله سلطانه — الا الخير الذي سحائبه ثرة ، والصنع الجميل الذي مباسمه ضاحكة مفترة ، والانباء التي لا تعدم معها مسرة ، والصنائع التي الطافها بالاسلام برة ، وجانبكم عندنا عليه — بعد الله — المعول ، والاخلاص لكم هو لدينه المعقول الاول ، وما يفتح الله لكم من منحه الكريمة هو عندنا المنح المهنا المخول .

والى هذا — ايد الله امركم ، واعز نصركم — فاننا لا نزال على ثقة من عناية الله بكم في كل وجه ترمون الى هدفه ، وتطلعون كواكب رايكم الميمون في سدفه ، لما نعلمه من سعدكم الذي يروض الصعاب اذا رامها ، وعزمكم الذي يتناول الامور المبرمة فيحل ابرامها ، ويسهل مرامها ، وهمتكم التي تروم (26 : أ) الكواكب فتزاحم اجرامها ، ونعتقد ان الذي سدد من عزمكم السهام فاصابت ، ودعا السحاب السجام فصابت ، انما هو ثمرة نية خلصت لله لم يشب صفوها شائب ، وخبيئة صالحة للمسلمين تساوي فيها حاضر منها وغائب .

وكنا قد اتصل بنا ان مقامكم خطب مدينة بجاية فالقت المقاد ، وراجعت الاعتقاد ، وان من كان لنظره امرها لما تلى عليه « ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى اهلها » — اذعن للحق وانقاد ، ثم تخللت المراوضة امور ، وحدث في اثناء الوصل نفور ، وللحق — من بعد الاحتجاب — سفور ، ولله في كل شيء قدر

---

17) زيادة ايضا بنسخ الريحانة .

18) هو سابع سلاطين بني نصر (733 — 755 هـ / 1333 — 1354 م) .

مقدور . فجعلنا نرتقب لتلك الحال ما لا يحمد ، وعاقبة يسر بها ذلك المقام الاسعد ، فكلما اختلفت الاحاديث نظرنا في رجالها وطرقها ، ورمنا الجمع بين متعارضها ومفترقها ، واستعملنا ميزان التعديل والترجيح ، لتخليص السقيم من الصحيح . فلما ورد رسولنا من بابكم وقد عنى بكشف المشكل ، وتقييد المهمل ، ووفى بحمل المعنعن (19) والمسلسل ، وعرفنا بالفتح الذي تشمخ به الانوف ، وتبسم لمسرته السيوف ، وترتاح لعزه الجياد الجرد ، ويتأود لذكره الرماح الملد ، فتح بجاية — حرسها الله — وما بجاية الا باب الشرق ، وذات الاصالة بواجب الحق ، ومن لها في ميدان افتخار البلدان قصب السبق ، العتيقة البنا ، السامية المبنا ، الانيقة البقعة ، الخصيلة الرفعة ، ذات البسالة على طول المدة ، (26 : ب) ومعقل الملوك عند الشدة . أزرت على القواعد بزيريها ومنادها (20)، وباءت ببادبسها وحمادها (21) ، وصابرت الازمات

---

19) الذي يروي من الاحاديث عن فلان عن فلان عن فلان ، وهكذا في تسلسل .

20) يشير الى زيري بن مناد من بني حماد أصحاب بجاية .

21) يشير الى مملكة بني حماد ، مؤسسها واول ملوكها حماد بن بلكين بن زيري بن مناد الحميري الصنهاجي من أمراء بني زيري بتونس والجزائر وهو اخو المنصور صاحب افريقية، وكان لبني مناد هؤلاء جاه قديم في افريقية قبل ان تاتي دولة الفاطميين في المهدية. واستعان بهم بنو عبيد حين استتب لهم الحكم في تلك البلاد . فلما هم المعز لدين الله العبيدي « الفاطمي » أن يتوجه الى مصر — حين اتخذها قاعدة لملكه بعد انهيار الدولة الاخشيدية بها — استخلف على افريقية بلكين بن زيري ، فكان له الحكم في تلك البلاد الى ان مات عام 373 هـ . وكانت تبعيته للفاطميين في القاهرة تبعية اسمية .

تقلد السلطة في البلاد من بعده المنصور بن بلكين فنهض بالامر ، وانتشر امره ، الى ان توفي سنة 386هـ وخلفه على عرش افريقية ولده باديس ، ولما كان له حق اختيار العمال والولاة في البلاد الخاضعة لحكمه فقد دفع الى عمه « حماد بن بلكين » بمنطقة « اشير » فأسس بها حماد قلعته المعروفة عام 386 هـ ، وأسس بها ملكا به كثير من مظاهر الاستقلال ، وان كان تظاهر بالولاء لابن اخيه بالقيروان والمهدية وتونس .

« ومنذ الوقت الذي أنشئت فيه تلك القلعة صار بنو مناد فرقتين : بنو حماد بقلعتهم ، وبنو باديس بالقيروان والمهدية » . وقد توفي باديس هذا عام 406هـ

هذا ، وقد تولى عرش افريقية — بعد باديس — ولده المعز بن باديس ، الذي يعتبره المؤرخون المؤسس الحقيقي لدولة بني باديس فقد جهر باستقلاله عن العبيدين (الفاطميين) في القاهرة ، ونبذ طاعتهم ، وانهى الخطبة للخليفة العبيدي المستنصر بالله — المعاصر — في القاهرة ، واقام الخطبة للخليفة العباسي في بغداد « القائم بأمر الله » عام 435 هـ ، ولم يعبأ بتهديد المستنصر ، ورد رسوله قائلا : قل له لنا ملك أفريقية قبل ان يكون للعبيدين ذكر !!

وما ان استقل المعز بن باديس بملك أفريقية حتى بادر بنو حماد يحذون نفس مسلك هؤلاء على ما تحت ايديهم من البلاد ، وبهذا بدا مظهر التنافس بين ابناء العمومة ، وذلك ابتغاء انتشار السلطان ، وكانت بينهما — لذلك — منازعات وحروب نالت من الفريقين على حد سواء ، كما أعطت الفرصة سانحة للفرنجة ان يستولوا على جزيرة صقلية — وكانت يومئذ تابعة لمملكة افريقية — فقد ولى هؤلاء وجههم بعد ذلك شطر افريقية نفسها ، وتمكنوا من الاستيلاء على طرابلس وكثير من الاطراف الشرقية لمملكة بني باديس .

وتولى بعد ذلك عرش افريقية طائفة من ولد المعز بن باديس :

تميم بن المعز : من سنة 454 الى سنة 501 هـ . ثم يحيى بن تميم : من 501 الى 509 هـ . ثم على ابن يحيى الى سنة 515 هـ . ثم ابو يحيى الحسن بن علي . وهو آخر ملوكهم . وفي عهده استولى الفرنجة على المهدية حاضرة الدولة سنة 543 هـ ، وهي السنة التي انتهى فيها ملكهم . وبذلك انقضى ملك خلفاء المعز بن باديس على يدي صاحب صقلية .

ونعود الى ملك بني حماد ، فنرى انه قد توالى سلطانهم بعد وفاة حماد عام 417 هـ ، فقد تولى بعده ولده « القائد » حتى توفي عام 446 هـ . ثم ابنه « محسن » ثم ملك بعد محسن ابن عمه « بلكين » . ثم الناصر بن علناد بن محمد بن حماد ، الى ان ملك يحيى بن العزيز ، الذي بقي متربعا على عرش بجاية ، حتى استولى عليها — وعلى قلعة بني حماد وسائر تلك النواحي — امير الموحدين عبد المؤمن بن علي عام 546 ، وتم له السلطان على تلك المناطق في سنة 547 هـ .

هؤلاء هم بنو حماد الصنهاجيون أصحاب بجاية وقلعة بني حماد وما الى ذلك من البلاد ، الذين اشار اليهم ابن الخطيب في عبارة المتن .

راجع : المعجب في تلخيص أخبار المغرب للمراكشي (ص 272 — 276) تحقيق الاستاذ سعيد العريان ط القاهرة 1962 م .

على اتصال آمادها ، فهي العقلية التي أشرفت يوم الافتخار باسمي تليل ، وسفرت للابصار عن كل مرأى جميل ، وقعدت على منصة التشريف والتفضيل ، وضمن عليل نسيمها شفاء العليل ، وتختمت بالثريا وتعصبت بالاكليل ، وزرت برفيعها وبديعها على الفرات والنيل . دار الجياد المجنونة ، والاساطيل المرهوبة . ومرفأ السفن ومحط الركاب ، وملتقى جوابي البيداء وخائضي العباب . تهوى اليها الاجنحة شارعة ، وتبتدرها قوافل السفن متسارعة ، ما بين مخبرة عن مدينة الاسكندرية ، ومطرقة بأنباء روما بنى الاصفر ، وصادرة عن السواحل العكية ، ومحدثة بغرائب التركية ، وشاكية اليم والكرب ، ناجية من ظلمة اقتابس الغرب (22) . القت اليد الى طاعتكم على شهرة ابائها وشماسها ، ومنعة وضعها وشهامة ناسها ، لما علمت ان مغالب الحق مغلوب ، ومحارب القدرة الالهية محروب ، وحرون اللجاج مقود مجنوب ، ومكابر البرهان الى الجهل منسوب ، فصانتها اصالة رايها فى الطاعة عن الخطل ، وتحللت منابرها بذكركم من بعد العطل . وطابت بآياتكم الفارسية نفسا ، واستشعرت سرورا وانسا ، وكانت قد عدمت ناصر الدين معنى ، فوجدت ناصر الدين معنى وحسا ، (27 : أ) وخشعت اصوات اهلها للرحمان — من بعد الاجهار بالابابة والاعلان — فلا تسمع الا همسا ، واصبح ملككم مطلا على ما وراءها من الجهات ، ناسخا بمحكم الحق حجج الترهات . وان كانت قد ابدت نفارا وتيها ، وعاودت عادة تجنيها ، فالتيه من عادة الغادة ، والتمنع من شيمة الكريمة ، فانما هو المطل وبعده يحسن الوصل والوعد ، والانجاز من بعد البرق والرعد ، وفى اثره الغمام الرغد ، واهون المكسوب رخيصه ، ولذة الصيد ان يطارد قنيصه ، وان اظهرت دلا ، فما اخفت مللا ، وان رامت دفاعا ، فما اضمرت خلافا ولا امتناعا . فقد كانت خجلة من نشوزها المتقدم ، قارعة سن المتندم معلنة بفرط الكلف ، متبرية من الحلف ، معترفة بحقوق من سلف لكم من كريم السلف ، مستدركة ما فاتها فى أيامكم السعيدة المستقلة ، باخعة بتوبتها والتائب من الذنب كمن لا ذنب له .

فلما تحققنا هذا الخبر الذي هو علم فى عواتق الاخبار ، وشنب فى ثغور الثغور ، وخفر فى خدود الامصار ، وسجدة فى سورة الفتوحات الكبار ، وأثر حقه أن يكتب بمداد الليل فى قرطاس النهار ، وقلنا تحصل الامل ، ولما ثبت الحديث وجب العمل ، وهذا امر لنا فيه الناقة والجمل . اذا فتح الله على من تؤمل نصره فعلينا فتح ، واذا منح من نرجو اعانته فاياننا منح . الآن زادت الخطة المرجوة سعة ، واستأنف (27 : ب) الملك الذي نعتد به تمهيدا ودعه ، وآن أن يحصد فى مرضاة الله ما زرعه ، الآن أمكن الاستعداد وتيسر الحج (23) . وبعد — ان شاء الله — يتيسر الجهاد . فأعطينا السرور به ما تشاء ، واتبعنا الدلو فيه رشاء ، وعمرنا بترديد الحمد لله ضحى الزمان وعشاه ، وبادرنا بتوجيه من يؤدي عنا حق الهنا بهذه الآلاء ، ويسلك فى توفية ما عندنا من السرور بها على سبيل السواء ، فاخترنا لذلك فلانا ، وصل الله سلامته ، ويمن ظعنه واقامته ، وحملناه من تقرير ما لدينا — من الود الذي صدق انتاجه ، وقطع المعاند واحتجاجه ، وراق على أعطاف الخلوص ديباجه — ما نرجو أن يقوم بما أمكن من حقه ، ويسلك فى تبليغه لاحب طرقه ، وفضلكم كفيل بالاصغاء لما يلقيه ، والقبول على ما يؤديه ، والله تعالى يبقي ملككم متأود بالنصر عواليه ، مسرورا سعادته من يواليه ، وهو سبحانه يصل سعدكم ، ويحرس مجدكم ، والسلام الكريم يخص مقامكم الاعلى ، وأخوتكم الفضلى ، ورحمة الله تعالى وبركاته .. وكتب فى الثاني عشر لشهر ربيع الاول المبارك من عام أربعة وخمسين وسبعمائة (24) .

— الوثيقــة الثالثــة —

(19 : أ) ولما فر الامير أبو ثابت الزعيم بالفل من بني زيان (25) اثر الهزيمة الجارية عليهم ، ولحق بارض صاحب بجاية (26) فقبض عليهم ، ووجه بهم

---

22) تشير هذه الاوصاف التاريخية الى الاهمية التي كانت لميناء بجاية يومئذ .

23) يبدو من هذه الاشارة ان الحج — قبل فتح بجاية — كان عسيرا على اهل الاندلس ، لامتناع الخارجين عن طاعة ابي عنان فيها .

24) الموافق (17 مارس 1353 م) .

25) سبق التعريف بهذه الاسرة فيما نشرناه سابقا بهذه المجلة .

26) بكسر الباء وتخفيف الجيم : مدينة على ساحل البحر المتوسط بين افريقية والمغرب . اختطها الناصر ابن علناس بن حماد بن زيري بن مناد بن بلكين عام 457 هـ (منتصف القرن الحادي عشر الميلادي) ، وتسمى الناصرية ، نسبة الى مؤسسها ، كانت ميناء هاما للقوافل البحرية والتجارية . وهي اليوم احدى المدن الجزائرية المعروفة بسواحلها .

الى السلطان الكبير الشهير ابي عنان ، رحمه الله ، فأوقع بهم — تجاوز الله عنهم — وخاطب سلطان الاندلس السلطان المجاهد أبا الحجاج ابن نصر — رحمه الله — بذلك، صدرت المراجعة بما نصه(27):

« المقام الذي انتظمت لدولته الفتوح الغر انتظام العقود ، واقتضيت بغرماء عزماته ديون الايام اقتضاء النقود ، وطلعت من ثنايا آرائه السديدة وجوه السعود ، وتكلفت نيته الصالحة له بنيل المقصود وانجاز الموعود . مقام محل اخينا الذي (19 : ب) ان نشدت (28) الفتوح الفيت في القاف بنوده وادعة ، او دعيت الآمال كانت بوجوده طائعة سامعة ، او استدعيت الاماني انثالت (29) في ايدي سعوده وان كانت شاسعة فرياض العز به يانعة ، وكواكب السعد بآفاقه طالعة ، وانفاس الثناء على ملكه الرفيع البناء بأعطر من المسك الفتيت ذائعة ، وحجج صوارمه (30) قاطعة وبالحق صادعة ، السلطان الكذا (أبو عنان فارس المريني) . ابقاه الله مكملة مآرب امره ، مسهلة افعال عوامل نصره ، مخولا من الله ما يعجز اللسان عن حصره ، تثبت في صحائف الصفائح آيات فخره ، ولا زالت عوامله مصرفة في زيد عداه وعمره ، حتى تذعن الرقاب الغلب لقهره ، وتعرب الدهور بمزية دهره .

سلام كريم كما سفرت الفتوح عن غررها ، ورقمت أنباء النصر على صفحات السيوف وطررها ، واستبشرت الارض بوابل مطرها ، وظفرت النفوس بأقصى وطرها ، يخص مقامكم الاعلى ، ومثابتكم الفضلى ، ورحمة الله وبركاته .

اما بعد حمد الله الذي تمم لكم الصنايع تتميما ، وجلى لملككم العلى وجه السعادة ، اغر وسيما ، واثبت لكم في صفحات الفخر ذكرا شهيرا ومجدا عظيما وجعل حد سيوفكم الماضية يستوعب العدو سبرا (31) وتقسيما ، فكلما طلبتم الايام بديونها لم تمطل كفيلا بكم غريما ، وكلما دعوتم الآمال انثالت على (20 : 1) مواردكم هيما ، (وكلما اضمرتم امرا بعيدا اصبح ببالكم مقيما (32)) . والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله أزكى البرية عنصرا واشرفها خيما ، نبي الرحمة الذي جلا بنور الحق ليلا بهيما (33) ، ودعا الى توحيد الله نفوسا حارت في ظلمات الضلال تثليثا (34) وتجسيما (35) ، واعمل الحرب العوان حتى سلكت الخلائق من الطاعة لله ورسوله مسلكا قويما ، ووقفت ، عند أوامر الله ونواهيه تحليلا وتحريما ، والرضا عن آله الذين كانوا في الظلماءنجوما وفي اللاواء (36) غيوما ، وفي الهياج أجلا محتوما ، ففرعوا السحاب جودا والآساد اقداما والبدور ضياء والهضاب حلوما ، صلى الله عليه وعليهم وسلم تسليما ، والدعاء لمقامكم الاسمى بالعز الذي لا يزال لركابه العلي لزيما ، والسعد الذي تغني عن الاختيار اسبابه ، وتفتح قبل الطالب ابوابه ، فلا يحتاج تعديلا ولا تقويما ، والصنع الذي يروق أولياء مقامكم الرفيع خصوصا وسائر المسلمين عموما ، ولا زال جنابكم المؤمل كهفا والثناء عليه رقيما ، حتى يصبح الكفر بهبوب عزائمكم هشيما ، ويستنشق الاسلام من اباحة الكرة له على يديكم روحا عاطرا ونسيما . فانا كتبناه اليكم — كتب الله لكم من مواهب عنايته اوفر ما كتب ، وجعل سعودكم تضمن اعتاب الدهر كلما عتب ، واقلام رماحكم يثبت في خط خطها النصر الداخلة على العتب ، (20 : ب) وخطباء فتوحكم تترقى من منابر العز اعلا

---

(27) « نقل من الريحانة » هكذا وجدناها امام الرسالة بمخطوطة الكناسة ، لوحة رقم 19 . وفي الريحانة وجدناها هكذا .

(28) نشدت : بالبناء للمجهول بمعنى طلبت .

(29) انثالت : تتابعت ، فعلها ثيل بفتحات ثلاث .

(30) صوارمه : ج صارم ، وهو : السيف .

(31) من سبرت الجرح : اي تعرفت عمقه ، و الفعل من باب قتل .

(32) زيادة ثابتة في نسخ الريحانة ، ساقطة من الكناسة .

(33) شديد الظلام .

(34) يقصد بالتثليث النصارى الذين يعتقدون الالوهية في « الاب والابن والروح القدس » على ما هو معلوم .

(35) يطلق المعتزلة لفظ « المجسمة » على من يشبهون الذات الالهية تشبيها ماديا ، مستدلين (في زعمهم) بالآيات التي توهم ظاهرا ما يذهبون اليه . كقوله تعالى : « يد الله فوق أيديهم » ، وقوله تعالى : « الرحمن على العرش استوى » .

(36) اللاواء : شدة القيظ .

الرتب — من حمراء غرناطة ، حرسها الله ، والاعتداد بمقامكم العلي يزيد صحبه وضوحا ، والامل فى ملككم الفارسي يهز منه نسيم هذه الانباء غصنا مروحا ، وخافت (37) الرجاء فى هذه الارجاء تنفخ فيه عزائمكم على جهاد الاعداء روحا ، وتتلو عليه من النصر كتابا مشروحا .

والى هذا — ايد الله امركم الرفيع تاييدا ، والهمه شكرا لا يعدم معه مزيدا ، وجعل سيفه الماضي كلما تقلده لابواب الفتوح اقليدا ، حتى يستانف به الاسلام عزا جديدا ، ويبلغ جيدا ، ويملا بلاد التثليث توحيدا ، ويذيق الكافرين بأسا شديدا ، ويريهم الفتح (المبين (38)) قريبا وان كانوا يرونه بعيدا (39) — فاننا ورد علينا كتابكم المستوفي الفصول ، والمحكم الفروع والاصول ، المشتمل على محصول الفخر وفخر المحصول ، المستد خبر النصر الى قضاة النصول . قبالها من وجوه بشر جلتها البلاغة فى احسن الشارات!! ومعاني فتوح اوردها البيان بأفصح العبارات!! وعيون نصر افادتها الآداب احلى الاشارات ! ! حتى كانت الاقلام فى خدمة مقامكم السعيد ، جرت مجرى السيوف فى استصحاب التاييد ، واحراز المرام البعيد . وقفنا من مضمنه — حسبما قررتم — على خلوص الطاعة ، والتئام الجماعة ، واستقرار الحق فى اهله بعد الخصام وتسويغ مشارع (21 : ا) الشريعة لوارديها من بعد الازدحام ، وانطلاق السنة العدل بعد الافحام والحاق طرر البلاد القصية (40) باصل العمالة المرينية (41) بعد الاضراب والاقحام . وان عدوكم اجهز القدر على جريحه ، ونشات رياح البشائر بخمود ريحه ، وأعقبه الحسام الصلت (42) فلم يفرق بين طرفه ولا صريحه ، فاصبح الشرق — لنور دعوتكم — مشرقا ، واساغ ريقه وكان به شرقا ، واشتمل ملاة الامن وكان خائفا فرقا ، وغدا مزاج السياسة المرينية لارتفاع ضدها مزاجا متفقا، وانشدها لسان السعد فاشرب هنيئا عليك التاج مرتفقا . وأن هذه الوقيعة المستأصلة كانت لمرض الخلاف المزمن بحرانا ، وحكما يتبع من حلول النصر بدرجة النصل قرانا ، وفتوى رضى اشهب الحسام اختيارها ، وكتبت اقلام الرماح فى صحف الايام آثارها . فقلنا : هذا امر لنا جله او كله ، ومزن لنا طله ووبله . الآن ارتفعت عن الجهاد الشواغل الشواغب، وآن ان يحظى بأمله الراغب. الآن تهللت الوجوه، واستشرف الدين الحنيف لما لم يزل يرجوه ، كاننا بالعزائم لاداء حق الله مصروفة ، والصوارم على سبيل الجهاد موقوفة ، والهمم بأن تكون كلمة الله هي العليا مشغوفة . ومن عامل الله فى نصر هذه الاقطار المسلمة مع اختلاف الكلمة فما جمع بين الكرى والاجفان ، ومهد (21 : ب القواعد بعد الرجفان وامسك حبلها العاصم عند فيض الطوفان . كيف يكون عمله بعد ارتفاع الموانع وزوالها ، وسكون البلاد من اهوالها . قياس — بمشيئة الله — صادق ، وبرهان بين الشك واليقين فارق .

فهذه الجزيرة الاندلسية من عامل الله فى نصرها — بنية صالحة — ظهر ربحه ، وطلع بالسعادة صبحه. وقد ظهر مجمل ذلك بما يطول شرحه ، فانكم لما صدق فيها عزمكم لم تسلوا سيفا فنبا عن ضريبه . ولا اعملتم عزما الا بلغ غايته غريبه ، ولا سددتم سهما الا اصاب غرضا بعيدا ، ولا ادرتم رأيا الا اثمر مراما سعيدا . واننا اخذنا من السرور بتمام نعمة الله خليكم، واستقرار فذلكة الفتح (43) لديكم ، بأقصى ما ياخذه الولي الحميم ، ولهجنا من اتصال سعدكم بما سناه الصنع الكريم ، ووجهنا من ينوب عنا فى هنائكم به بما يوجبه الود الصميم ، وهو قريبنا الكذا ابو فلان (44). القينا اليه فى هذا الغرض ما يلقيه . وينصه عليكم وانتم تتفضلون بقبول ما يلقيه . والاصغاء لما يؤديه . والله تعالى يصل سعدكم ، ويحرس مجدكم . والسلام » .

حققه : الدكتور محمد كمال شبانه

---

37) فى نسخ الريحانة « وحافات » وهو اصوب .ولعلها هنا « خافت » بالتاء حتى يستقيم المعنى المراد وهو « الرجاء الضعيف » .
38) زيادة فى نسخ الريحانة .
39) اقتباسا من قوله تعالى : « انهم يرونه بعيداونراه قريبا ، يوم تكون السماء كالمهل ، وتكون الجبال كالعهن ، ولا يسأل حميم حميما » سورة المعارج ، آية : 6 — 10 .
40) يرمي بالبلاد القصية تلمسان وما جاورها من ملك بني زيان المهزومين .
41) العمالة المرينية : الدولة المرينية ، وعاصمتها « فاس » .
42) الحسام الصلت : القاطع البتار .
43) فذلكة الفتح : مستهلة وبدايته .
44) لم يفصح عن اسمه .

نكبة فلسطين في الشعر المغربي الحديث

للأستاذ حسن الوراكلي

-2-

تقدمت الاشارة الى ان الشعر العربي المعاصر واكب مأساة ارضنا السليبة ، المغصوبة فى فلسطين خطوة ، خطوة ، ومرحلة ، مرحلة ؛ الامر الذي اتاح لبعض الباحثين العرب أن يستخلصوا من هذا الشعر حكاية المأساة من جذورها ؛ وانما أكرر الاشارة الى ذلك لاقول بأنه اذا كان الشعر العربي فى المشرق قد صور حصيلة المأساة من الفها ــ كما يقال ــ فان صنوه فى المغرب قد حمل نفس الرسالة ، وادى عين الامانة .

لقد كنا جميعا ، هنا فى المغرب ، وهناك فى فلسطين ، نعاني من ويلات الاستعمار ونتجرع من مراراته ؛ هناك كان الاستعمار الانكليزي يمكن للذئاب الصهاينة ليكونوا دمى له تحركها اصابعه كيفما شاء ، وهنا كان الاستعمار الفرنسي يسعى جاهدا من اجل تشتيت شملنا وتمزيق وحدتنا « بابتكاره » السياسة البربرية ؛ كان جرحنا ، اذن ، واحدا ، يؤلفنا فنلتقي على اشجانه ــ كما يقول شوقي ــ ، ، ، و « اللقاء على اشجان الجرح » نستطيع أن نشهده فيما رسمه الشعر المغربي من لوحات لنكبة فلسطين انطلاقا من وعد بلفور المشئوم الى نكسة 5 يونيه المقيتة .. فها هوذا الاستاذ الشاعر عبد الله كنون يتحدث فى قصيدة له بعنوان « رثاء بلفور » (1) عن هذا الوعد الذي يحمل بين طياته موتا زؤاما للامة العربية ، وكيف يجب أن يكون حقنا اقوى من بطل الاعداء ، فنهب لتمزيقه بجيوشنا ونقبره ونذيق الموت من يسنده ويعمل على تحقيقه ، وندفع عن القدس الشريف بغي البغاة ، وعسف العاسفين :

لك الخيرات يا ناعي الطغام
فابرد حر انفسنا الظوامي

قضى بلفورهم فليقض وعد
اتانا فيه بالموت الزؤام

هو الابعاد يحمد فيه خلف
وان سمو بالوعد التمام

ولكن سوف ينقض منه عقد
وينسى ذكره بين الانام

ويدمغ حقنا بطل الاعادي
وكان البطل داعية انهزام

نمزقه بأطراف العوالي
اذا هجنا وبالجيش اللهام

ونقبره ونقبر من يراه
سبيلا للتعدي والترامي

ونحمي قدسنا من كل باغ
يقول انا لكم فى القدس حام

وتعتبر ثورة فلسطين سنة 1936 علامة كبيرة على السخاء بالدم والتضحية بالنفس فى سبيل كرامة الوطن ؛ فلقد اضرب المواطنون ، بمختلف طبقاتهم ، عن العمل من 15 ابريل سنة 1936 الى 12 اكتوبر من السنة نفسها ، ولم يلبث هذا الاضراب ان تحول الى ثورة مسلحة دامية (2) ، ارتعشت لها فرائص الصهاينة

1) عبد الله كنون ، « لوحات شعرية » ــ دار كريمادس للطباعة ــ تطوان .
2) انور الجندي ، « القومية العربية والوحدة الكبرى » نشر الدار القومية للطباعة والنشر ــ القاهرة .

واحسوا بالخطر يتهددهم ، يصدر لنا ذلك عبارة وايزمان : « ان اليهود يقفون في اخطر ساعة في تاريخ حركتهم » . وهذه قصيدة « عربي حر » (1) للاستاذ الشاعر عبد الله كنون ، نظمها اعجابا بروح ثائر جريح من ثوار 1936 ، سأله المندوب الانجليزي حين وقف بجانب سريره في مستشفى بالقدس : ما يؤذيك ؟ فاجابه : ان اراك ، فتحملها المندوب على مضض ، ثم عاد يسأله : هل تريد شيئا ؟ فقال : نعم ، أن تخرجوا من فلسطين وتدعوها لابنائها ، وليس حديث الاستاذ كنون عن العربي الحر الثائر الا حديثا عن العرب الاحرار الثائرين في فلسطين الذين لايوهن الجرح عزمهم ولا ينال من ايمانهم بحقهم :

عربي سيم خسفا وهوانا
اترجى منه سلما وامانا؟
هو نضو البؤس الا انه
ناقم يسعرها حربا عوانا
اتظن الجرح اوهى عزمه ؟
ساء ظنا بالفدائي وشانا
جذوة للحقد لم تزدد على
نفخها الا اضطراما واضطغانا
عد عن اسعافه في بؤسه
انه اولى له ان يتفانى
عد عن تنميق الفاظ له
لست تلقى منه ضعفا او ليانا
لا تساومه على اخلاصه
انه لله بالاخلاص دانا
اتمنيه وقد اثخنته
فعل صياد بكى الصيد دهانا
ما مناه وهو من آلامه
في اسار غل عقلا ولسانا
ما مناه غير ان تتركه
يتملى الموت اما الموت حانا
ان طعم الموت احلى عنده
منك اذ توليه عطفا وحنانا
وكذاك الحر يعمى قلبه
ان يرى الظالم يزداد افتتانا

ويختم الشاعر قصيدته موجها خطابه لابناء فلسطين منوها بشجاعتهم واقتحامهم جاحم الموت، ليس لهم الا الصبر والعزم يردون بهما نيران العدا ، وهم بذلك ، بثورة سنة 1936 ، ضربوا للناس ، كل الناس ، امثلة رائعة في البطولة والتضحية والفداء ، وهم بذلك باتوا قدوة حسنة للذين ينشدون للشرق صروح التقدم والازدهار :

ايه ابناء فلسطين لقد
خضتم لج المنيات عيانا
واقتحمتم جاحم الموت فلم
تألوا فيه ضرابا وطعانا
صبرا ليس يبالي واحد
بالوف من علوج تتدانى
عزلا الا من العزم الذي
رد نيران العدا تحكي الجنانا
فضربتم للورى امثلة
عز ادراك لها أو ان تدانى
وغدوتم قدوة حسنى لمن
يبتغي في الشرق ان يبني كيانا
ورفعتم هامة العرب التي
اطرقت من ضربة الدهر زمانا
فثباتا في مجال الموت أو
تأخذوا الحق وتستوفوا الضمانا

* * *

يا سادة :

المؤامرة على فلسطين كانت وحشية ضارية ، توالت فصولها في قتامة دموية ؛ ومع ذلك انصرف بعض حكام العرب ، يومئذ ، عن العمل الجدي من اجل انقاذ فلسطين من براثن الاستعمار ومخالب الصهيونية ، الى الاختلاف والتناحر فيما بينهم وارضائهم اهواءهم الشخصية ، على حين كان الاستعمار الغربي وكانت الصهيونية القذرة ، يجريان مسعورين ، خبيثين ، دنئين ، من اجل ايجاد وطن لليهودي التائه ومأوى له ولما تأكد من ان الامور قد بلغت غايتها اصدرت الجمعية العامة للامم المتحدة في 29 نوفمبر سنة 1947 قرارا بتقسيم فلسطين الى دولتين ، عربية ويهودية ؛ وبذلك شردت منظمة الامم امة في العراء واخرجتها من وطنها ظلما وعدوانا !

ولقد صور شعرنا احاسيس امتنا ازاء القرار الظالم الذي اصدرته هيئة الامم ، وجهر بحملة شعواء على الاستعمار والصهيونية ، ومن ذلك شعر لمحمد العربي الآسفي ، يقول في اوله :

(1) انظر « لوحات شعرية » ص 17 .

امـــة العرب حـــان وقت العـــراك
في سبيـــل الوفـــا وصون حمـــاك
نحن جنـــد يهوى الفـــداء ويهـــوى
موتـــة العـــز في ظـــلال رباك
سوف تـدري وسوف يـدري انـاس
عـاضدوا الظلـــم في سبيل شقـــاك
اننـــا العضـــب فـــي يديـــك وفـــاء
لعهـــود مقطـوعـــة لعـــلاك
اننـــا النـــار والـدمـــاء لقـــوم
خـذلـــوا الحـــق رغبـــة في رداك
نحـــن قـــوم نـــرى الممـــات بعـــز
خيـــر فخـــر نحـــوزه ومـــلاك
دول الغـــرب اسمعـــي صوت شعب
عربـــي قـــد طـــال منـــه التشاكي

ثم يمضي الشاعر مبينا ان حكم مجلس الامـــن بالتقسيم كان جورا وضلالا ، و « ناصحـــا » للهيـــاة الدولية بجعل العدل اساسا لبنائها ، فالحكم بالتقسيم ظلم وجور اسخط الحق ، فثار شرارا ضد بقائهـــا ، ثم يعيب على المنظمة الدولية عدم تقيـــدها بميثاقها ، ويختم قصيدته موضحا لها ان العرب لا يخشون قوتها وبطش مدافعها ، وانما هم يرهبون الحق ، والحـــق وحـــده :

مجلـــس الامـــن ان حكمـــك جـــور
وضـــلال ومبعـــث للعـــراك
هيـــاة العالـــم الموحـــد سيـــري
واجعلـــي العـــدل مـــن اساس بنـــاك
ان حكمـــا امضـــاه اهلـــك زورا
ونفـــاقـــا لمصـــدر لفنـــاك
اسخـــط الحـــق فهـــو منـــه شـــرار
مستطيـــر يثـــور ضـــد بقـــاك
خلـــق اليأس فـــي الضمائـــر ما قـــد
سجلت فـــي رضـــا اليهـــود يـــداك
فمـــن العـــار ان تقـولـــي كلامـــا
يبعث البشـــر ثـــم يرمـــى وراك
ومـــن العـــار ان تقـومـــي بفعـــل
ينقض القـــول فـــي زمـــان صبـــاك
هـــل تظنيـــن ان سيفـــك امـــر
يبعـــث الرعـــب في قلـــوب ســـواك
لا تظنـــي ان التحـــامـــل امـــر
ســـوف تمضيـــه عن رضـــا للقـــاك
لا تظنـــي ان المـــدافـــع تقـــر
بنـــا على الصمت خشية مـــن لقـــاك
نحـــن لا نرهـــب المـــدافـــع لكـــن
نرهب الحـــق وحـــده لا قـــواك (1)

وانتفضت نفس شاعر الحمراء محمد بن ابراهيم للمساعي التي تبذل من اجل تهويد فلسطين ، فهتف :

عهدي ببيت القـــدس وهو مقـــدس
والديـــن ديـــن والبـــراق بـــراق
واهـــم مـــا للمسلميـــن شعـائـــر
مـــن دونهـــا الارواح والاعنـــاق
عجبي مـــن ابـــن يهود يعرف قـــدره
ويـؤم بيـض الهنـــد وهي رقـــاق
ان كـــان داء الجهـــل اعمـــاه فكم
داء لـــه ضـــرب الطلـــى تريـــاق
واذا اريقت فـــي الجهـــاد دماؤكـــم
فـكـــذا دمـــاء المسلميـــن تـــراق
مـــا كـــان بالامـــر الخفيف سماعـــه
فسمـاعـــه واللـــه ليـــس يطـــاق
كـــذب اليهـــود بوعدهـــا بلفـــورها
بلفـــور طعـــم المسلميـــن زعـــاق (2)

* * *

قسمت فلسطين ، وسرعان ما اعلنت بريطانيـــا انتهاء الانتداب ، وحددت يوم 15 مايو 1948 لسحـــب قوتها ، فمكنت للصهاينة من وضع أيديهم على مواقـــع البلاد الرئيسية ، ومرافقها الحيوية ، واعلن اليهـــود قيام دولة الشر والبغي ، وتقدمت الجيوش العربيـــة الى ارض فلسطين ، تملك صبرا وعزيمـــة في قـــوة الفولاذ ، ولكنها لاتملك معها غير سلاح هزيل ، مفلول، وقيادة موزعة الكلمة ، مشتتة الراي ، مـــن ورائهـــا رؤساء زاغوا عن وضح الطريق ومالوا ، فسدد اليهـــا العدو الضربات العنيفة ، وجرعها مرارة الانهـــزام ، وتحرك يعيث في الارض فسادا ، وينشر في ارجائهـــا خرابا ودمارا ، وهل ينسى التاريخ فظائع يافا ، وجرائم دير ياسين ، ومجازر ناصر الدين التي محيت مـــن الوجود محوا ، وبذلك بلغت المؤامرة غايتهـــا واسدل الستار على افظع مأساة عاشتها الانسانية منذ فجرها الضارب في اغوار التاريـــخ ... وتوالت السنـــون ، والشعر باق في المعركة ، يرسم بؤس اللاجئين في الخيام، ويحكي لهفتهم الى الاوبة ، ويتحدث ، بلغة شفافـــة ،

1) عبد الله كنون ، « احاديث في الادب المغربـــي الحديث » .
2) أحمد الشرقاوي ــ اقبال ، « شاعر الحمراء في الغربال » ص 114 .

دامعة ، عن الارض السليبة ، حيث مرائع الصبا ، ومرابع اللهو ، ومسارح الانس ، ويعكس صورا من الارض الطيبة فيها الوان حيفا ، وأعباق دير ياسين، وغيرها ؛ ويوقظ الانفس ، ويستحث الهمم ، ويستنفر العزائم ؛ وكلما حلت ذكرى المأساة الا وجلجلت الاصوات من المحيط الى الخليج تذكي لهيب المقدس في الدم العربي ، وتدعو الى الاصرار على العودة وطرد الغرباء الاوباش ؛ واذا كان كثير من هذا الشعر يغلب عليه الجانب العاطفي فيطغى على الالتماع الفكري ، فاننا لنستطيع ان نقدم نموذجا من الشعر المغربي يملي فيه الفكر لتصغي العاطفة :

عادت الذكرى و، وعادت صور المأساة سوداء امامي
عادت الذكرى ، فلا الادمع تشفي غلة القلب المضام
لا ، ولا الصبر يبيد الحزن او يهدي شجوني وظلامي
عادت الذكرى ، وها نحن نقول الشعر ، نزهو بالكلام !

* * *

ما ستجدينا المنى أو سوف تعطينا الدموع
لو قضينا العمر نبكي ، ونمني النفس يوما بالرجوع
لديار سلبت منا ، وعشنا كل عام تبعث الذكرى دموع
بدلا من أن نعيد الدار ركنا للخنوع !

* * *

عادت الذكرى لنحييها وتمضي كالاخر
وها نحن نعيش العمر دوما للتباكي ، للذكر
تذرف الدمع على القدس ويافا ، لا ندر
قرية الا وقلنا في ضحاياها درر

* * *

عادت الذكرى ، وما زلنا نغني لغد
لغد ننسجه حلما ، ونبنيه منى من عسجد
واراضينا غدت سوقا سخي المورد
تاجر يعرضها بيد ، ودخيل يشترينا بيد
واذا ما عادت الذكرى نغني للغد !
وخطاب ثائر النبرة مشبوب الوريد
فنحييه وننسى انه يشترينا
بالخطاب الثائر المحموم ؛ صنع المعتدي

* * *

عادت الذكرى ، وما زلنا كاعوام
لم يزل كالامس في موطننا ذئب واغنام

* * *

اخوتي ، لا ، تقولوا سنعود
وربانا ، وقرانا كلها ترزح في ثقل القيود
لا تقولوها وفي ارجائنا تلمس اسلاك الحدود .

* * *

اخوتي ، لا ، لا تغنوا لاغاني العائدين
لا تغنوها وفينا من يبيع اللاجئين
رددوها يوم تغدو ارضنا ملك الملايين
يوم يغدو شعبنا في وحدة كبرى ابية
رددوها ، ، رددوها يوم تكون ..
شعبنا يحكمه ابناؤه ، يوم تكون
امة واحدة تبعث فيها ثورة الذل الكمين
رددوا اذ ذاك « انا عائدون » (1)

ارايتم كيف يملي الفكر حين يملي بمبعدة عن تأثيرات العاطفة ودغدغاتها ، وكيف يكون وقعه شديدا في أعمق اعماق النفوس وقدرته عجيبة على اثارتها واقناعها وحشد جهودها .

اما شاعرنا مصطفى المعداوي – يرحمه الله – فقد غنى الوطنية والكفاح والمعركة في شعره ، وترك لنا قصائد تصور كل ذلك ، غنية بالصدق ، طافحة بالمعاناة ، جياشة بالتهاب الاحاسيس وثورة المشاعر؛ غير اننا لا نعثر بين صفحات ديوانه على قصيدة من تلك القصائد خاصة لفلسطين ، وليس معنى هذا انه لم يكن يحس بجرح هذا الوطن المنكوب في حناياه ؛ انه ، وهو في غمرة التغني ببطولات ثورة المغرب والجزائر ، لا ينسى فلسطين الحبيبة وكل شبر مغتصب منها ، فاستمعوا اليه وهو يخاطب الجامعة العربية في اجتماعها الذي عقدته بالدار البيضاء :

* * *

يا ايها النسر الجموح
انا لن اغادر معقلي حتى تهب بشارتك
وتمد لي ريش الجناح الناعم
انا لن اغادر معقلي حتى تعود
ويعود لي شرف الحياة
بموطني ارض الجزائر
وبأرض « يافا » الطيبة
وبكل شبر مغتصب (2)

– يتبع –

تطوان – حسن الوراكلي

---

1) محمد علي الهواري ، « صامدون » – شعر – مطبعة دار النشر المغربية – الدار البيضاء .
2) انظر ديوان المعداوي ، قصيدة « اغنية للنسر العربي » ص 37 .



للأستاذ محمد المنتصر الريسوني

- 13 -

عصـــر الموحديـــن :

كنا فيما سلف من الحديث قد بينا المنهج المعتمد فى كتابة هذا البحث وهو انه سنمضـــي مع التطورات السياسية التي شهدتها الاندلس ، والدول التي تعاقبت عليها ، ورغم ذلك فانني وجدت نفسي مضطرا الى ان اضرب صفحا عن ذكر عصر المرابطين ما دامت المادة الادبية النسوية لم تتوفـر لـدي .

ولا يفهم من هذا ان هـــذا العصـــر ـ عصـــر المرابطين ـ كان عصر جمود وركود كما يحلو لبعض المؤرخين عربا ومستشرقين أن يصفوه ـ بالعكس فانه كان امتدادا لدويلات الطوائف فى كثير من المظاهـــر ، وهناك فى هذا الصدد اكثر من دليل يقطع دابر الشكوك لـمن يزيف الحقائق ، وكتب تاريخ الادب شاهدة ناطقة على ذلك .

بعد ان خرقت دولة المرابطين فى المغرب وانهـار الصرح المؤثل الذي شيده البطل يوسف ابن تاشفيـن ظهرت على مسرح السياسة دولة جديدة اقام اركانهـا المهدي بن تومرت وتسلم منه فيما بعد مقاليد الحكـم عبد المؤمن بن علي الذي جاز الى الاندلس فاتحا .

وفي ظلال هذه الدولة المغربية تفيأ الادب والشعر وازدهرت الحكمة والفلسفة وتعددت مواهب العلماء والادباء ذلك لاننا لا نعدم ان نجد جماعات مختصة في علم من العلوم او فن من الفنون ، وبعبارة اخرى فاننـا لا نتعب فى البحث عن العدد الضخم من الرجال المثلين للثقافة والفكر فى كل مجال من المجالات كاسرة ابن زهر فى الطب وابن البيطار فى النبات وفي الرياضيات احمد بن عبد الرحمن البطروجي وفي النحو عمر بن محمـد المعروف بالشلوبين وفي التاريخ ابن الابار وفي الفلسفة ابن طفيل وابن رشد وفي الادب والشعر اسماء العامرية والشلبية وحفصة الركونية اللواتي هن مسك ختـام هذا البحث ، وابو جعفر بن سعيد وميمون بن خبارة ويحيى بن مجبـــر .

وعلى الجملة فقد بلغت الحيـــاة الفكرية شأوا بعيدا فى كل مظهر من مظاهر النشاط المعرفي ، وليس يرجع ذلك فى حقيقة الامر الا لـما كان يغدقه رجـال الدولة من عطايا على رجال الفكر ، وما يضفون عليهـم من تشجيع حبا فى العلم ، وشغفا بالثقافة ، وليـس ادل على ذلك من ولع يوسف بن عبد المؤمـن بجمع الكتب حتى اجتمع لديه منها ما يقارب العدد الضخم الـذي حوته مكتبة الحكم المستنصر بالله الاموي الشهيـرة ، وفي المعجب (1) للمراكشي قصة لطيفة شيقة فى هذا الموضوع تكشف عن تعلق هذا الخليفة العظيم بالعلـم فليراجعها من اراد الاطلاع عليها .

ونضيف الى ذلك ان يعقوب بن يوسف المعروف بالمنصور اجتمع لديه مـن الشعراء عدد كبير ، وذلك عند رجوعه من غزوة الارك يهنئونه بالفوز المبين حتـى انه لم يتمكن لكل شاعر من انشاد قصيدته كلها .

ورغم كل ذلك فان الاتجاهات الادبية ظلت كمـا كانت من قبل اذ لم يتميز هذا العصر عن بقية العصور

1) انظر ص 238 ـ 239 تحقيق وتعليق الاستاذين محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي .

الاخرى بميزة ادبية جديدة ، فالفنون الشعرية من مدح وغزل ورثاء لم يعتورها تغيير يعد شيئا طريفا كل الطرافة بغض النظر عما قد تلقحت به هذه الفنون الشعرية المعروفة فى الادب العربي عموما من الجمال فى التعبير ، والثراء فى التجربة ، والخصوبة فى الخيال، والتصوير للبيئة الاندلسية وحياتها المترفة الناعمة ، وعالمها المثير العجيب ، ودنياها الزاهرة المشرقة .

اسماء العامرية :

اديبة فصيحة ظريفة لها اشعار جميلة ، وهي من مدينة اشبيلية بعثت الى الخليفة عبد المؤمن بن علي رسالة تعرفه فيها بنسبها العامري وتسأله أن يسقط الانزال عن دارها وما اعتقل من مالها ثم كتبت فى خاتمتها قصيدة قالت فى أولها :

عرفنا النصر والفتح المبين
لسيدنا امير المؤمنينا
اذا كان الحديث عن المعالي
رايت حديثكم فينا شجونا

وبعد ذلك تقول :

رويتم علمه فعلمتموه
وصنتم عهده فغدا مصونا

الشلبية :

شاعرة رقيقة لم يقف المؤرخون على اسمها ، عرفت بالشلبية نسبة الى بلدها شلب (1) ، وهي من شواعرها الصادحات فى القرن السادس الهجري ، كتبت يوما شعرا ترسم فيه ما تعانيه من ظلم والي مدينتها ، وما يتغلغل فى مسارب قلبها من احزان نلمسها فى ثنايا الفاظه التي تتصاعد منها انسيابات وجدانية تدل على غنى التجربة الصادقة الناضجة ، وقيل بانها القت بهذا الشعر على مصلى الخليفة يعقوب المنصور ولما انتهى من الصلاة قراه فامر لها بصلة وانصفها .

اذن فلننصت الى لحنها الباكي الشاكي حتى نقاسمها شجنها :

قد آن ان تبكي العيون الآبية
ولقد ارى أن الحجارة باكية
يا قاصد المصر الذي يرجى به
ان قدر الرحمن رفع كراهية
ناد الامير اذا وقفت ببابه
يا راعيا ان الرعية فانية
ارسلتها هملا ولا مرعى لها
وتركتها نهب السباع العادية
شلب كلا شلب وكانت جنة
فأعادها الطاعون نارا حامية
حاقوا وما خافوا عقوبة ربهم
والله لاتخفى عليه خافية

حفصة بنت الحاج الركونية :

منهل عذب ، ندي النفحات ثر النسمات ، غني بكل رائق لطيف ، عذبة الحديث والمساجلة ، تنظم الشعر من غير حشمة ، لانها تترجم صورة العصر الذي عاشت فيه ، وهي من بشرات (2) Alpujarras عاشت فى القرن السادس الهجري ، وتعتبر استاذة الشواعر فى اوانها ، لكونها تملك قدرة شعرية هائلة .

ومن اعمالها الشعرية هذه الابيات تحدثنا فيها عن هواها فى وله المشتاق :

ازورك ام تزور فان قلبي
الى ما تشتهي ابدا يميل
فثغري مورد عذب زلال
وفرع ذؤابتي ظل ظليل
وقد املت ان تظما وتضحى
اذا وافى اليك بي المقيل
فعجل بالجواب فما جميل
اباؤك عن بثينة يا جميل

---

1) شلب بكسر أوله وسكون ثانيه وآخره باء موحده هكذا سمعت من اهل الاندلس يتلفظون بها ، وقد وجدت بخط بعض ادبائها شلب بفتح الشين وهي مدينة بغربي الاندلس بينها وبين باجة ثلاثة ايام وهي غربي قرطبة . انظر معجم البلدان المجلد 3 ص 357 باب الشين واللام وما يليهما ــ دار صادر 1957 .

2) هو اقليم جبلي وعر فى الجنوب الاسباني بين سيرانبدا Siera Nevada والبحر الابيض ، وفي وديانه ومنحدراته تزرع الكروم ، وتوجد فيه المراعي الكثيرة . وقديما كان اقليما مشهورا بالتهريب وسكانه اليوم من ارومة عربية يشتغلون بالزراعة ، وهذا الاقليم كان مسرحا للثورات الكثيرة ايام الحكم العربي ، وقد استقل مرتين عن امراء قرطبة فأصبح له حاكم خاص . انظر دائرة المعارف الاسبانية Monitor ج 1 ص 246

لقد قرات ولا شك هذه الابيات ، يا من يهوى الحديث عن القلوب العطشى الى مورد الحب — واعجبت بهذه الهمسات العذاب ، وتيقنت بعد تذوقك لها انها بوح جميل يتسلل عذبا لطيفا الى القلوب . تحمله الجراة الفائرة ، وسكرة الحب ، وحرقة الجوى، ويشكل الحانا تتناغم تناغما يبرز دلال المراة في صورة رضية رخية .

والابيات كما لا يخفى تذكرنا بجمالها وروعتها بأبيات سلمى بنت القراطيسي وهي من اهل بغداد ، ذلك لان صلة رحم تجمع بين هاتين الشاعرتين الا وهي نزوة الدلال وهزة الافتخار بالجمال تقول فيها :

عيون مها الصريم فداء عيني
واجياد الظباء فداء جيدي
ازين بالعقود وان نحري
لازين للعقود من العقود
ولا اشكو من الاوصاب ثقلا
وتشكو قامتي ثقل النهود

وشاعرتنا كما مر بنا منذ حين ترسم ريشتها تجربتها المعاشة من غير ان يحول الوقار دون التعبير عنها فانصت اليها لتقف على الحقيقة بنفسك :

ثنائي على تلك الثنايا لانني
اقول على علم وانطق عن خبر
وانصفها لا اكذب الله انني
رشفت بها ريقا ارق من الخمر

ثم يستبد الهوى بشاعرتنا ، وتعصف بجوانحها الغيرة فتقول مختلجة الاعماق :

اغار عليك من عيني رقيبي
ومنك ومن زمانك والمكان
ولو اني خبأتك في عيوني
الى يوم القيامة ما كفاني

وبين يدي امير المؤمنين عبد المومن بن علي ارتجلت هذه الابيات الثلاثة تسترفده وتشير في عجز البيت الاخير الى العلامة السلطانية عند الموحدين حينذاك التي كان يكتبها السلطان بيده بخط ضخم على راس المنشور ، وهي « الحمد لله وحده » :

يا سيد الناس يا من
يؤمل الناس رفده
امنن علي بطرس
يكون للدهر عدة
تخط يمناك فيه
« الحمد لله وحده »

وحفصة هذه الشاعرة الحسناء كانت لها مكانة ادبية مرموقة في الاندلس ولا سيما في غرناطة مما جعلها ولادة عصرها من غير منازع ، ولذلك ولع بادبها كل من هام بالكلمة الجميلة ، فهذه امراة من شريفات غرناطة تسالها ان تبعث اليها تذكارا تخطه بيدها فكتبت اليها :

يا ربة الحسن بل يا ربة الكرم
غضي جفونك عما خطه قلمي
تصفحيه بلحظ الود منعمة
لا تحفلي بردئي الخط والكلم

تطوان — محمد المنتصر الريسوني



للاستاذ : عبد القادر زمامه

121 ـ فذهبا مصطلحين ..!!

في ترجمة القاضي عبد الله بن محمود من السلوة ج 3 ص 160

ـ كان يوما جالسا في مجلس القضاء ، فأتاه الطائر المعروف ببلارج ، فجعل يومىء اليه بمنقاره ..! فقال رضي الله عنه : اذهبوا الى فلان واتوني به ... فلما اتى الرجل ... قال له : مالك ولهذا الطائر ..؟ فانه جاء يشكوك ويقول انك طردته من مكانه .. فقال الرجل : انه ياتي بما يخيف اولادي من الحنوش ونحوها ..! فقال القاضي : من سبق منكما للدار ..؟ فقال رب الدار : الطائر .. سبق .. فقال : انت دخلت عليه .. ! وقال للطائر لا تات بما يخيف أولاده ..! فأشار بمنقاره ان نعم ..! وامر صاحب الدار ان لا يشوش عليه ..! فذهبا مصطلحين .. !

122 ـ يتكلم على ـ العمدة ـ بمسجد الكويشة !

ذكر ابن القاضي في « الدرة » في ترجمة يحيى الدكالي .. ان الحاج ابا عبد الله بن عبد الواحد ... وهو من تلاميذ الرحالة المحدث ابن رشيد الفهري ..

ـ كان يتكلم على « العمدة » بمسجد الكويشة من داخل فاس من ناحية قنطرة بورس .. فكان يتكلم بالعجب العجاب .

123 ـ مختصر ابن الحاجب في مسجد العقبة الزرقاء

وذكر ابن القاضي في « الدرة » في ترجمة محمد بن احمد بن مجبر المساري

ـ وكان يستظهر مختصر ابن الحاجب الفقهي وكان يقوم به احسن قيام ... يتكلم عليه في مسجد الشرفاء من فاس وفي مسجد العقبة الزرقاء التي بازاء داره والسقاية التي هناك . توفي سنة 984 هـ .

124 ـ الحرب بين الثور والاسد

وجدت هذين البيتين منسوبين لابي عبد الله ابن جزي المتوفى بفاس سنة 758 هـ ..

قالهما حينما اطل السلطان ابو عنان المريني من برج يشاهد الحرب بين الثور والاسد ... على ماجرت عادة الملوك ..

لله يوم بدار الملك مر به
من العجائب ما لم يجر في خلدي
لاح الخليفة في برج العلا قمرا
يشاهد الحرب بين الثور والاسد

125 ـ تمنت أن يكون فتاها ..!

في نفح الطيب ج 3 ص 124 من الطبعة الازهرية.. عند ذكر فوائد جده ابي عبد الله المقري ..

ـ لما قدم ابو العباس ابن الغماز من بلنسية نزل بجاية فجلس بها في الشهود مع عبد الحق بن ربيع فجاء عبد الحق يوما وعليه برنس ابيض وقد حسنت شارته وكملت هيئته فلما نظر اليه ابن الغماز انشده :

لبس البرنس الفقيه فباها
ورأى انه المليح فتاها

لـو زليخـا راتـه حين تبـدى
لتمنتـه ان يكـون فتـاهـا .!

126 ـ شمس الضواحي ...

وجدت في ديوان سيدي الفاطمي الصقلي هذه القصيدة اللطيفة :

اتلك شمس الضواحي
مشرقة بالنواحي
ام ذاك وجه حبيبي
اعني أمير الملاح
من سلب اللب مني
وبان فيه افتضاحي
وهجره زاد وجدا
مع البكا والنواحي
يا هل تراه يصلني
اذ ليس لي من براح
ذو الاعين الفاترات
المرهفات الوقاح
مورد الوجنات
والثغر شبه الاقاح
حلو التبسم احوى
والريق شهد براح
رقيق انف وخصر
عظيم ردف رداح
قامت قيامة صب
بقامة للرماح
حسن وصف وفعل
واسم غزير السماح
قد كمل الحسن فيه
فهو شمس الضواح

127 ـ من الطراز الاول

وجدت في كناشة الشاعر الاديب سيدي محمد الابراري هذين البيتين وقد نسبهما بقوله :

« هذان البيتان لصاحبنا الفقه الاديب المرحوم السيد العربي ابن حميدة الشركي »

انـي من القوم الذين اذا هووا
لا يسألون عن ـ السواد ـ المقبل
ولديهم ان العذار اذا بدا
مما يعد من الطراز الاول

128 ـ يكتب احسن من هذا .. !
ويقضي احسن من هذا .. !

حكي أن القاض المليلي وابا محمد عبد المهيمن الحضرمي صاحب العلامة للسلطان ابى الحسن المريني حضرا مجلس السلطان فجرى ذكر الفقيه ابن عبد الرزاق ..

فقال المليلي : جمع من الفنون كذا .. ! حتى وضع يده على ابى محمد عبد المهيمن وقال مخاطبا السلطان :

ويكتب لك احسن من ذا .... ! !

فوضع عبد المهيمن يده على المليلي وقال :

نعم .. ! يامولاي .. ! ويقضي لك احسن من ذا .. !

نفح الطيب ج 3 ص 243 من الطبعة الازهرية

129 ـ ويترك للذباب ... !

في كتاب قضاة قرطبة للخشني ص 86 في ترجمة القاضي معاذ بن عثمان الشعباني :

ـ سمعت من يحكي : انه كانت معه صحة وسلامة قلب .. فكان لايظن باحد شرا . وكان قد ولي احباسه بقرطبة .. رجلا ظن به خيرا .. فخالف ظنه فيه .. ! فقال في ذلك الغزال :

يقول لي القاضي معاذ مشاورا
وولى امرا ـ فيما يرى ـ من ذوي الفضل
فديتك ، ماذا تحسب المرء صانعا ؟
فقلت : وماذا يصنع الدب بالنحل ؟
يدق خلاياها .! وياكل شهدها .!
ويترك للذباب ما كان من فضل ..!

130 ـ ما يحصل لك من الخلافة سواه ..!!

وجدت في (مرآة الزمان) لسبط ابن الجوزي في القسم الثاني من الجزء الثامن ص 465

نقلا عن الشيخ الصالح الفاضل ابى العباس بن ماسيف المقربي اللواتي ..؟.. في اخبار يعقوب المنصور الموحدي ....

ـ فمن ذلك انه قدم بلدة فاس ، رجل شريف وكان فاضلا لطيفا ، وكان يعظ بصوت طيب ، فجلس بها فمال الناس اليه ، وارادوا ان يبايعوه ...! وبلغ خبره الى يعقوب ... فكتب اليه كتابا يقول : قد بلغنا قدومك البلاد ، ووصول بركتك الى اهلها ...!!

ونحن نسالك ان تقدم الينا لناخذ حظنا منك .. كما اخذ اهل البلاد حظهم ..!! وبعث اليه بعشرة آلاف دينار ... فخاف الشريف ! واجتمع اليه اهل البلاد، وقالوا : متى وقعت في يده قتلك ..! فاظهر العصيان.. ونحن واهل الجبال معك ..! فقال الشريف : معاذ الله ان اكون سببا لاراقة الدماء ..! ولكني اسير اليه واستعين بالله عليه .. !

وبلغ يعقوب قوله .. فلما قرب من مراكش، خرج يعقوب واستقبله وانزله معه في قصره، وحمل اليه المال والتحف، واجلسه يسمع كلامه ...

واتفق عبور يعقوب للقاء الفونش ... ومن عادتهم يوم المصاف ان يصلي الخليفة بالناس الفجر .. ويركب معه خمسة آلاف من القراء .....! ! ملبسين الدروع ..! حاملين الاسلحة ..! فيقراون سبعا من القرءان..! ويدعو الخليفة .. ولا يدعو غيره.. وكان له طبال اسمه حماد ... مقدم الطبالين، وخلفه مائة كوس ....! وليس في العسكر من له طبل سوى الخليفة ..! فاذا فرغ من الدعاء بعد القراءة قال: حماد ...!! قال : لبيك ..

فيقول اضرب الطبل ... ! فيدق الكوسات وتحمل العساكر ...

هاتان الخصلتان .. لايشارك الخليفة فيهما احد ... ! الدعاء .. وقوله : ياحماد اضرب الطبل ... !

فلما كان في هذا اليوم الذي التقى فيه يعقوب.. صلى الخليفة بالناس .. وركب، وركب الشريف عن يمينه . ولما فرغ من قراءة السبع، التفت الى الشريف، فقال : ياشريف ادع .. ! فقال الله ! الله ! يا امير المومنين .. العفو .. هذه وظيفة امير المومنين .. فقال : لابد .. فما امكنه مخالفته .. خوفا منه .. فمد يده ودعا . وعجب الناس .. !! ولما فرغ من الدعاء قال له : يا شريف .. قل لحماد: يضرب الطبل .. فقال : العفو يا امير المومنين ..! فقال : لابد .. فقال : ياحماد : اضرب الطبل .. فضرب .. وحملوا .. ثم التفت الى الشريف وقال:

ياشريف ان كان خطر ببالك انك تحكم في البلاد! واطاعتك اهل فاس والجبال في هذا الامر ..! ورأيت مناما ..! فهو هذا الذي رايت ...!

« ما يحصل لك من الخلافة سواه ..! »
فنزل وقبل الارض ..! وكسر الله الفونش ..!

131 ـ سنسمه على الخرطوم .. !

في كتاب آثار البلاد واخبار العباد للقزويني ص 169

« واهلها (تاهرت) موصوفون بالحمق حكي انه رفع الى قاضيهم جناية فما وجدها في كتاب الله فجمع الفقهاء والمشايخ فقالوا جميعا : الرأي للقاضي ..! فقال القاضي : انى ارى ان اضرب المصحف بعضه ببعض ثم افتحه فما خرج عملنا به ! فقالوا : وفقت افعل ..! ففعل ذلك فخرج ... سنسمه على الخرطوم .. فجدع انفه .. !

132 آمن غائلتهم بالليل والنهار .. !

في كتاب آثار البلاد واخبار العباد للقزويني ص 94 من طبعة بيروت :

« وقد بنى عبد الله المهدي جد خلفاء مصر الى جانب (زويلة) مدينة اخرى سماها (المهدية) بينهما غلوة سهم . كان يسكن هو واهله بالمهدية .. واسكن العامة في زويلة .. وكانت دكاكينهم واموالهم بالمهدية.. وبزويلة مساكنهم .. فكانوا يدخلون بالنهار زويلة للمعيشة . ويخرجون بالليل الى اهليهم .

فقيل للمهدي : ان رعيتك في هذا في عناء ..!

فقال : لكن انا في راحة ..! لاني بالليل افرق بينهم وبين اموالهم ..! وبالنهار افرق بينهم وبين اهليهم ، فآمن غائلتهم بالليل والنهار .. ! »

133 ـ المفروش .. !

لما وصف القزويني في كتابه آثار البلاد مدينة فاس ص 102 ختم وصفه بهذين السطرين ....

« وعليها داخل المدينة ستمائة رحى ..! ولها قهندز (حصن) في ارفع موضع منها ويسقيها نهر يسمى: المفروش ! ! »

فاس ـ عبد القادر زمامة



لم تصدق . عندما صاح بها باكيا : انا احمد ايتها الراهبة .

كان القتال شديدا فى الخارج .

ونظرت اليه من كوة باب الكنيسة . انها الراهبة ماري تيريز . لم تعرفه . ولكنها فتحت له الباب . انه اعزل من السلاح .

وعندما دخل ، كان اسود ، بالي الثياب ، يبدو عليه الارهاق . وكان الدم يغسل بعض جوانب جسده.

وما ان اغلقت الراهبة ماري تيريز الباب ، حتى ارتمى احمد الى الارض وراح فى نوبة من البكاء الشديد .

عرفته للتو .

انه احمد الذي يعتني بحديقة الكنيسة . يمر عليها فى الاسبوع مرتين . وهو يعمل ايضا بائعا جوالا للورد. وادركت ان الحرب قد فعلت به ما فعلت .. كانت الطائرات فى الخارج تقصف الحي الاسلامي . وكان طرف القدس الشمالي يشتعل كما لو انه كومة من الورق الجاف .

ورسمت ماري تيريز شارة الصليب على صدرها ثم انحنت نحو احمد هامسة :

— قم احمد .. ماذا يمكنني ان اقدم لك من مساعدة ..؟

كان الشاب يهتز . وكانت دموعه تمسح الهباب الاسود من فوق خديه . فلقد بدا كانه خرج للتو من حريق هائل .

وصرخ

— اولادي يا ام .. اولادي وزوجتي فى البيت .. لقد ذهبت لاحصل لهم على بعض الخبز .. وفكرت بكم .. لكن قنبلة سقطت على بيت وانا فى طريقي اليكم . فاضطررت ان اشارك فى الانقاذ . الا ان قنبلة ثانية سقطت ولم ينج سواي .. وكما ترين حالتي .. ولكن اريد الان خبزا .. واريد العودة الى بيتي .

نادت الراهبة على الاب بول . وما ان تقدم الاب الكهل . حتى صاحت ماري تيريز :

— انه احمد .. احمد الذي يعتني بحديقتنا .

ودهش الاب . هو ايضا لم يعرفه . ثم تقدم منه، ووضع يده تحت ابطه ورفعه حتى وقف الشاب على قدميه ، وكانت يداه محروقتين فيما كان الدم ينزف من جنبه الايمن .

قال الاب بول :

— احمد بحاجة الى اسعاف ايتها الاخت .. خذيه الى الداخل .

لكن احمد صاح :

— يا ابت .. اولادي وزوجتي هناك .. انهم جياع .

قال الاب بول موجها حديثه الى الراهبة :

— انا اعرف بيت احمد .. خذيه الى الطبيب ليسعفه .. اما انا فسأذهب الى منزله مع آخرين للعودة بأولاده وزوجته .

وفيما كان الاب ينادي على راهبين آخرين .. قادت الراهبة ماري تيريز احمد الى الداخل حيث تم تحويل قاعة الكنيسة الى مستشفى لاستقبال الجرحى.

وخرج الاب بول وتبعه الاثنان .

كان القتال شديدا في شوارع القدس ، وكانت الطائرات الاسرائيلية ما زالت تهبط لتهدم بقنابلها الحي الاسلامي . الا ان الاب بول ورفيقيه استمروا في التقدم.

اعترضتهم دورية اسرائيلية .. صاح احد جنودها بالعبرية :

— الى اين انت ذاهب ايها السيد ؟

لكن الاب بول لم يجب .. وعاد الجندي مرة اخرى صائحا :

— انك تتجه الى الموت .. ان هذا الطريق لن يؤدي بك الى غير الخراب لقد هدمنا كل شيء .

الا ان الاب بول ظل مستمرا في المسير .

ووصل اخيرا الى منزل احمد .. انه يقع قريبا من الجدار الشائك الذي كان يفصل بين طرفي القدس. فاذا به قد تهدم تماما .. ودخل الاب فوق الانقاض باحثا عن الاطفال وامهم وعثر اخيرا على اكبرهم الذي لم يتجاوز العاشرة . كان محترقا .. ولكنه ما زال حيا .. حمله احد الراهبين . فصرخ الطفل . ثم صمت .. وبعد بحث مضن لم يعثر الرهبان الثلاثة الا على الزوجة .. انها مبتورة الاطراف .. لكنها ما زالت حية . اخذ الاب بول الطفل.. ثم طلب من الراهبين حمل جثة المراة . كانت ما تزال تئن . ومضى الجميع مسرعين نحو الكنيسة .

بعد جهد وصلوا لتستقبلهم الراهبة ماري تيريز. ثم صاحت :

— اين البقية ..؟
— اننا لم نجد سوى الام وهذا الطفل .
— هل هما حيان ؟

قال الاب بحزن عميق :

— ان الطفل قد مات .

وتقدم به نحو الراهبة .

— انظري .. كم هو جميل .

واحتضنت الراهبة الطفل الميت .. ثم وضعت اذنها على صدره وارهفت السمع .. همست بعد ذلك :

— ان كل شيء ساكن فيه .. يا الله .. ما أجمله .

وكان الراهبان الاخران قد تقدما بجثة الام الى الداخل .. كان الدم ينزف من كل مكان في جسدها .

قالت الراهبة مخاطبة الاب :

— ماذا انت فاعل ..؟

لم يجب الاب بول للحظات ، ثم قال :

— لا ادري .. ولكن من الواجب ان يعلم أحمد اننا وجدنا بيته مهدما فوق اطفاله ..

واننا لم نجد الطفلين الاخرين .. له على ما اظن ثلاثة اطفال .. اليس كذلك .

قالت الراهبة :

— هذا ما أعرفه .

قال الاب بول :

— اين هو الان ؟

— انه في الداخل .. لقد اسعفوه ، ولكنه ما زال يهذي يريد ان يرى اطفاله .. زوجته انه يريد العودة الى البيت .. زوجته هل ستعيش ..؟

— لا اظن .. انها مصابة اصابات بالغة .. لقد بترت يدها وقدمها . الم تلاحظي ذلك ؟

دفنت الراهبة وجهها بين راحتيها ، وراحت تجهش بالبكاء ، ثم صاحت :

— يا للوحوش .. الان ادركت كيف سلبوا هذه الارض من اصحابها ؟

ربت الاب بول على كتف الراهبة الشابة ، ثم همس :

— تعالى الى الداخل .

في الداخل ، كان بعض الرهبان يرتلون ، فيما كان طبيب عربي يبذل جهده مع ممرضين اثنين لانقاذ الجرحى .. لكن رائحة الموت اختلطت بالتراتيل، وكذلك الرصاص والقنابل والطائرات كان كل شيء هناك يوحي بالرعب والاشمئزاز .

اقترب الاب بول من الطبيب وهمس وهو يشير الى زوجة احمد :

— هل ستعيش .. هذه المرأة ؟

قال الطبيب بصوت متعب :

— لقد وصلت ميتة .

رسم الاب بول علامة الصليب باتجاه المرأة الميتة، ودمدم ببضع كلمات ، ثم قال :

— انها زوجة احمد .. كذلك لدينا احد اطفاله .. انظر ما الذي يجب ان نفعله ؟

قال الطبيب :

— يجب ان تأخذوهما الى مقبرة المسلمين دون ان يعلم احد .. هناك ادفنوهما .

قال الاب بول :

— لا بأس .. سوف نفعل ذلك فورا .

وفي المقبرة كان هناك رجال عديدون يحفرون القبور ... وكانت القوافل التي تحمل الموتى كثيرة وكان ثمة شيخ يصلي للاموات .

وضعت جثة السيدة والطفل بالقرب من احدى الحفر .

وكانت كلمات : الله اكبر .. تتردد فوق جثث القتلى .

وتوجه الاب بول الى الكنيسة مع مساعديه .

وعندما دخلوا بابها الكبير ، صاحت بهم الراهبة ماري تيريز :

— ان احمد يسأل عنكم .. انه يريد اولاده .. يريد زوجته .. لقد قلت له : انكم لم تعودوا بعد .. لكنه ما زال يهذي بأشياء لم افهمها .

قال الاب بول :

— ستكون صدمته قاسية ..

ودخل .. وهو لا يدري ماذا سيقول لاحمد .

وما ان رآه الشاب حتى اسرع اليه صائحا :

— هل انقذت اولادي يا ابت .. هل اتيت بهم .. اين سلمى ..

لم يجب الراهب للوهلة الاولى . وعندما الح الشاب قال :

— لم استطع ان اهتدي الى بيتك ..

وهنا حاول احمد الافلات الى خارج الكنيسة ، ولكن سرعان ما ردته أكثر من يد . وقال له الاب بول :

— انك ستقتل لو ذهبت الى هناك .. لقد تعرضت انا للقتل ، « ابق هنا » ريثما ينتهي القتال .. نذهب معا.

اخذت الدموع تسيل من عيني احمد .. ثم همس :

— لا استطيع يا سيدي .. لا استطيع .. ان الاولاد جياع ، اريد ان اذهب لهم ببعض الخبز ليسدوا رمقهم، لاشك ان البيت لم يصبه اذى ..

❊

في اليوم التالي اختفى احمد من الكنيسة ، وعرف الجميع انه عاد الى بيته .. وتألموا كثيرا .. لانهم ادركوا كم ستكون الصدمة شديدة عندما يجد بيته كتلة من الدمار .

كان بعض الجرحى قد ماتوا ايضا ، وكان على الاب بول ان يساعد في حملهم الى المقبرة . وهناك ، لفتت نظره جثة ملقاة ، سرعان ما عرف صاحبها ، يا الله .. انه احمد . واقترب الاب بول منها . انه احمد بعينه ، وكان صدره منتفخا .. فمد الاب بول يده ليلمس الصدر .. فاصطدمت بشيء طري .. سرعان ما عرف ان ثمة شيئا يخبئه احمد .. وكشف الاب طرف القميص ليجد رغيفين من الخبز الذي يصنع للكنيسة .. وادرك الراهب ان احمد كان يسعى بالخبز الى اهله .. فهبطت من عينيه دمعتان ، ثم اقترب من الشيخ وقال مشيرا نحو الجثة :

— لقد جئتكم يوم أمس بزوجة وطفل هذا الرجل.. ودفنتموهما في هذه الحفرة .

أرجو سيدي ان تدفنوه الى جانب زوجته وولده.. وارجو أيضا أن تدفنوا معه رغيفي الخبز اللذين يحملهما .. لقد كان ساعيا بهما الى أسرته .. ولا شك انه قتل على الطريق .. ووجد من يحمل جثته الى هذه المقبرة .

كان الشيخ يستمع الى الاب مبهوتا .. ثم ردد : لا حول ولا قوة الا بالله ..سننفذ وصيتك يا سيدي .. شكرا .

وفيما كان الاب بول يجر خطاه خارج المقبرة .. كانت الصلاة تتلى على جسد احمد بينما كان صدره يحتضن رغيفين كبيرين من الخبز .

دمشق : ياسين رفاعية



مؤلفان عن تاريخ المغرب

للأستاذ محمد العربي الخطابي

هل توجد لدينا دراسة كاملة شاملة عن تاريخ المغرب موضوعة بطريقة تحترم المنهج العلمي وتنهج الاسلوب الجديد في كتابة التاريخ الذي يعني اكثر ما يعني بالانسان في حياته الاجتماعية والاقتصادية ، وصلاته الثقافية والحضارية ؟

هل نتوفر على عدة كاملة من المصادر القديمة والحديثة والدراسات الانتربولوجية والاثرية التي من شانها ان تهدي الباحث وتنير امامه الطريق لاستخلاص معلومات ، اقرب ما تكون الى الحقيقة ، عن مختلف العصور ، وخصوصا عن عهد ما قبل التاريخ ومرحلة انتشار الاسلام ، وعن اصول السكان الاولين ؟

وهل قامت في المغرب حضارة اصيلة واضحة المعالم وذات خصائص تميزها ، أم ان هذه البلاد كانت مجرد ملتقى او مفترق طرق لحضارات اتت اليه من الشرق او من شمال البحر الابيض المتوسط ؟

هل يمكننا ان نكتب تاريخ المغرب « الاقصى » منفردا عن تاريخ المغرب « الكبير » رغم ما نعرفه من ارتباطات جغرافية وتاريخية وبشرية وثقافية قد لا يحسن تجزئتها ؟

متى بدا عصر التاريخ في المغرب ، هل انبثق مع مجيء الفينيقيين الذين اقتبسوا الكتابة عن المصريين وغيرهم وبسطوها باكتشاف ابجدية نقلوها معهم في تجوالهم عبر اقطار حوض البحر الابيض المتوسط ، أم ان عصر التاريخ لا يبدا في المغرب الا مع مجيء المسلمين ؟

هل كان المغرب منفتحا على اوربا ام ان وجهته كانت دائما نحو ابواب الصحراء في الطريق الى جنوب غربي افريقيا ؟

هذه الاسئلة وغيرها كثيرا ما تجول في ذهني حينما اسمع او اقرا شيئا جديدا عن تاريخ المغرب ، واقول « جديدا » بالمعنى الزمني لا الموضوعي .

اطلعت اخيرا على كتابين صدرا في السنة الماضية عن تاريخ المغرب ، وضع احدهما اساتذة مغاربة وفرنسيين ، واشترك في تاليف الآخر ثلاثة اساتذة مصريين .

1 ــ تاريخ المغرب (1)

وضع هذا الكتاب ، باللغة الفرنسية ، ليكون في متناول المعلمين ، ويهدف مؤلفوه الى تقديم « رؤيا تاريخية متجددة » تنظر من زاوية وطنية وتعتمد بقدر الامكان على المصادر العربية ، وتفيد من الاشغال الحديثة والاكتشافات التي توصل اليها الباحثون منذ عشرين سنة ، كما تأخذ بالنظرة الجديدة التي تجعل

(1) Histoire du Maroc, par Jean Brignon - Abdelaziz Amine (عبد العزيز امين) Brahim Boutaleb (ابراهيم بوطالب) Guy Martinet - Bernard Rosenberg, avec la collaboration de Michel Terrasse, 1967.

المؤرخين يعنون بالحركات الحضارية والتيارات الاقتصادية والمبادلات الفكرية والفنية اكثر من العناية بالتاريخ السياسي والدول الحاكمة ـ كما جاء في تصدير الكتاب ـ

والحقيقة ان المؤلفين انتهجوا في وضع هذا الكتاب تقسيما مبتكرا يتفق مع المنهج الذي اختاروه . يختص الفصل الاول من الكتاب بحقبة « ما قبل الاسلام » ، وهو تحت عناوين ثلاثة :

- ما قبل التاريخ
- بداية التاريخ
- العصر الروماني

نبدا جولتنا في الكتاب بعصر ما قبل التاريخ ، وسرعان ما ترتسم امامنا علامات استفهام كثيرة رغم المصادر العامة والخاصة التي رجع اليها المؤلفون والتي لها صلة بهذه المرحلة التاريخية الهامة .

واذا كان المؤلفون امناء في ابراز الثغرات العديدة التي لا حيلة لهم في سدها ، لان ما يعرف عن عصر ما قبل التاريخ قليل تطغى عليه الاحتمالات والتخمينات التي يستنتجها الباحثون المختصون ، فالذي يظهر هو ان الكتاب اسرف بعض الشيء في اضفاء طابع الغموض على فترة ما قبل التاريخ ورجح بعض الفرضيات التي لا يقوم عليها دليل . ومن جراء ذلك اصبح من الصعب على القاريء ان يتبين المراحل والوقائع التاريخية بالوضوح المطلوب ، بل لقد ازدادت الامور غموضا امامنا .

انـنا ، مثلا ، لانتبين وجه الشبه او الاختلاف بين خصائص مرحلة ما قبل التاريخ في كل من المغرب واوربا ، ما دام المؤلفون قد عنوا بالاشارة الى ذلك في بدء الكلام عن عصر ما قبل التاريخ . ونقرا ان التطور الذي حدث في العهد الحجري الجديد بالمغرب يبدو انه لم يكن محليا وتلقائيا بل انه ورد من الخارج . ولا يقدم لنا الكتاب دليلا على هذا القول ، ولو انه يخبرنا بتشابه الخزف المغربي (الذي عثر عليه في مغاور اشقار وفي دار السلطان) بالخزف الاسباني المعاصر له . وهذا ، بطبيعة الحال ، ليس دليلا كافيا .

ونصل الى عصر المعادن فنجد نفس الحيرة حينما ينقل الينا الكتاب شكوكا تنفي قيام مرحلة البرونز في المغرب ، مع انه لاينكر وجود ادوات من البرونز ، ولكنه يتساءل : هل هذه الادوات مستوردة ام انها مصنوعة في المغرب بأيد غير مغربية ؟ وكيف دخلت الى المغرب : عن طريق التجارة ام الاغارة ؟ ولا يقدم لنا الكتاب اية اجابة ، ربما لعدم توفر معلومات مضبوطة عن ذلك .

ومن المرجح انه ليس هناك ما ينفي قيام مراحل ما قبل التاريخ بكيفية تلقائية في المغرب حتى مع تسليمنا بحدوث بعض التاثيرات الخارجية الآتية بوجه خاص من الشرق الادنى ، ثم من شمال حوض البحر الابيض المتوسط .

ومما لاشك فيه ان الصور والرموز العديدة المحفورة على الصخر والتي اكتشفت في بعض جهات المغرب ستمدنا ـ حينما تتم دراستها دراسة كافية ـ بمعلومات اوفر عن عصر هام من عناصر الانتقال التاريخي في المغرب . والى ان تتقدم الدراسات الانثروبولوجية والاثرية خطوات اكثر فانه لا يصح للمؤرخ ان يمضي مع التخمينات .

هذا ، ولا نكاد نتبين في الكتاب الذي نتحدث عنه بزوغ عصر التاريخ في المغرب ، الذي يبدا بظهور الكتابة . فهو لا يبدا في معظم المغرب ـ حسب الكتاب ـ الا في القرن السابع الميلادي ، اي مع الفتح الاسلامي ، مع انه بدا في بعض الاقاليم ، مع الفينيقيين والبونيين . ونظرا لقلة النصوص التي بين ايدينا وما يحيط بالكتابات البونية القليلة المكتشفة فاننا نميل الى ترجيح هذا الراي ، وهو ان عصر التاريخ في المغرب قد بزغ مع الفتح الاسلامي ، بالنسبة لمعظم اجزاء البلاد . وتبقى علامات الاستفهام قائمة في ادمغتنا .

ولا نعرف من هذا الكتاب اي شيء عن الليبيين ، اسلاف البربر ، ولا عن لغتهم ، فالكتابات التي وصلت الينا معظمها من المعميات . والذي اظهرته الدراسات الانثروبولوجية هو تنوع سكان شمال افريقيا من حيث الخصائص البدنية . والظاهر ان الكتاب قد احتاط في الاخذ بالاقوال المعروفة عن اصل سكان المغرب ، ومن بينها قول ابن خلدون ، ولا نجد في هذا الكتاب كذلك فكرة واضحة عن مجيء الفينيقيين ومدى تاثيرهم . ويتحدث باقتضاب عن الممالك الموريطانية التي افادت من ثقافة القرطاجنيين وحضارتهم ، ويشير الى ان هذه الممالك كانت خاضعة لروما وانها بدونها لم تكن قادرة على ان تكون شيئا مذكورا . ونحن نرتاب في هذا الراي ، ونرى ان المصالح كانت متبادلة بين هذه الممالك وروما . وحتى حينما اغتال كاليفولا ، الامبراطور الروماني الاحمق ، الامير بطليموس نجل جوبا الثاني ، فانه لم يكن من السهل على روما ان

تستحوذ على مملكته ، وقد لقيت دون ذلك مقاومة شديدة من السكان المغاربة لم تنقطع في جهات عديدة من البلاد ، بحيث ان وجود روما في المغرب ظل منحصرا في مناطق محدودة ساحلية في الغالب .

ولا يشبع الكتاب فضولنا حينما يتحدث باقتضاب شديد عن الملك المغربي ، جوبا الثاني المثقف الولوع بالفنون ، الذي تزوج من ابنة كليوباطرا من انطونيو ، والذي تشبع بالثقافتين الهلينية والرومانية ، فضلا عن الثقافة البونية ، والمعروف ان جوبا الثاني قد وضع كتبا عديدة كان في الامكان ان تمدنا بمعلومات عن البلاد في عصره ، ولكن الزمن اتلفها مع الاسف .

يتحدث القسم الثالث من الفصل الاول عن العهد الروماني ،، فيعلن ان الحضارة الرومانية معروفة لدينا معرفة احسن بفضل البحوث الاثرية والنصوص التي وصلتنا . واحب ان الاحظ هنا ان مواقع الاقدام الرومانية في المغرب قد لقيت عناية اكثر من غيرها من حيث الحفريات والبحوث الاثرية .

تحدث القسم الثالث بشيء من التوسع عن اقليم موريطانية الطنجية ، وكانت عاصمته «تينجيس»، فاستعرض الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفنية ، واشار الى بعض المعالم التي تدل على ان المسيحية كانت منتشرة في هذا الاقليم، ويختم هذا الفصل بعرض موجز عن الوندال والبيزنطيين

ثم ياتي الفصل الثاني من الكتاب بعنوان « انتشار الاسلام » ، وهو مقسم كما يلي :

ـ الفتح الاسلامي (اخضاع شمال افريقيا ، انتشار الاسلام وتنظيم الفتح ، ثورة الخوارج)

ـ الادارسة (نشأة المملكة الادريسية ، مآثر ادريس الاول وادريس الثاني وتأسيس فاس ، الامارات الادريسية)

ـ من الادارسة الى المرابطين (صراع الامويين والفاطميين في المغرب ، الحياة الاقتصادية في مطلع القرن الخامس الهجري ، البربر والاسلام)

ويبدا الحديث عن الفتح الاسلامي بالقول : ان معرفتنا بهذا العهد « سيئة للغاية » ، ويعيد علينا قولا يحلو لبعض المؤرخين الاوربيين ترديده حينما يريدون ان يصفوا هذا العصر « بالقرون المظلمة » ، ومن هؤلاء المؤرخين «كوتييه» (2) والسؤال الذي يحير هؤلاء ـ وقد ردده هذا الكتاب الذي نعلق عليه ـ هو: كيف انتشر الاسلام في المغرب ؟

ونظرا لاهمية الموضوع ، ولكون المجال لا يتسع لتفصيل الكلام في هذا الموضوع الهام ، فانني اكتفي الآن بالقول : ان هذا الفصل من الكتاب الذي بين ايدينا ، هو اضعف فصوله ، رغم اهميته ، وخاصة ما يتصل منه بمرحلة الفتح وانتشار الاسلام . وقد وقد التمس المؤرخ « لوتورنو » ، في مقال نشره للتعريف بهذا الكتاب (3) ، التمس العذر للمؤلفين قائلا ان الوثائق المكتوبة عن المرحلة الواقعة بين بداية القرن الثامن الى نهاية القرن الحادي عشر ، فقيرة جدا

وملاحظة لا احب ان تفوتني في هذا الباب ، جاء في الفصل الذي نتحدث عنه تحت عنوان : « البربر والاسلام » او « العالم البربري والاسلام » ـ ان اردنا ترجمة حرفية ـ : « في بداية القرن الخامس الهجري (11 م) غدا انتشار الاسلام امرا مكتسبا . الا ان المجتمع البربري حافظ على معظم صلاته الاصلية . فاطار الحياة العادي هو القبيلة . والاسرة الابوية هي الخلية الاساسية في الحياة الاجتماعية . تتالف القبيلة من عدة اسر ترتبط بجد مشترك ، حقيقي او اسطوري، وينتمي الفرد الى مجموعة تحددها روابط الدم . وهذا يفسر الاهمية القصوى التي كانت توليها نصوص ذلك العهد للانساب . الاسرة تحت سلطة الاب ، والسلف ، والقبيلة يسيرها جمع من رؤساء الاسر . . » وملاحظتي تنصب على هذا الربط الغريب بين انتشار الاسلام وتغلغله في جميع انحاء المغرب وبين محافظة « البربر » على عاداتهم الاجتماعية . فانتشار الاسلام الاسلام يعني انتشار عقيدة وتشريع ، وما دامت عادات المغاربة في عهد انتشار الاسلام وتقاليدهم الاجتماعية غير متعارضة مع جوهر الدين الاسلامي ، فانه لا مجال للتفكير في ازالتها . وعلى كل حال فان الربط بين الامرين وفي معرض الكلام عن انتشار الاسلام قد يوحي بأن سكان المغرب لم يتقبلوا الاسلام الا بالكيفية التي تتلاءم مع عوائدهم ، وهذا غير صحيح بالمرة ، وهو امر لا يحسن وروده في كتاب معد لمدارسنا .

---

2) Gauthier E.F.

3) R. Le Tourneau, « Le Monde », 29 mars 1968.

يتناول الفصل الثالث من الكتاب « الممالك المغربية الكبرى » تحت العناوين الآتية :

— الامبراطورية المرابطية (أصل المرابطين وظهورهم ، نفوذ المرابطين ، حضارة المرابطين)

— ابن تومرت والاصلاح الموحدي (المهدي ابن تومرت ، مذهب التوحيد ، مجتمع الموحدين)

— الفتوح الموحدية (عبد المؤمن وفتح المغرب والاندلس ، فتح المغرب الاوسط وافريقيا ، نتائج ومستقبل الفتوحات على عهد خلفاء عبد المؤمن)

— الحضارة الموحدية (الحياة الاقتصادية ، الحياة الفكرية والدينية ، الحياة الفنية : فنون الموحدين)

— من الموحدين الى المرينيين (نهاية الموحدين وتجزئة المغرب ، بداية المرينيين ، مشاكل الملوك المرينيين الاولين)

— اوج المرينيين (سياستهم ، الاقتصاد والمجتمع، الفنون)

— نهاية المرينيين وبنو وطاس (انحطاط الدولة المرينية ، سقوط المرينيين ، صعوبات بني وطاس)

ويأتي الفصل الرابع ليتحدث عن « ردود الفعل تجاه التوسع الاوربي » :

— المشاكل الجديدة في القرن السادس عشر (السكان والحياة الاقتصادية ، المشاكل الخارجية . الحياة الاجتماعية والدينية والفكرية)

— من بني وطاس الى السعديين (أصل السعديين وظهورهم ، معركة وادي المخازن ومداها ، عهد احمد المنصور)

— نهاية السعديين (انحطاط السعديين ، المحاولات الطرقية والاقليمية ، نشاط القراصنة)

— ظهور العلويين والمولى اسماعيل (تكوين الدولة العلوية وتقويتها ، المغرب تحت حكم مولاي اسمعيل ، الحياة الاقتصادية والعلاقات الخارجية)

— 1727 — 1822 ، قرن من المتاعب والتردد (الثورات ، العودة الى الهدوء ، الصعوبات الجديدة) .

— المشاكل الاقتصادية والحياة الدبلوماسية من 1727 الى 1822 (الاقتصاد التقليدي ، التجارة البحرية ، العلاقات بأوربا ، سياسة الابهة في الشرق)

ويختص الفصل الاخير من الكتاب « بالمغرب المعاصر » :

— التوغل الاوربي في القرن التاسع عشر .

— التطور الداخلي بالمغرب في القرن التاسع عشر (التحولات الاقتصادية ، التحولات الاجتماعية والسياسية ، جهود المخزن)

— نحو الحماية — الازمة المغربية (الازمة الداخلية، الازمة الدبلوماسية)

— اقرار الحماية (فتح البلاد ، مؤسسات الحماية، الاسس المالية والتقنية)

— الاستعمار ونتائجه (الاستعمار القروي ، المؤسسات المعدنية والصناعية والتجارية ، العواقب)

— المعارضة الوطنية والاستقلال (المقاومة المسلحة ، المعارضة السياسية ، النضال الحاسم)

* * *

وبعد فان كتاب « تاريخ المغرب » هذا عمل قيم ومجهود يشكر عليه مؤلفوه ، وهو مؤلف حسن الاخراج والتنسيق ، موضح بالصور والخرائط والرسوم البيانية عن مختلف العصور ، مذيلة فصوله واقسامه بقراءات جيدة الانتقاء من مصادر عربية وأجنبية . وهو كتاب جدير بالمزيد من الدرس والتمحيص ، خاصة وان مؤلفيه قد فتحوا صدورهم للملاحظات والتعاليق المنهجية ، وهو ايضا جدير بنقله الى اللغة العربية ، بعد تنقيح بعض الآراء والاحكام التي وردت فيه .

* * *

2 — كتاب « تاريخ المغرب الكبير » (4)

اشترك في تأليف هذا الكتاب ثلاثة من الاساتذة الجامعيين من الجمهورية العربية المتحدة ، سبق لاثنين منهم ان اشتغلا بالتدريس في جامعة محمد الخامس

(4) « تاريخ المغرب الكبير ، من اقدم العصور حتى الوقت الحاضر » تأليف : دكتور رشيد الناضوري ، دكتور السيد عبد العزيز سالم ، دكتور جلال يحيى . القاهرة .

بالرباط . ويقع الكتاب في اربعة مجلدات من نحو 2 600 صفحة . يختص المجلد الاول بالعصور القديمة واسسها التاريخية والحضارية ، فيدرس عصور ما قبل التاريخ بمراحلها المختلفة ، وعصر التاريخ وعهود الفينيقيين والقرطاجنيين والرومان . ويعنى المجلد الثاني بالعصر الاسلامي ، ويبدأ بعرض عن الوندال والبيزنطيين ، ثم يعرض لفتح المغرب وحكمه في عهد الامويين والعباسيين ، وينتقل بعد ذلك الى الكلام عن المغرب في ظل المرابطين والموحدين ، وينتهي بخاتمة عن دول بني مرين في المغرب الاقصى ، وبني عبد الواد في المغرب الاوسط ، وبني حفص في المغرب الادنى .

اما المجلد الثالث فهو خاص « بالعصور الحديثة وهجوم الاستعمار » بينما يعنى المجلد الرابع « بالفترة المعاصرة وحركات التحرير والاستقلال » .

ويعنى الكتاب ، كما يدل عليه اسمه ، بتاريخ اقطار المغرب الاربعة : ليبيا ، وتونس ، والجزائر والمغرب ، من النواحي السياسية والاجتماعية والحضارية . وهو مزدان بالخرائط والرسوم الايضاحية الكثيرة ، ومدعم بدراسات عن مراجع تاريخ المغرب .

واذا كنت لم اتمكن لحد الآن من قراءة هذا المؤلف الضخم قراءة تمحيص وتمعن ، فانني اكاد اجزم بان مؤلفيه الفضلاء قد اخذوا على انفسهم ابراز وحدة اقطار المغرب العضوية ، رغم التقلبات التاريخية والسياسية التي عرفتها ؛ هذا من جهة ؛ ومن جهة ثانية ، عنوا باظهار الصلات التاريخية بين المشرق والمغرب منذ اقدم العصور . قرات هذا في مقدمة الكتاب ، وتبينته خلال جولتي مع المؤلفين في العصور القديمة في محاولتهم ، مثلا ، لايجاد صلة بين الرسوم والرموز التي وجدت منقوشة على صخور الهضاب والجبال في المغرب ، وبين الصور والرموز الفرعونية القديمة .

وانني اذا الفت نظر الاساتذة والباحثين في المغرب الى هذا المؤلف النفيس عن تاريخ المغرب الكبير الذي صرف فيه اساتذة متخصصون جهودا كبيرة ، ورجعوا في تاليفه الى عدد كبير من المراجع الهامة ، العربية والاجنبية ، كما استانسوا بالبحوث والاستكشافات الاثرية الحديثة ، فانني ارى الفرصة مواتية في هذا المقام لاعلن رايا طالما جال في ذهني وترددت في اعلانه قبل ان يختمر ، وهذا الراي هو ان تاريخ المغرب باقطاره الاربعة والاطراف التي يراد لها ان تقتطع منه في جنوبه وشماله ، ان هذا التاريخ يكون جزءا لا يتجزا بسواحله وجباله وصحاريه ، هذه الصحاري التي لم تلق من الباحثين الا اقل القليل من العناية رغم اهميتها . وانه لمن الصعوبة بمكان ان نجزيء تاريخ المغرب الكبير ، وان ندرس كل جزء منه على حدة ، لان هذه التجزئة تخالف منطق الاشياء وحقيقة التاريخ . وانا اشير هنا ، بصفة خاصة ، الى التآليف التي توضع لتكون في يد المعلمين والتلاميذ والطلاب ؛ فعسى ان تتالف لجنة من الباحثين في نطاق هذه اللجان العاملة لتوحيد اقتصاديات المغرب العربي وتنسيق جهوده التربوية والثقافية ، لوضع مؤلف نموذجي شامل لتاريخ المغرب العربي الكبير يكون مرجع الباحثين والاساتذة والطلاب وعامة القراء .

الرباط — محمد العربي الخطابي



شعراء تحت منظار التحليل النفسي

للأستاذ ربيع مبارك

يحلو للبعض ان يعطي للتحليل النفسي سواء للمدرسة الفرويدية او غيرها كل الاهمية ، في التعرف على باطن الشخص ، والكشف عن مجاهله ، ولكن البعض الاخر يحلو له ان يدعي أن موجة الانتصار للتحليل النفسي لم تكن الا من قبيل « الموضة » في وقت من الاوقات ، وانها لا تزال كذلك عند من يعتمدونها عمليا على قلتهم . وبذلك يردون ما حصل عليه التحليل النفسي من حظوة ، الى روعة الجديد فحسب ، روعة سرعان ما يذهب بها الزمان ، ولكن اذا كان هذا الاختلاف البين يوضع على الصعيد العلمي العملي التطبيقي ، فهل هو كذلك على الصعيد الادبي والفني ؟ لا احد ينكر أن مدرسة التحليل النفسي فتحت آفاقا جميلة في دنيا الادب والفن ، ولكن باعتبار ان الادب والفن ، او على الاصح النظرة اليهما من خلال منظار التحليل النفسي ، يجعلنا نرى في ميدان الادب والفن ، مجرد مجال للتطبيق كالمجال العلمي العملي ، سواء بسواء . فالذين يحاولون ان ينظروا الى الانتاج الفني والادبي ، نظرة تحليلية ، انما هم في الحقيقة يطبقون مبادىء وطرق مدرسة التحليل النفسي ، ترى ما قيمة هذا التطبيق ؟ وماذا يثير من خلاف ؟ .

بما ان المسألة مسألة تطبيق فالخلاف هنا لا يقل عنه هناك . بل ان الخلاف في دنيا الادب والفن قد تتسع هوته ، ويتفاقم امره ، خاصة عندما نعلم ان التطبيق هنا يتعدى الاحياء لينصب على الاموات ، وهو بالطبع لا ينصب عليهم مباشرة في جلسات « اكلينكية » كالامر بالنسبة للاحياء ، وانما يحاول ان يستشف النفسيات من خلال آثار اصحابها الذين بعد بهم العهد . فالامر هنا من الصعوبة بمكان عظيم ، ولهذا لا نعجب اذا نشب الخلاف بين الدارسين للادباء والفنانين بمنهجية التحليل النفسي وبين غيرهم . ولا انسى هنا ان اشير الى المناقشات التي دارت حول محاولة تطبيق هذه الطريقة على بعض الشعراء العرب كابي نواس ، حيث يمكن ان ينظر الى « حالة الشذوذ» عنده بمنظار « النكوص » او العقد والمركبات وغيرها من مفاهيم التحليل النفسي ...

ولعل مما يقوي الشبهات ضد قيمة التحليل النفسي في مثل هذه الاحوال ، انه على الرغم من تطبيقاته ونتائجها ، حتى في المجال العلمي العملي ، يعتبر في مستوى « الفرض L'hypothèse » ليس الا . فهو ليس قانونا ولا نظرية علمية ، ورجال الادب والفن والناقدون منهم خاصة يعلمون هذه الحقيقة ولكن ذلك لم يثنهم عن ركوب التحليل النفسي ، فخرجوا بدراسات شيقة طريفة ، ان لم تقدم لنا الحقيقة ، ذلك المطلب العسير ، فهي تقدم ابداعا من نوع جديد ، وتطلعنا على عالم من الادغال عجيب ، لا تخلو وحشته من اغراء ومتعة .

ومن الدراسات التي ظهرت حديثا ، ما كتبه « Pierre Boisdeffre » بمناسبة الذكرى المئوية لوفاة الشاعر الفرنسي شارل بودلير (1) وقد صدر الكاتب

(1 La revue des Deux Mondes - 1er décembre 1967

هذه الدراسة بعبارة بودليرية وردت في احدى رسائل الشاعر الى امه يقول فيها : « اعتقد ان حياتي قدرت للشقاء منذ البدء ، وكذلك تظل » (2) .

واذا كان التحليل النفسي ، يجد المجال الخصب في الشخصيات المعقدة ، والتي تظهر بمظهر الشذوذ في الحياة الخاصة والعامة ، فبودلير يقدم ذلك على اوضح صورة ، واجلى مثال . ومن هنا يطلعنا الكاتب على جوانب من شخصية هذا الشاعر ، تكون مباشرة، مدخلا لفهم انتاجه . فقد عرف بودلير اين اهل عصره بالفقر ، ولكن فيما يبدو فان الفقر وحده لم يكن العامل الوحيد في بؤس الشاعر ، وخاصة اذا ما تأملنا الجملة التي صدر بها الكاتب هذه الدراسة ، فهي توضح ان بودلير كان يعاني شعورا باطنيا بالشقاء ، وكانت رهبة الهلاك تملأه ، فبؤسه اذن كان باطنيا ، ولعلة نفسية اكثر مما كان لعامل محيط وحيد كالفقر . ولم يكن مظهر الغرابة يفارق بودلير لا في سلوكه فحسب مع الناس ، ولا في انتاجه الادبي ، « لقد عرف بودلير ككاتب مغرب ، يثير الشقاق والكراهية حوله ، مما جعل اصدقاءه يقلقون عليه » ، ولعل اكبر مظهر لهذه الغرابة في انتاج بودلير ، تسمية لديوانه « ازهار الشر » .

وتبدو معالم « العقدة » عند بودلير واضحة في بيئته الصغيرة ، اسرته . فقد رزق لابوين غير متكافئين عاطفيا ، وتفصلهما من حيث السن قرابة اربعة عقود . وبيت كهذا اذا اعتبر على ضوء التقاليد المجتمعية السائدة آنذاك في فرنسا ، تبين انه يكون ارضا خصبة ، لتأزيم العقد العاطفية ، فيحن توفر فيه استعداد لذلك . وتحتد الازمة على بودلير ، حين يتوفى والده وهو في السادسة عشرة من عمره . ولعل هذه الفترة التي اعقبت وفاة الوالد مباشرة أتاحت لبودلير ، ان يغرف بمقدار زائد ، من حنو الام الشابة وعطفها . واثر فيه ذلك ابلغ التأثير وهو الفتى المرهف الاحساس . ولكن ذلك لم يطل ، فما هي الا شهور حتى تبرم الام الشابة بحياة الترمل ، وتضيق بالوحدة والفراغ العاطفي ، فلا تنتصف السنة الثانية بعد وفاة زوجها ، حتى تفيء الى كنف زوج جديد . ان هذه الفترة القصيرة ، بين وفاة وزواج ، فترة تبلغ ثمانية عشر شهرا ، كانت بمثابة اللمسة الاخيرة ، التي تكتمل بها اللوحة الفنية ، انها ليست كل شيء ، ولا سبب كل شيء ، ولكنها كمال وتمام لكل شيء . ان هذا التقلب العاطفي ، بين طرفي التزايد والتناقص من مقاديره على بودلير ، من مزاحمة الوالد اولا ، ثم خلو مجال عاطفة الامومة للولد ثانيا بوفاة الوالد ، ثم دخول المزاحم الجديد ، بما له من مكانة في نفس الوالدة ؛ كل ذلك وافق أخطر مرحلة في نمو الكائن البشري وهي مرحلة المراهقة . ورسائل بودلير تسجل تأثير هذه المرحلة على نفسه ، اوضح التسجيل فهو يقول عن هذه الفترة التي خلت له فيها والدته ، وافاضت عليه ، من رقتها وعطفها ، قبل ان تتزوج : « ... نزهات طويلة ، وحنو متواصل . لقد كنت حيا فيك ، (مخاطبا امه) ولم تكوني الا لي وحدي .. »

وكان من تأثير هذه الفترة على حياة بودلير ، ان زواج أمه ما كاد يتم ، حتى تفاقمت حاله ، وانغمر في مصاحبة البوهيميين والمنحرفين ، وانغمس في حياة الكحول والتدخين ، وكل ما عرفه عصره ، ووصلت اليه يده من ضروب المخدرات ، ويعود ذلك بتأثير على صحة الشاعر وماله . ومما يسجل هنا ، ان الام وزوجها لم يكونا غافلين عن تدهور الابن . او على الاقل ان الزواج حاول ان يفعل كثيرا من الاشياء ، كان من الممكن ان يعطي ثمارا لصالح الابن ، لو كان هذا الابن شخصا آخر غير بودلير ، فقد حاول الزوج ان ينتزع موافقة بودلير على دخول مدرسة داخلية ، واستطاع الزوج ان يوصي به خيرا عند معارفه . ويدخل بودلير هناك حيث يقضي فترة ، لكنه سرعان ما يطرد لسلوكه الشاذ ... فهل يمكن تجديد المسؤولية هنا مسؤولية الانحراف ، او هل يمكن ان تكون ظاهرة « النكوص » الشاذة عند بودلير ، راجعة الى رد فعل، ضد موقف زوج امه منه ؟ ذلك ليس بعيدا ، بعد ما عرفنا مقدار تعلق بودلير بامه ، حرصه على ان ينال ، اكبر قسط من عطفها وحنانها .

ان علاقة زوج الام ببودلير لها اهمية بالغة في غرابة اطوار الشاعر ، لا لانها كانت بالضرورة علاقة صراع في الواقع ، او استعباد شخص لشخص ؛ بل للمظهر الذي كانت تتراءى به في وهم بودلير ، وتحت تأثير نفسه المعقدة . ومن خلال يوميات ورسائل بودلير يبدو ان هذه العلاقة ، كانت تبدو له في شكل صراع ، فهو يقول في احدى ما كتب : « ... انه لمن المستحيل علي ان اتصرف حسب ما يريد مني زوجها ان افعل ... » فمن المؤكد اذن ، سواء كان زوج الام

2) « Je crois que ma vie a été damnée dès le commencement, et qu'elle l'est pour toujours »

قاسيا متعجرفا ، او لم يكن ، من المؤكد ، ان بودلير ، لم ينظر الى العلاقة بينهما الا على اساس الصراع بين ارادتين . هل كان بودلير محقا في هذه الروعية ؟ الم يكن ما عبر عنه من ارادة الصراع ، انما هو « تبرير جدلي » ، نوع من الكذب على الذات ، وخداع النفس ؟ لقد كان لبودلير من ظروفه المحيطة ، وتكوينه النفسي ما يسمح بافتراض كل هذا ويدعو الى قبوله .

هذا جانب من الحياة العاطفية المنحرفة عند بودلير . اما الجانب الثاني فهو حبه . فلم يكن لشاعر مرهف مثله ان يفلت من قبضة الحب ، ولكن باعتبار الحالة النفسية المعقدة لهذا الرجل ، يمكن ان يتنبأ المرء لحياته العاطفية بالفشل . وهذا بالفعل ما وقع فقد احب احداهن وتسمى (جان ديفال) ، وهام بها ، لكنها كانت تعبث به ، ولم يكن له من مهرب الا الى المخدرات .

ويبدو الانحراف عند بودلير في خروجه على كل ضبط او نظام ، فهو عدو النظام كيفما كان هذا النظام ، وفي اي موضوع . عدو النظام في امور حياته المادية ، كما هو عدوه عندما يتعلق الامر بالاخلاق ، وأوامر العادات والتقاليد ، بل ربما كانت معارضة بودلير للنظام الاخلاقي اشد « فبقدر ما يذكر بالنظام الاخلاقي بقدر ما يثور » . ومظاهر انحرافه عن النظام الاجتماعي تبدو في تصرفه بالمال كما تبدو في موقفه من العمل . فقد كان بودلير يضاعف من ديونه ، ولم يكن ذلك لانه كان يعاني الحاجة دائما ، بل كان يستدين غالبا على سبيل التحدي ، والاستفزاز لغيره . اما حبه للعمل ، فينافي كل مفاهيم المجتمع عنه . فالعمل في عرف المجتمع ، وكما تحدده العادات والقوانين ، هو نوع من الحياة الرتيبة تفرض على صاحبها قضاء ساعات معينة من اليوم ، في انجاز نشاط ما . ولم يكن بودلير يعرف هذا او يطيقه ، حتى فيما يتصل بدراسته وبكتبه ، لم يكن ممن يتحملون تعريف العمل كما يحدده المجتمع والقانون ، لم يكن يطيق المكوث بين الكتب المدرسية ست ساعات او اكثر في اليوم ، يتنقل بين فصولها ، في صبر وجلد ، وانما كان يدين التأمل الذاتي ، والانطواء على نفسه الكئيبة يعتصر احزانها ، ويعزف من مرارات الحياة موسيقى خالدة . هذه الانطوائية هي القمة التي تركزت عندها انحرافات بودلير ، وهي التي ادت به الى ان يتعمق ذاته ويعبر عن تجربته تعبيرا تتساوق فيه الالفاظ والمعاني ، وتتضافر لتجلية واقعه الباطني المر ، بصورة فريدة ، ليس لها سابق ولا لاحق .

وككل منحرف وعبقري ، اذا راجعنا مواقف بودلير ، من الحياة والنظام وزوج امه ، وكل ظروفه المحيطة ، يمكننا ان نميز بين شخصيتين تصطرعان . احداهما شخصية الاتزان والسواء ، شخصية بودلير المحب لزوج أمه ، والمنظم ، المقبل على العمل . والثانية شخصية الثائر المنحرف ، شخصية التحدي والصراع الذي لا يعرف حدا ولا نهاية . شخصيتان تصطرعان تحاول كل منها ان تطفو الى سطح الاحداث ، وان تسيطر وتوجه السلوك العام لهذا الكائن القلق . وقليلا ما كانت تطفو شخصية الاتزان او تسيطر على السلوك العام لبودلير ، واذا حدث ذلك ففي لحظات قلائل . وتعبر رسائل بودلير ويومياته عن هذا التناقض فهو في حالات من الاتزان والتعقل يصف زوج أمه ب « أعز صديق » . وفي فترات اخرى يسجل : « ان كل خزعبلات المدنية تدخل علي الرعب ... » وفي هذه الحالات يهاجم النظام العام ، ورجال العصر بما فيهم من متزمتين ومتحررين وبما يروج بينهم من قيم الحياة ، والتقدم والفضيلة . فكل من ينطق بذلك في راي بودلير ، انما ينطق بغير المفهوم ، وبما لا معنى له . وتبدو حالات بودلير هذه ، بدراسة ديوانه الخالد « ازهار الشر » فهذا الديوان عند من ينظر اليه من زاوية التحليل النفسي يقدم « قاموسا بئيسا يحوي كل ما يدل على اعراض السوداء والمس Mélancolie et manie » وهذا قمة ما يصل اليه عدم التوافق ، وفقدان التوازن المجتمعي . ان كل القيم تبدو عند بودلير اعتباطية وتعسفية ، وتقييدا للفردية الثائرة .

ظلت هاتان الشخصيتان تتعارضان ، في صميم الشاعر ، ولكن هل ادى ذلك الى احداث انشقاق في انتاجه ، او هل احدث تفاوتا في شعره ؟ الواقع ان بودلير يحق كما قيل فيه : « اذا كان قد فقد حياته فقد انقذ انتاجه » ذلك ان الوحدة الفنية من اهم مميزات انتاج بودلير ، ولعل ذلك يرجع الى انه كان يصدر في شعره عن احدى الشخصيتين فحسب .

هذا مدخل الى دراسة بودلير عن طريق التحليل النفسي ، بيد ان لبودلير جانبا آخر هاما ، ربما كان اهم من هذه الصورة التي يمكن لما سبق ان يجعلنا نكونها عن بودلير . هذا الجانب الهام هو نظرية بودلير في الشعر وفي الفن عموما . والمقال لم يغفل هذا الجانب بل اعطاه حقه ، وربما كانت معالم هذا الجانب من شخصية بودلير تجعلنا نفهم بدرجة اكبر ، اتجاهه الشعري وخاصة في « أزهار الشر » .

نظريـــة الفـــن :

ومفهوم الفن عند بودلير يمكن ان يفهم بالمقارنة مع مفهوم العلم والاخلاق . فاذا كان هدف العلم هو ان يكشف عن الحقيقة او عن الواقع عندما يعتبر هذا الواقع غاية ما يمكن ان يكشف عنه العلم في تقدمه نحو الحقيقة . واذا كان هدف الاخلاق بمعناها النظري او العملي هو تحقيق الخير او فحصه ، واذا كان الخير الاخلاقي ينحل الى قيم الحق والعدالة ... فما هي القيم التي ينحل اليها الفن ؟ وما هو الهدف الذي يمكن ان يحدد الفن بالنسبة اليه ؟ الفن عند بودلير — والشعر فن — يخالف العلم والاخلاق . والاعتبار الوحيد في الفن عنده هو الاتساق . فاذا اتسق الفن واكتمل كان في غنى عما ينشده العلم ، وما تسعى اليه الاخلاق « ان اتساق العمل (الفني) يعوض عن كل مواضعات الاخلاق » فنحن هنا امام نظرية « الفن للفن » ولكن هل معنى هذا ان الفن لا فائدة منه ؟ لقد تعرض كثير من الادباء والنقاد الى هذه المشكلة . وكانت آراؤهم في ذلك جد مختلفة . ولا زالت المشكلة توضع على بساط البحث ، بكثير من الحدة بعد « عصر الالتزام » . ومن المواقف الشهيرة بصدد هذه المشكلة موقف « اوسكار وايلد » الانجليزي الذي اعلن « أن الفن غير مفيد » . ويجب ان نلاحظ هنا ان نظرية بودلير ، تلاقي في جوانب عدة نظرية وايلد . ولكننا اذا سألنا بودلير : هل للفن فائدة ؟ اجاب : نعم . فاذا اردفنا : ما وجه هذه الفائدة ؟ اجاب بودلير : فائدة الفن أن يكون فنا . ولماذا يكون الفن مفيدا ؟ « لانه الفن » فليس للفن قيمة خارجة عنه يسمى لتحقيقها كالعدالة او الحقيقة ... وانما هو غاية ذاته ، وغاية في ذاته . وهنا تقارب جدا مقياس النقد الفني يسير حسبه بودلير ، ويقيم الفن من زاويته . فما دام الفن غير مقيد بغاية او هدف ، وغير مرتبط بمنهج او طريقة . فالاولى به ان يكون من انتاج العاطفة ، لا العقل ، وأن يكون وليد الخيال ، لا نتيجة تحقيق واستدلال . فالفنان البودليري هو الذي ينطلق من قبضة الواقع ، وينفلت من ثقل الاوضاع المحيطة به . الفنان البودليري يسعى للانعتاق من الضجر والقلق ، وهو من أجل ذلك ينغمر في السكر الى ابعد الحدود ، حتى يغيب عن التعقل ويغيب عنه التعقل . « فكل شيء هنا — في هذا السكر المستمر — ... فلكي تنفلت من الاحساس المرعب بثقل الزمان على كاهلك ، والذي يظل يشدك الى الارض ، عليك أن تشرب ... »

وبالطبع ليس المهم ، هو اي نوع شرب او اية مادة ، بل المهم هو أن تتحقق الغيبوبة ، والانطلاق ، والتحرر ، اي ان تتأجج العاطفة المبدعة ، وينشط الخيال . وهذا يحتمل ان تكون انطلاقة الفنان ، وتأجج عاطفته ، ناتجة عن سكر معنوي بفكرة او مثال او اي شيء آخر ، ولهذا قلنا ليس المهم اي نوع تشرب . قد لا يوجد في حياة بودلير الواقعية ، ما يدعم هذا السكر المعنوي ، ولكن في اقواله ، وفي مفهومه للفن ، وفي اسس النقد التي يصطنعها ما يوضح ذلك ويدعمه .

ان مقياس النقد عند بودلير كان في تأجج العاطفة وانطلاق الخيال ، ولهذا كان قاسيا على معاصريه من الادباء ، شديد الوطاة عليهم . فلم يكن يعرف المجاملة ، او الصداقة في نقده الا صداقة الفن الخالص . وهو لم يخلص لاحد في حياته ، ولم يحترم احدا مثلما احترم الفن واخلص له . وفي اخلاصه هذا للفن كان سباقا ، الى ما انتبه اليه الادباء بعده بعشرات السنين ، كان سباقا ، الى ان لا يعتبر النموذج الفني الا ككل مكتمل . فرفض التفرقة بين الشكل والمضمون قبل بروست وابولنير . وكان يعمم هذا على اللوحة المرسومة كما على القصيدة الشعرية ، « فالتعبير عند الرسامين كتعبير الشعراء ، لا ينفصل عن موسيقى عميقة تمتزج بمضمومه » .

والطبيعة بالنسبة للشعراء او الرسامين ليست في اعتبار بودلير الا مادة خاما ، على كل منهم ان يخلق منها صورا جديدة بخياله ، وأن يبدع منها بقوة عاطفته : « فالطبيعة ليست الا قاموسا لغويا ، والرسامون الذين يسلسلون قيادهم للخيال ، يبحثون عما يوافق تصوراتهم ، اما الذين يفتقرون الى الخيال ، فانهم ينسخون القاموس بحذافيره وبذلك يقعون في الابتذال والاسفاف .. »

تلك هي بعض جوانب بودلير في حياته الواقعية والفنية . وقد لا يوافق الكثير على مبادئها ، وقد تبدو غير مناسبة لاسس الفن في منتصف القرن العشرين وبعده ، ولكن ذلك لا يفقد صاحبها قيمته الادبية ، لانها قيمة تستمد قوتها من الاخلاص للفن ، ومن العطاء الكريم النابع من اعماق الذات . وكفى بودلير تعبيرا عن اخلاصه ان يكون من آخر ما قاله : « ان بامكانك ان تحيا يوما بدون خبز ، اما بدون شعر فهذا غير ممكن ابدا » . ان بودلير بالطبع يعني بذلك الحياة الانسانية ، بابعادها الفنية ، الحياة كما فهمها هو ، وكما ساقها حياة شعر ، وشعر حياة .

الرباط : م . ربيع



* خصصت كتابة الدولة في الشبيبة والرياضة، عدة منح لتشجيع الشباب على القيام بدراسات وابحاث اقتصادية واجتماعية وثقافية وسياحية .

* عرفت مدينة القنيطرة في الاسابيع الاخيرة نشاطا ثقافيا وفنيا ملحوظا ، حيث ألقيت خلاله عدة محاضرات . وعرضت كذلك عدة مسرحيات .

* تسلم المكتب الدائم للتعريب 3571 دينار عراقي عن سنة 1964 من حكومة العراق هذا الى جانب المنحة التي قدمتها الحكومة العراقية لـ 28 طالبا مغربيا للدراسة في الجامعة العراقية على حسابها .

* نظم بمدينة مكناس مهرجان شعري حول فلسطين – كما جرت فيه توزيع الجوائز على الفائزين في المسابقة الشعرية في هذا الموضوع .

* نظمت الجمعية الفلسفية المغربية مناظرة قيمة بالرباط بمشاركة ممثلين عن الجزائر وتونس وليبيا .

* قام وفد المؤتمر الاسلامي الذي يتكون من السادة : أبي بكر القادري ، وعبد الكريم حجي ، وعبد اللطيف خالص ، بجولة عبر بعض الاقطار الافريقية .

* نشرت الصحيفة النسوية البارزية « ماري كلير » تحقيقا مصورا خصصته للحديث عن جمال المغرب خلال فصل الربيع .

* يصدر في هذا الشهر عن الدار التونسية للنشر كتاب بعنوان : « عندلة » للسيد محمد الصباغ ، وهو خاص بأدب الاطفال .

* احتفالا باليوم العالمي للمسرح ، نظمت كتابة الدولة في الشبيبة والرياضة ، شهرة بمسرح محمد الخامس ، عرضت خلالها فرقة المعمورة ، مسرحية « هاملت » .

* أصدرت « جمعية الفلسفة بالمغرب » مجلة جديدة بعنوان : « دراسات فلسفية وأدبية » ، للتعريف بالفلسفة والادب .

* ادخل على القاعة الوطنية للعرض (بستان الرواح – الرباط) اصلاحات فنية ، حافظت على معالمها التاريخية ، واضفت عليها حلة فنية تجعل منها ملتقى لمعارض الفن الرفيع بالعاصمة .

* احتفلت عدة اندية ، وجمعيات ثقافية بالمغرب بحلول فصل الربيع .

* اقيم في فاس مهرجان الموسيقى الاندلسية لدول المغرب العربي

* زار المغرب مؤخرا الاستاذ بويحي ، الاستاذ بالجامعة التونسية ، والقى عدة محاضرات في مختلف المدن المغربية ، وتدخل هذه الزيارة في اطار التبادل الثقافي بين المغرب وتونس .

* افتتح بمتحف البطحاء بفاس معرض فنون الحفر والكتابة الذي اقامته وزارة التربية ، وضم المعرض خمسين لوحة اعارتها اليونيسكو للمغرب .

* وفد على المغرب المستشرق الالماني الدكتور بول كونيتزس ، استاذ اللغة العربية في المانيا . وقد القى بكلية الآداب في اطار الموسم الثقافي محاضرة في موضوع « التراث العربي في اللغة الالمانية » .

* قدم الى المغرب وزير الشؤون الثقافية الدانماركي ، وعقد جلسة مع وزير التربية الوطنية . وقد اطلع الوزير الدانماركي على سير التعليم بالمغرب ، وبرنامج تنظيم اسبوع الثقافة فيه ، وقام بزيارة لمركز طب الاسنان ، ومعرض اشغال تلاميذ مدرسة الفنون الجميلة ، ومدرسة الفنون التقليدية بتطوان .

* زار تونس السيد احمد اليابوري ، الاستاذ بكلية الآداب بالرباط ، بدعوة من كلية الاداب التونسية لالقاء محاضرات حول الادب العربي هناك .

* شهدت مختلف المدن المغربية نشاطا ثقافيا كبيرا ، يتضمن القاء سلسلة من المحاضرات في شتى ميادين المعرفة ، وندوات ومناقشات فكرية حول قضايا الفكر العربي والاسلامي ، ويدخل هذا النشاط الفكري الهام في اطار الموسم الثقافي الذي نظمته كتابة الدولة في الشبيبة والرياضة .

* أقيم بمدينة مراكش المهرجان الوطني التاسع للفلكلور .

* شارك المغرب في معرض الصناعة التقليدية الذي اقيم بفلورنس .

* سيحضر في لندن مهندسون واخصائيون في المواصلات السلكية واللاسلكية يمثلون 51 بلدا ، من بينها : المغرب ، المناظرة الدولية حول المواصلات السلكية واللاسلكية عن طريق الاقمار الصناعية .

* حل بالمغرب الدكتور تشارلز ايدجير ، المدير العام المساعد للمنظمة الاممية لرعاية الطفولة ، والسيد جان غبير ، المدير المساعد للمكتب الاقليمي للمنظمة بأوربا ، وشمال افريقيا ، لدراسة البرامج التي تساهم فيها المنظمة الاممية لرعاية الطفولة .

* عقد بمدينة الدار البيضاء الدورة الرابعة لمؤتمر اطباء المغرب العربي ، تحت رعاية صاحب الجلالة الملك المعظم .

* اقامت جماعة من الفنانين المغاربة معرضا لرسومها في معرض « باب الرواح » بالرباط ، وذلك على شرف الفنان المغربي المرحوم « الشرقاوي » ، وكان لهذا المعرض صداه البعيد .

* صدرت طبعة ثانية من كتاب « من الكائن الى الشخص » للدكتور محمد عزيز الحبابي .

* عقد اجتماع بوزارة التربية الوطنية لتحضير الموسم الدراسي المقبل .

* شارك المغرب وفد في المؤتمر الافريقي الآسيوي الخاص بالتنمية القروية الذي عقد بعاصمة كوريا الجنوبية .

* نظمت كتابة الدولة في الشبيبة والرياضة حلقات دراسية تحت شعار « معرفة المغرب » ، وقد شارك في هذه الدراسات ستة وفود تضم 300 شاب. وقد انفرد كل وفد بدراسة ناحية من هذه النواحي .

كما نظمت نفس الكتابة ، ندوة دراسية في موضوع « المراهق في المجتمع »

* احتفلت مدينة طنجة بالذكرى الواحدة والعشرين لزيارة المغفور له محمد الخامس لهذه المدينة .

* نظم بالرباط المهرجان الوطني التاسع لمسرح الهواة ، شاركت فيه ست فرق اختيرت من مجموع ثمانين فرقة .

* بتاريخ 5 مارس نظمت « جمعية تاريخ المغرب » جولة دراسية آثارية ، زارت فيها بعض المواقع الاثرية المغربية

* احتفلت بعض منظمات الشبيبة المغربية بأسبوع الطفولة .

* بتاريخ 15 ابريل ، افتتح بالرباط الموسم الثقافي لسنة 1968 ، الذي نظمته كتابة الدولة في الشبيبة والرياضة في مختلف انحاء المغرب ، القيت فيه عدة محاضرات هامة ، كما تخللته سهرات فنية .

* شارك المغرب في مؤتمر الادباء العرب الذي عقد بالقاهرة بوفد يتركب من السيدين مبارك ربيع ، ومصطفى القباج .

※ دشن وزير التربية الوطنية الجزائرية خزانة جامعة الجزائر . وقد كلفت هذه الخزانة الجديدة التي تضم حوالي 1.300.000 كتاب ، مليارين ونصف مليار فرنك . وهي تخلف الخزانة التي احرقتها ايدي عصابات منظمة الجيش السري في يونيه 1962 .

※ صدر اخيرا عن الدار التونسية للنشر كتاب جديد للاستاذ محمد فاضل بن عاشور بعنوان: « موقف الدين من العلم والاخلاق »

※ تم نقل رفات المصلح التونسي خير الدين باشا من تركيا الى تونس ـ مسقط راسه .

※ « المختار في مراجع ليبيا » الجزء الاول . صدر هذا الكتاب مؤخرا في ليبيا ، وهو من تاليف الاستاذ مصطفى عبد الله .

※ صدر في تونس للاستاذ فاضل الجمالي ، الذي يشتغل استاذا في الجامعة التونسية ، كتاب بعنوان : « آفاق التربية الحديثة » ، كما صدر في تونس كتاب « تاريخ افريقيا والمغرب » للرقيق القيرواني من تحقيق وتقديم المنجي الكعبي .

※ نعت تونس الكاتب الاديب الاستاذ علي الخالدي ، الذي اشتهر بكتابته في جريدة « العمل » التونسية

※ يعكف الكاتب الليبي صادق النيهوم على تحرير رسالة الدكتوراه في جامعة هلسنكي في فنلندا عن ديوان الشاعر العراقي عبد الوهاب البياتي بعنوان « الذي يأتي ولا يأتي »

※ توفي في طرابلس بليبيا الشاعر الكبير احمد قنابة

※ اصدر معهد الآداب العربية بتونس عددا خاصا من مجلته الناطقة بالفرنسية عن « الادب والفن » في تونس ، واسم المجلة « ايبلا »

※ دشن السيد كاتب الدولة للشؤون الثقافية بتونس « نادي احباء الكتاب » الذي اسسته الدار التونسية للنشر

※ صدر العدد الاخير من مجلة « قصص » الدورية التي تصدرها الدار التونسية للنشر

※ اعلن في الجزائر اخيرا أن عدد سكانها حسب الاحصاء الاخير هو : 12.102.000 ، منهم 50,2 بالمائة من الرجال ، و 49,8 من النساء ، ولا يتجاوز 56 بالمائة من السكان العشرين سنة . ويقدر عدد الاميين عند الشباب الذين لايتجاوز عمرهم العشر سنوات بنسبة 74 بالمائة ، وتبلغ نسبة العاملين 23,4 بالمائة من مجموع السكان

※ نعت بيروت الدكتور نبيه امين فارس ، استاذ التاريخ العربي ، ورئيس هيئة الدراسات العربية في الجامعة الاميركية ، ومؤلف مجموعة كبيرة من الكتب باللغتين العربية والانجليزية ، اهمها « العرب الاحياء » و « غيوم عربية » و « هذا العالم العربي » كما نقل الى اللغة الانجليزية « احياء علوم الدين » للغزالي

※ كما نعت سوريا الاستاذ لطفي الحفار ، احد رؤساء الوزارة السابقين في سوريا

※ قرر المجمع العلمي العراقي ترجمة « المعلمة الاسلامية » من الانجليزية الى العربية

※ صدر في هذه الايام في بغداد كتاب « محاضرات في تاريخ صدر الاسلام والدولة الاموية » للدكتور عبد الله فياض .

※ انهت مجلة « المعرفة » التي تصدرها وزارة الثقافة والارشاد بدمشق ، سنتها السادسة .

※ « المذاهب الادبية الكبرى في فرنسا » لمؤلفه فان تيغيم ، نقله الى العربية فريد انطونيوس ، وصدر في منشورات « عويدات » بيروت ، كما صدر عن نفس الدار ، كتاب « مذكرات الحرب » الجزء الاول الذي قام بترجمته الى العربية عبد اللطيف شرارة .

※ صدر في العراق الجزء الاول من موسوعة « مخطوطة كربلاء » لمؤلفه سلمان هادي .

※ كما صدر في العراق كتاب « مالك بن نويرة » للشيخ محمد حسن آل ياسين .

❊ ترجم في بلغراد ديوان « اشعار في المنفى » للشاعر العراقي عبد الوهاب البياتي . وقام بترجمته الى اللغة اليوغسلافية المستشرق رادي بوزوفيتش .

❊ « من نفحات الحرم » مجموعة شعرية صدرت للشاعر ضياء الدين الصابوني .

❊ صدرت في هذا الاسبوع في القاهرة مجموعة قصص قصيرة للقاص المصري عبد الحليم عبد الله .

❊ قدم للطبع الاستاذ المنصوري ابراهيم ستيت مجموعة قصصية بعنوان « العالم يهز ذيله » .

❊ عن دار اليمامة في الرياض ، يصدر كتاب بعنوان « ابو علي الهجري وابحاثه في تحديد المواضع » ، كما سيصدر له عن نفس الدار كتاب: « ابن عربي ، موطد الحكم الاموي في نجد » وكلاهما من تاليف الشيخ حمد الجاسر .

❊ اصدر الاستاذ علي حافظ كتاب « فصول من تاريخ المدينة المنورة »

❊ اعد الشاعر السوري لؤي فؤاد الاسعد ديوانه « غرفة في الجدار المقابل » للطبع .

❊ « الصبح القريب » و « الله والطاغوت » و « اللؤلؤ المكنون » ثلاثة دواوين شعرية للشاعر الحلبي محمد عزيل ؛ تصدر قريبا .

❊ « موسوعة العتبات المقدسة » هذا الكتاب صدر مؤخرا في بغداد لمؤلفه جعفر الخليلي .

❊ صدر عن دار الكتاب الجديد في بيروت الكتب الآتية : « فضائل الاندلس واهلها لابن حزم وابن سعيد والشقندي » نشره وقدم له الدكتور صلاح الدين المنجد ؛ « اعمدة النكبة » من تاليف الدكتور صلاح الدين المنجد ، « حقوق الانسان في نظر الشريعة الاسلامية » للدكتور عبد السلام الترمانيني وتقديم الدكتور صلاح الدين المنجد .

❊ اصدر مجمع اللغة العربية بالقاهرة « القاموس الفلسفي » .

❊ اعيد في القاهرة طبع « المعجم الوسيط » .

❊ اصدرت جامعة الازهر اول مرجع طبي ب « اللغة الانجليزية » في علم تشريح اجزاء جسم الانسان .

❊ يدرس مجلس ادارة جمعية الادباء في القاهرة تاليف موسوعة ادبية فنية تتضمن تاريخا موجزا لمفكري العالم وفنانيه ، على ان يشترك في تاليفه اعضاء الجمعية ، على مثال موسوعة « ديدرو » التي اخرجتها جمعية الادباء في باريس منذ قرنين .

❊ « ادباء الهند » عنوان كتاب اعده للطبع الاديب السكندري نيقولا ، يشتمل على حياة ومؤلفات ادباء الهند .

❊ اصدر تلامذة العقاد كتابا بعنوان « العقاد والتجديد في الشعر »

❊ انتهى مجمع اللغة العربية بالقاهرة من تعريب مصطلحات الطب الخاصة بفرع الانسجة التي يتكون منها جسم الانسان .

❊ اعلنت مديرية الآثار العراقية اكتشاف كتابات باللغة السومرية القديمة ، يعتقد انها تتناول بيانات عن التبني وشؤون اقتصادية ، كانت سائدة في الفترة الواقعة بين القرن السادس عشر قبل الميلاد ، والقرن الحادي عشر قبل الميلاد .

❊ اعيد انتخاب الدكتور طه حسين ، رئيسا لمجلس ادارة جمعية الادباء الجدد ، وتوفيق الحكيم ، ومحمود تيمور ، ويحيى حقي ، نواب رئيس شرف .

❊ اصدرت لجنة نشر المؤلفات التيمورية لاول مرة كتابا تحت عنوان : « اعلام الفكر الاسلامي في العصر الحديث » .

❊ يصدر الاستاذ عبد الحميد جودت السحار موسوعته الكبرى عن « محمد والذين معه » في عشرين جزءا .

❊ يصدر مجلس الآداب والفنون بالقاهرة ، قاموسا اقتصاديا باللغة العربية يفسر العبارات الاقتصادية .

❊ تقوم بعثة من اليونيسكو ، والجامعة العربية بتصوير المخطوطات الأثرية النادرة في العراق .

* اصدر الدكتور يوسف عز الدين ، الامين العام للمجمع العلمي العراقي ، دراسة عن تطور الفكر القومي

* ينهمك نجيب محفوظ فى كتابة رواية جديدة ، لم يختر لحد الآن عنوانها .

* صدرت للشاعر اللبناني الكبير بشارة الخوري، المعروف بالاخطل الصغير ، كتاب بعنوان « من بقايا الذاكرة » . ومن المعروف ان كتابا واحدا صدر لهذا الشاعر ، وهو ديوانه « الهوى والشباب » ، ويعتبر « من بقايا الذاكرة » كتابه الثاني ، الذي يؤرخ فيه لحياته .

* اعلن اخيرا نبأ اعتزام المنظمة العربية الاميركية فى تكساس بالاتفاق مع كلية هيدستن على انشاء مركز للدراسات العربية ، منحتها الكلية لهذا الغرض . وقد تحدث الامين العام للمنظمة عن هذا المركز فقال : انه سيكون على هيأة مبنى من عدة طبقات يبنى على الطراز العربي وسيضم قاعات للمحاضرات ومكتبة ، وعددا من القاعات او المتاحف تخصص لكل بلد عربي قاعة بمثابة متحف صغير يضم كل شيء عن تاريخ البلد العربي كما ستخصص قاعات لتدريس اللغة العربية وتاريخ وجغرافية وآداب وفنون وموسيقى العرب ، وما قدموه للحضارة الانسانية . وينتظر ان يصبح هذا المركز منبعا للاشعاع الثقافي عن العالم العربي في مختلف ارجاء الولايات المتحدة ، ويدرس فيه كل شيء عن العالم العربي .

* تكونت فى وزارة التربية الوطنية بالعراق لجنة خاصة تسمى « لجنة تعضيد النشر » مهمتها تشجيع المؤلفين والمترجمين .

* احتفل الاتحاد السوفييتي بذكرى مرور مائة سنة على ميلاد الكاتب مكسيم غوركي

* عقد بالقاهرة مؤتمر الادباء العرب ، وقد اعلن فى جلسته الاخيرة عن عدد من التوصيات ، كان اهمها الدعوة التي وجهها الى جميع الحكومات والشعوب العربية لدعم المقاومة العربية فى الارض المحتلة . وقرر هذا المؤتمر عقد المؤتمر المقبل فى بغداد ، بناء على دعوة من وفد العراق ، وسيكون موضوعه : « مشكلات الاديب فى الوطن العربي » .

* ستصدر فى القاهرة الاعمال الادبية الكاملة للكاتب الروسي دوستويفسكي ، مترجمة الى العربية.

* « تطور الصحافة العربية فى مصر » عنوان الكتاب الذي اصدره الاستاذ انور الجندي .

* « قبل ان تسقط الامطار » مجموعة شعرية جديدة للشاعر كيلاني حسن سند ، صدرت فى القاهرة

* اصدر الكاتب الاردني عرفان حجازي كتابا قيما بعنوان « الصهيونية قبل العدوان وبعده » ، مشتملا على دراسة تاريخية علمية للحركة الصهيونية ، كما يتضمن وثائق لم يسبق نشرها . صدر هذا الكتاب فى بيروت .

* « مدخل فى الاعلام » عنوان الكتاب الذي اصدره الاستاذ نعمان ماهر الكنعاني .

* صدر حديثا عن مطبوعات وزارة الثقافة والارشاد بالعراق كتاب بعنوان « مقال فى الشعر العراقي الحديث » وهو من تأليف الاستاذ عبد الجبار داود البصري .

* عن دار صادر ببيروت صدر كتاب « عبد الرحمن الاوزعي » من تأليف الشيخ طه الولي .

* وعن منشورات البصري صدر كتاب « التعليم المقدس ، او تعاليم الحاخامين اليهود » من تأليف الاستاذ ابو صادق .

* اصدر الاستاذ جعفر خصباك كتاب « العراق فى عهد المغول » ، كما صدر فى العراق كذلك كتاب « قراءات فى علم الاجتماع الحديث » لمؤلفه الاستاذ احسان محمد الحسن .

* « الاستراتيجية الاميركية فى الشرق الاوسط » صدر هذا الكتاب للدكتور فاضل زكي فى العراق .

* « الحكاية ذاتها » هذا الكتاب صدر عن وزارة الثقافة السورية لمؤلفه مراد السباعي ، مشتملا على مجموعة من القصص والمسرحيات .

* عقدت اللجنة الحكومية لحقوق المؤلف دورتها العادية التاسعة في جنيف . وقد تم انشاء هذه اللجنة بموجب الاتفاقية العالمية لحقوق الانسان .

* عرضت في مقر اليونيسكو مطبعة متنقلة جرى تصميمها في هولندا من أجل برامج محو الامية في العالم

* نشرت اليونيسكو مؤخرا تحقيقا استطلاعيا دوليا عن العلوم الاجتماعية في التعليم التقني العام .

* صدر مؤخرا ضمن مجموعة اليونيسكو ستة مجلدات بالانجليزية والاسبانية والفرنسية في موضوع « الفن في افريقيا الغربية ، والوسطى » .

* احتفل هذه السنة بالذكرى المائوية لميلاد ماري كوري .

* اعيد في طهران طبع كتاب « فرائد اللآل ـ نظم مجمع الامثال » قام بتحقيقه الاستاذ ابراهيم الاحدب البيروتي .

* يقوم الاستاذ محمد حسن الاعظمي ، عميد كلية اللغة العربية بكراتشي ، والدكتور حسين مجيب المصري بتاليف اول معجم من اللغة الاوردية الى العربية

* في فرانكفورت بالمانيا الغربية ، اشتركت 49 دولة في عرض كتبها التي بلغت ربع مليون كتاب ، اشترك فيه ثلاثة آلاف دار للنشر .

* « اهل الله » اسم المسرحية التاريخية التي صدرت لعبد المنعم شميس في القاهرة .

* صدرت ترجمة فارسية لكتاب « رسوم دار الخلافة » لمؤلفه هلال بن المحسن الصابي المتوفي عام 448 هجرية الذي قام بتحقيقه ونشره الاستاذ ميخائيل عواد .